32
33
Autumn
Winter
2012

مجلة e.Journal
Arabpsynet
شبكة العلوم النفسية العربية

نحو مدرسة عربية للعلوم النفسية

Volume 8- N°-32-33, Autumn & Winter 2012 - Download APNeJ-32-33:http://www.arabpsynet.com/pass_download.asp?file=32

الملف: السيكولوجية العربية ... مأزق التقليد و تحديات التأصيل

اشراف: صالح ابراهيم الصنيع – السعودية

الإفتتاحية: السيكولوجية العربية...مأزق التقليد و تحديات التأصيل - صالح ابراهيم الصنيع
الإنسان والنفس الإنسانية لدى علماء التراث - صالح ابراهيم الصنيع
الاعتبارات الهيثمية عن الغلط البصري في السودان - عمر هارون الخليفة- بخوخ الطيب
أثر العقيدة الإسلامية وشعائرها في تعزيز الصحة النفسية للمسلم - نور الدين زعتر
الإسلام والصحة النفسية - عمر شاهين
دور الدين الإسلامي في تحقيق الصحة النفسية - رانيا الصاوي عبده عبد القوي

إصدارات في الملف: قراءات

أبحاث و مقالات أصيلة

برنامج العبق وتنمية دقة الأداء في المنطق والآلة الحاسبة - ع. الخليفة، ج.خليفة، ا.عشرية، أ.الحسين
الأفعال الإرادية واللإرادية و تجلياتها في الأزمات - مرسلينا شعبان حسن
تقنين قائمة السعادة الحقيقية على عينات من البيئة - بشير معمرية
صعوبات التعلم وعلاقتها بنقص الانتباه/فرط الحركة - عبد الباقي احمد، كوثر خلف الله
العلاقة بين إكتساب اللغة الأولى و تعلم اللغة الثانية - خالد عبد السلام
التسامح وعلاقته بالصحة النفسية لدى طلبة جامعة الأقصى - عون حيسن، إسماعيل الهلول
أمة محبطة في التعليم (حلقة 3) - عمر هارون الخليفة
المثلية الجنسية الذكرية بين شرعية إجتماعية و عوامل عضوية - سداد جواد التميمي
العمل الليلي وتأثيراته الفيزيولوجية والاجتماعية على العمال - طهبلي الطاهر، ع. الرحمان بقادير
الكفاءة الذاتية لدى المراهق المحروم عاطفيا - برغوت توفيق
الانتحار وظاهرة الضحية في عالمنا العربي - مرسلينا شعبان حسن
نحو ثقافة نفسية تربوية جديدة - مرسلينا شعبان حسن
شخصية الابن الوحيد أخو البنات - بشقة عز الدين
Psychological Neurosis Among Zar visitors - سليمان آدم، رشا الكيناني

قراءات: أبحاث . . . مقالات

مصطلحات العلوم النفسية

مصطفى شكيب - جمال التركي

الفهرس 32 33

Edited by CISEN COMPUTER Company All rights reserved - Copyright (c) 2012 -APNjournal@arabpsynet.com

السلام عليكم و رحمة الله و بركاته

اللهم صلي وسلم على سيدنا محمد النبي الأمي

سنريهم اياتنا

في الآفاق و في أنفسهم

حتى يتبين لهم أنه

الحق

Arabpsynet e.Journal
Electronic Arab Psy Review
Quartly Edition

المجلة الإلكترونية لشبكة العلوم النفسية
مجلة طبنفسية و علمنفسية محكّمة
تصدر فصليا

Subscription For Arabpsynet Services Pack

Registration for 2012

Psychiatrists & Psychologists

After Send CV

Via Cv Form

www.arabpsynet.com/cv/cv.htm

الإشتراك في سلة خدمات الشبكة

إشتراكات سنة 2012

خاص بالأطباء و أساتذة علم النفس

إرسال السيرة الذاتية

حسب النموذج التالي

www.arabpsynet.com/cv/cv.htm

الإشتراك في خدمات الشبكة

- تقدم الشبكة خدماتها (لأخصائيي و طلبة العلوم النفسية و الإنسانية دون معلوم مالي.
- يتم الإشتراك بعد ارسال السيرة العلمية و ملخصات الأبحاث و الأطروحة و المنشورات العلمية من خلال النماذج التالية:

www.arabpsynet.com\cv\CV.HTM
www.arabpsynet.com\paper\PapForm.htm
www.arabpsynet.com\these\ThesForm.htm
www.arabpsynet.com\book\booForm.htm

- تعتمد الشبكة مستقبلا لتنمية مواردها و لمواصلة أداء رسالتها إلى الدعوة لتفعيل وسائل الدعم التالية:
  - **دعم "الوقف للعلم"** لحساب شبكة العلوم النفسية العربية
  - **دعم الجهات التي تعرّف الشبكة بخدماتها:** مشافي الطب النفسي، أنشطة علمية خاضعة لمعلوم تسجيل (مؤتمرات، ورش العمل، ندوات تكوينية) و طلبات التوظيف،
  - **دعم الأفراد والهيئات والمؤسسات**
  - **الإعلان بما توافق و خط الشبكة و استقلاليتها**

تتلقى الشبكة عروض الدعم على بريدها الإلكتروني: arabpsynet@gmail.com

Journal Correspondence

E.mail : APNJournal@arabpsynet.com

P.mail :

Doctor Jamel TURKY
28 Habib Maazoun Street
TAPARURA Building Block "B" N°3
3000 SFAX - TUNISIA

مراسلات المجلة

بريد إلكتروني: APNJournal@arabpsynet.com

بريد ورقي:

" الدكتور جمال التركي "
28 نهج الحبيب المعزون
عمارة تبرورة مدرج ب عدد 3
3000 صفاقس - تونس

ARABPSYNET E.JOURNAL
ELECTRONIC ARAB PSY REVIEW QUARTLY EDITION
TOWARDS AN INTER-ARAB PSY ACADEMIC COLLABORATION
EDITED BY CISEN COMPUTER COMPANY

مجلة شبكة العلوم النفسية العربية
مجلة فصلية طبنفسية و علمنفسية محكّمة
نحو تعاون أكاديمي طبنفسي و علمنفسي عربي
إصدار مؤسسة سيزن كمبيوتر

EMERITUS PRESIDENT
PR. AHMED OKASHA (EGYPT)
HONOROUR PRESIDENT
PR. YAHIA RAKHAWI (EGYPT)
PRESIDENT
DR. JAMEL TURKY (TUNISIA)
VICE PRESIDENT
PR. MOHAMED AHMED NABULSY (LEBANON)

الرئيس الفخري
أ.د. أحمد عكاشة (مصر)
الرئيس الشرفي
أ.د. يحيى الرخاوي (مصر)
الرئيس
د. جمال التركي (تونس)
نائب الرئيس
أ.د. محمد أحمد النابلسي (لبنان)

SCIENTIFIC BOARD :

PSYCHIATRY :
PR. TARAK OKASHA (EGYPT)
DR. KHALIL FADHEL (EGYPT)
DR. WALID SARHAN (JORDAN)
PR. ZINE OMARA (UAE)
DR. ABDELAZIZ THABET (GAZA/PALESTINE)
PR. ADIB ESSALI (SYRIA)
PR. A. IBRAHIM (SYRIA / LEBANON)
DR. TARAK AL-HABIB (KSA)
DR. NUMAN GHARAIBEH (JORDAN / USA)
DR. MAHDI ABOUMADINY (KSA)
DR. WAEL ABOHENDY (EGYPT)
DR. SADAK SAMARRAI (IRAQ / USA)

PSYCHOLOGY :
PR. KADRI HEFNY (EGYPT)
PR. ABD. IBRAHIM (EGYPT)
PR. NAIM ATIYEH (USA/LEBANON)
DR. EL RHALI AHARCHAOU (MOROCCO)
DR. ADNENE FARAH (JORDAN)
PR. SAMER RUDWAN (SYRIA/OMAN)
DR. BECHIR MAAMRIA (ALGERIA)
DR. BOUFOULA BOUKHMIS (ALGERIA)
PR. KHALED EL-FAKHRANY (EGYPT)
PR. QASSIM SALIHY (IRAQ)
PR. OMAR KHALIFA (SUDAN)
DR. HAFEDH ELKHAMIRI (YEMEN)
PR. SALAH ALSANIE (KSA)

JOURNAL SECRETARY :
IMEN FEKI & SALWA WERTENI

الهيئة العلمية :

الطب النفسي :
أ.د. طارق عكاشة (مصر)
د. خليل فاضل خليل (مصر)
د. وليد سرحان (الأردن)
أ.د. الزين عمارة (الإمارات)
د. عبد العزيز موسى ثابت (غزة/فلسطين)
أ.د. أديب العسالي (سوريا)
أ. د. عبد الرحمان إبراهيم (سوريا/لبنان)
د. طارق الحبيب (السعودية)
د. نعمان الغرايبة (أمريكا/الأردن)
د. مهدي أبو مديني (السعودية)
د. وائل أبو هندي (مصر)
د. صادق السامرائي (أمريكا/العراق)

علم النفس :
أ.د. قدري حفني (مصر)
أ.د. عبد الستار إبراهيم (مصر)
أ.د. نعيم عطية (أمريكا/لبنان)
أ.د. الغالي احرشاو (المغرب)
د. عدنان فرح (الأردن)
أ.د. سامر رضوان (سوريا/عمان)
د. بشير معمرية (الجزائر)
د.بوفولة بوخميس (الجزائر)
أ. خالد الفخراني (مصر)
أ.د. قاسم حسين صالح (العراق)
أ. د. عمر هارون الخليفة (السودان)
د. عبد الحافظ الخامري (اليمن)
أ.د.صالح بن إبراهيم الصنيع (السعودية)

سكرتيرية التحرير :
إيمان الفقي و سلوى الورتاني

العـــــدد 32-33: خريـــــف و شتـــــاء 2012

الملـــف : السيكولوجيـــة العربيـــة...مـــأزق التقليـــد و تحديـــات التأصيـــل 5

الإفتتاحية: السيكولوجية العربية...مأزق التقليد و تحديات التأصيل - صالح ابراهيم الصنيع 6

الإنسان والنفس الإنسانية لدى علماء التراث - صالح ابراهيم الصنيع 11

الاعتبارات الهيثمية عن الغلط البصري في السودان - عمر الخليفة - نجوى الطيب 28

أثر العقيدة الإسلامية وشعائرها في تعزيز الصحة النفسية للمسلم - نور الدين زعتر 40

الإسلام والصحة النفسية - عمر شاهين 56

دور الدين الإسلامي في تحقيق الصحة النفسية - رانيا عبده عبد القوي 65

قراءات :إصدارات في الملف 79

المدخل إلى التأصيل الإسلامي لعلم النفس - صالح ابراهيم الصنيع 79

علم النفس الإسلامي - معروف زريق 100

أبحاث و دراسات 104

برنامج العبق وتنمية دقة الأداء في المنطق والآلة الحاسبة - عمر الخليفة و زملاءه 105

الأفعال الإرادية واللإرادية و تجلياتها في الأزمات - مرسلينا شعبان حسن 115

تقنين قائمة السعادة الحقيقية على عينات من البيئة الجزائرية - بشير معمرية 121

صعوبات التعلم وعلاقتها بنقص الانتباه/فرط الحركة - ا.عبد الباقى ،ك.خلف الله 133

العلاقة بين إكتساب اللغة الأولى و تعلم اللغة الثانية - خالد عبد السلام 143

التسامح وعلاقته بالصحة النفسية لدى طلبة جامعة الأقصى - عون محيسن، إسماعيل الهلول 149

أمة محبطة في التعليم (حلقة 3) - عمر هارون الخليفة 163

المثلية ألجنسية ألذكرية بين شرعية إجتماعية و عوامل عضوية - سداد جواد التميمي 167

العمل الليلي وتأثيراته الفيزيولوجية والاجتماعية على العمال - ط.الطاهر، ع.ر. بقادير 170

الكفاءة الذاتية لدى المراهق المحروم عاطفيا - برغوتي توفيق 183

الانتحار وظاهرة الضحية في عالمنا العربي - مرسلينا شعبان حسن 191

نحو ثقافة نفسية تربوية جديدة - مرسلينا شعبان حسن 197

شخصية الابن الوحيد أخو البنات - بشقة عز الدين 201

PSYCHOLOGICAL NEUROSIS (HYSTERIA) AMONG ZAR VISITORS - سليمان آدم،رشا الكيناني 213

CONTENT

العدد 32-33: خريف و شتاء 2012

قراءات: أبحاث... مقالات 218

تشخيصات محملة عبر الانترنت - سداد جواد التميمي 218

جرثومة الذهان - صادق السامرائي 219

المثقفون ...والسكتة القلبية - قاسم حسين صالح 220

الثقافة النفسية بين اليأس والتيئيس...؟! " - صادق السامرائي 220

نفاق المثقفين - قاسم حسين صالح 222

الهرب ..وسيكولوجيا الانتقام - قاسم حسين صالح 223

الهوس بين الفيروس و الحشيش و القات - سداد جواد التميمي 224

العراقيون... و"الأكتئاب الوطني"! - قاسم حسين صالح 225

المخدرات ..حرب استهداف القيم وتفكيك المجتمع - قاسم حسين صالح 226

مصطلحات العلوم النفسية العربية / Psy Terminologies 228

قاموس المفردات لعلم النفس الاجتماعي مصطفى شقيب 229

المعجم الإلكتروني للعلوم النفسية العربية " ح"- جمال التركي 238

E. Dictionary of Psychological Sciences "F"- جمال التركي 242

E. Dictionnaire des Sciences Psychologiques "F"- جمال التركي 246

CONTENT

ملـــــف العـــــدد 32-33

السيكولوجيـــــة العربيـــــة ...
مـــــأزق التقليـــــد و تحديـــــات التأصيـــل

اشـــراف: صالـــح ابراهيـــم الصنيـــع

أبحـــــــــــاث الملـــــــــــف...

الإفتتاحية: السيكولوجيـة العربيـة ... مـأزق التقليـد و تحديـات التأصيـل
صالـح ابراهيـم الصنيـع

الإنسـان والنفـس الإنسانيـة لـدى علمـاء التـراث
صالـح ابراهيـم الصنيـع

الاعتبـارات الهيثميـة عـن الغلـط البصـري فـي السـودان
عمـر هـارون الخليفـة
بخـوى الطيب محمد عبد المحمود

أثـر العقيـدة الإسلاميـة وشعائرهـا فـي تعزيـز الصحـة النفسيـة للمسلـم
نـور الديـن زعتـر

الإسـلام والصحـة النفسيـة
عمـر شاهيـن

دور الديـن الإسلامـي فـي تحقيـق الصحـة النفسيـة
رانيا الصاوي عبده عبد القوي

قـــراءات: إصـــدارات فـــي الملـــف

المدخـل إلـى التأصيـل الإسلامـي لعلـم النفـس
صالـح ابراهيـم الصنيـع

علـم النفـس الإسلامـي
معـروف زريـق

إفتتاحيـــــة الملـــــف:

السيكولوجيـــة العربيـــة ... مـــأزق التقليـــد و تحديـــات التأصيـــل

أ.د. صالـــح بـــن إبراهيـــم الصنيـــع - أستـــاذ علـــم النفـــس – الريـــاض، السعوديـــة
drssanie@hotmail.com

مقدمـــــــة

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

التأصيل الإسلامي لعلم النفس من الموضوعات المهمة التي يلزم أن تشغل اهتمام كل عامل في المجال النفسي لإرتباطه بالدين الإسلامي خاتم الأديان والصالح لكل زمان ومكان. وقد سبق لكاتب هذه المقدمة أن تناول تاريخ حركة التأصيل في كتابه (المدخل إلى التأصيل الإسلامي لعلم النفس، 1431هـ) ونعرض مقتطفات مما ورد فيه في الفقرات التالية.

ليس هناك تاريخ محدد لبداية حركة التأصيل الإسلامي لعلم النفس أو غيره من العلوم الاجتماعية، والأسباب لذلك كثيرة، ولعل من أهمها: لترامي أطراف العالم الإسلامي، وصعوبة اطلاع الباحث في بلد إسلامي على ما كتب في هذا المجال لكتاب آخرين من خارج بلده، وضعف التواصل العلمي بين الباحثين المسلمين في كل تخصص، حيث لا تبادل للرسائل العلمية أو دوريات الجامعات، وكذلك فقدان الجمعيات المهنية على المستوى الإسلامي أو ضعف نشاطها – إن وجدت – ولا مؤتمرات أو ندوات على المستوى الإسلامي تعقد بشكل دوري لجمع شتاتهم، ولا مؤسسات نشر توزع النتاج العلمي في كل بلاد المسلمين، بل يكاد الباحث ينغلق على ما هو موجود في بلده وأحياناً في مؤسسته العلمية.

والسؤال الذي قد يطرح هو: لماذا حركة التأصيل الإسلامي لعلم النفس؟

والجواب أن التأصيل لم يكن وارداً لدى علماء المسلمين السابقين عندما كانوا هم القادة والرواد للعالم، فكانت كتاباتهم تنبع من مصادر دينهم ولم يكونوا بحاجة لتأصيل ما يقدمونه على عكس ما هو حاصل اليوم، ففي القرون المتأخرة وخصوصاً القرون الثلاثة الهجرية الأخيرة، أصبح العلماء المسلمون يتبعون غيرهم ولم يعودوا هم القادة، لذا جاءت الحاجة للتأصيل للعودة بالمسلمين لأصولهم المعرفية الإسلامية؛ وفي مجال علم النفس قدم بعض المهتمين بحركة التأصيل الإسلامي لعلم النفس ومنهم الدكتور مالك بدري دواعي التأصيل في مقالة له بعنوان

"علماء النفس المسلمون في جحر الضب " نشرت في عددين من مجلة المسلم المعاصر (15 و16 لعام1398هـ). حيث بين أن عالم النفس المسلم المعاصر يعيش أزمة التبعية والمتعلقة بتقليده للعلماء الغربيين في ما يقدمه لطلابه أو يكتبه من بحوث ودراسات. وأصبح ما يتلقاه الطالب هو نفس ما يقدم للطالب في المجتمع الغربي بشكل شبه كامل، دون مراعاة لاختلاف البيئات والظروف التاريخية والاجتماعية والعقائدية والثقافية بين المجتمعات، ولأن المجتمع الغربي لديه مسلمات يقوم عليها ما يقدمه من معلومات وثقافة، وهي بلا شك تختلف عن المسلمات الموجودة لديه المسلم في كثير من جوانبها، وسيتم إن شاء الله مناقشة المسلمات لدى علم النفس الغربي ولدى التصور الإسلامي في الفصل الثالث، ولذلك نشأ نوع من الانفصال أو الغربة بين ما لدى المتخصص النفسي المسلم وواقع مجتمعه وما يعيشه من مشكلات تحتاج لحلول تتوافق مع ما لديه من دين وثقافة وتقاليد محليه يلزم مراعاتها لتحقيق النجاح للأنشطة النفسية.

ونعود الآن لتاريخ حركة التأصيل فنعيد التأكيد على عدم اطلاع الباحث على أي مرجع يرصد بشكل متسلسل وموثق بدايات حركة التأصيل الإسلامي لعلم النفس أو غيره من العلوم الاجتماعية. ولكن من خلال خبرة الباحث سيحاول تقسيم تاريخ حركة التأصيل الإسلامي لعلم النفس إلى ثلاث مراحل، وهو تقسيم افتراضي لا يقصد منه انفصال أو توقف الجهود في مرحلة ما عن ما قبلها أو ما بعدها، بل الغرض منه محاولة رسم صورة عامة لمسار جهود التأصيل في مراحل متتابعة، وهي:

1) **المرحلة الأولى: مرحلة جهود الأفراد:** وهي البداية لحركة التأصيل الإسلامي لعلم النفس في الأربعينيات الميلادية، ويمكن أن نؤرخ لها من العام 1942م وهو العام الذي قدم فيه محمد عثمان نجاتي رسالته للماجستير تحت عنوان " الإدراك الحسي عند ابن سينا " في كلية الآداب بجامعة القاهرة (جامعة فؤاد في ذلك الوقت)، ونشرت بعد ذلك في كتاب عام 1948م. وتضمن الكتاب ثمانية عشر فصلاً تناولت تقسيم الوظائف النفسية عند ابن سينا، والإحساس الظاهر، والشروط الفسيولوجية للإحساس، والحواس الخمس الظاهرة، والحواس الباطنة ومركزها، والحس المشترك، والوهم، والذاكرة، والتخيل، وموقف ابن سينا من المذهب المادي، وأخيراً طبيعة الانفعال الحسي في مذهب ابن سينا (نجاتي، 1980م). وقدم محمد قطب كتابه " الإنسان بين المادية والإسلام " عام 1952م تناول فيه نظرة المسيحية، فرويد، التجريبيون، الشيوعيون، نظرة الإسلام، الفرد والمجتمع، الجريمة والعقاب، المشكلة الجنسية، وأخيراً القيم العليا؛ ويعتبر من أوائل الكتب التي تناولت النظرة الغربية للإنسان بالنقد، وقدم تصوراً إسلامياً للإنسان ودوره في الحياة (قطب، 1983م). وهناك كتاب " في النفس والعقل لفلاسفة الإغريق والإسلام " للدكتور محمود قاسم صدر عام 1954م (العثمان، 1401هـ). كما قدم عبدالكريم العثمان رسالته للماجستير تحت عنوان " الدراسات النفسية عند علماء المسلمين والغزالي بوجه خاص " إلى كلية الآداب بجامعة القاهرة عام 1962م، وأشرف عليه

الدكتور أحمد فؤاد الأهواني، والذي كتب في 1962/10/2م مقدمة للرسالة عندما طبعت في كتاب وكان عنوان المقدمة علم النفس الإسلامي، وهي المرة الأولى التي يعرض فيها هذا المصطلح – حسب علم الباحث – في كتاب يتبع لعلم النفس.وتناول العثمان في رسالته في بابين وأحدى عشر فصلاً ، حقيقة النفس من البدء إلى النهاية، في الباب الأول، وأحوال النفس بين السلوك والعاطفة والدين في الباب الثاني (العثمان، 1401هـ). وهكذا استمرت الجهود على شكل رسائل وكتب تتناول موضوعات ذات علاقة بالتأصيل الإسلامي لعلم النفس.

2) المرحلة الثانية: جهود المؤسسات: ويمكن القول أنها بدأت في السبعينات الميلادية، ومن أوائل المؤسسات التي نشرت موضوعات التأصيل الإسلامي مؤسسة المسلم المعاصر عن طريق مجلتها " مجلة المسلم المعاصر " والتي أسسها جمال الدين عطية وصدر عددها الأول في شوال 1394هـ الموافق نوفمبر 1974م ولازالت تصدر حتى الآن؛ حيث نشر في ما صدر من أعداد الكثير من الدراسات التي تناولت العديد من قضايا التأصيل الإسلامي. ثم انتقل الاهتمام إلى المؤسسات الأكاديمية فعقد قسم علم النفس بكلية التربية بجامعة الملك سعود (جامعة الرياض سابقاً) ندوة بعنوان " علم النفس والإسلام " في الفترة من 12 – 1398/11/16هـ الموافق 14 – 18 /1978/10م وقدم فيها ثلاث وعشرون دراسة. وحسب – علم الباحث – تمثل أول ندوة علمية جمعت المختصين وتناولت موضوعات التأصيل من خلال الدراسات المذكورة أعلاه، ولكن لم تكن كثير من تلك الدراسات التي قدمت بالعمق الكبير الذي يؤهلها للاستمرار لذلك لم يمتد أثر كثير منها إلى الدراسات اللاحقة، ولكن يحسب لها قصب السبق في الاهتمام وتنظيم الندوة، خصوصاً القسم والكلية والجامعة.

وجاء المؤتمر العالمي الرابع للفكر الإسلامي تحت عنوان " المنهجية الإسلامية والعلوم السلوكية والتربوية " الذي نظمه المعهد العالمي للفكر الإسلامي بواشنطن بالتعاون مع شعبة علم النفس بكلية الآداب بجامعة الخرطوم، في مدينة الخرطوم في الفترة 15 – 1407/5/20هـ الموافق 15 – 1987/1/20م، ونشرت أبحاثه في ثلاثة أجزاء لمحاور ثلاثة هي المعرفة والمنهجية، ومنهجية العلوم الإسلامية، ومنهجية العلوم التربوية والنفسية. وتميز عدد من بحوث المؤتمر بالعمق وجودة المادة العلمية المقدمة.

عقدت جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ممثلة بعمادة البحث العلمي ندوة داخلية بعنوان " التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية " بمقر الجامعة بالرياض في الفترة 5 – 1407/6/6هـ في ثماني جلسات، وقدم فيها أربع مذكرات، وسبع عشرة ورقة عمل. وغلب على ما قدم في الندوة أوراق العمل ولم يوجد بحوث معمقة تناولت موضوعات التأصيل، ولكنها طرحت أفكار ومشروعات هامة لتطوير عملية التأصيل، وكان من نتاج الندوة أنشا اللجنة الدائمة للتأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية بجامعة الإمام، والتي استمر عملها بعد الندوة في متابعة برامج عدة من عقد ملتقيات بين المتخصصين في العلوم الشرعية مع نظرائهم في

العلوم الاجتماعية، وإصدار أدلة التأصيل لعلوم التربية والاجتماع وعلم النفس، وإصدار كتب تخدم التأصيل، وقد توقفت اللجنة عام 1420هـ لتقييم عملها السابق، ولكن للأسف ولم تعاود نشاطها حتى الآن، والمرجو من مسئولي جامعة الإمام إعادة تنشيط هذه اللجنة لتقوم بمهامها العظيمة والسعي لتحقيق أهدافها من خلال البرامج الموجودة في ملفات اللجنة، لأن هذه الأهداف هي التي دفعت جامعة الإمام لتبني وجود كليات العلوم الاجتماعية في منظوماتها لتحقيق التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية.

نظم المعهد العالمي للفكر الإسلامي بواشنطن عدد من الندوات حول التأصيل الإسلامي لفروع العلوم الاجتماعية، فكانت الندوة الأولى تحت عنوان " نحو علم نفس إسلامي " وعقدت في القاهرة عام 1989م، ثم ندوة التأصيل الإسلامي للخدمة الاجتماعية بالقاهرة في شهر أغسطس عام 1991م. وخصصت الجمعية السعودية للعلوم التربوية والنفسية لقاءها السنوي الخامس عام 1414هـ لموضوع التأصيل الإسلامي للتربية وعلم النفس، ولظروف حالت دون عقد اللقاء فقد تم تحويل عدد من البحوث التي قدمت للقاء إلى دورية الجمعية " رسالة التربية وعلم النفس " حيث حكمت ونشرت في أعداد الدورية.

3) المرحلة الثالثة: تراجع جهود المؤسسات: من منتصف العقد الثاني من القرن الخامس عشر الهجري (منتف التسعينات الميلادية تقريباً) تراجعت جهود المؤسسات في عقد ندوات أو مؤتمرات حول موضوعات التأصيل، فحسب علم الباحث لم يعقد شئ من ذلك خلال العشر سنوات الماضية وحتى الآن (1417هـ ـ 1427هـ/1996م ـ 2006م) ولا نعرف سبباً لذلك. وأما الجهود الفردية فلم تنقطع، ومن ذلك رسالة الدكتوراه للأستاذ محمد عزالدين توفيق بعنوان " التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية: البحث في النفس الإنسانية والمنظور الإسلامي " تحت إشراف الأستاذ الدكتور المهدي بن عبود، وذلك من كلية الآداب بجامعة محمد الخامس بالرباط بالمغرب ونشرت في كتاب عام 1998م. وهناك العديد من رسائل الماجستير والدكتوراه التي قدمت إلى الجامعات العربية والإسلامية، خصوصاً في السعودية ومصر، التي تناولت موضوعات تأصيل إسلامي ولا ليس مجالنا هنا لرصدها، ولكننا نؤكد استمرار مسيرة التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية بحول الله تعالى رغم الصعوبات التي تواجه مسيرتها (الصنيع، المدخل على التأصيل الإسلامي لعلم النفس، 1431هـ، ط2،ص77ـ87).

وقد عاود جهود بعض المؤسسات العلمية اهتمامها بالموضوع فعلي سبيل المثال عقد قسم علم النفس بكلية العلوم الاجتماعية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ندوة تحت عنوان: أقسام علم النفس في مؤسسات التعليم العالي السعودية (الواقع وإستشراف المستقبل) في الفترة من 14ـ 1430/3/15هـ الموافق 11ـ2009/3/12م ومن البحوث التي قدمت فيها بحوث تناولت موضوعات في التأصيل.

ويأتي إصدار هذا العدد من مجلة الشبكة النفسية العربية المخصص لبحوث في التأصيل من خلال اهتمام القائمين على الشبكة بأهمية طرح هذه النوعية من البحوث لإثراء الساحة النفسية بهذه النوعية من الكتابات العلمية المهمة. وقد احتوى العدد على ثلاث دراسات هي كالتالي: الأولى دراسة بعنوان الاعتبارات الهيثمية عن الغلط البصري في السودان: اكتشاف جديد في ماضي علم النفس التجريبي

كل من أ.د. عمر هارون الخليفة، مؤسس مشروع طائر السمبر وأ. هاجر عبد العزيز زمراوي الشيخ، جامعة الخرطوم وأ. نجوى الطيب محمد عبد المحمود، جامعة الخرطوم وأ. هيبات الطيب بشير الشيخ، جامعة الخرطوم. والثانية دراسة بعنوان: أثر العقيدة الإسلامية وشعائرها في تعزيز الصحة النفسية للمسلم (دراسة تجريبية لفعالية برنامج نفسي إسلامي مُقترح في تخفيض درجة قلق ما قبل العملية الجراحية) للأستاذ نورالدين زعتر (أستاذ علم النفس بجامعة زيان عاشور الجلفة) وهي ملخص لدراسة الماجستير التي قدم الباحث إلى قسم علم النفس وعلوم التربية والأرطفونيا بكلية العلوم الاجتماعية والإنسانية بجامعة محمد خيضر بسكرة عام 2009م. والدراسة الثالثة بعنوان: الإنسان والنفس الإنسانية لدى علماء التراث (نماذج مختارة) للأستاذ الدكتور صالح بن إبراهيم الصنيع. نرجو أن يكون في عرض هذه الدراسات ما يبعث هم الباحثين والباحثات للولوج في مضمار الأضافة العلمية في مجال التأصيل الإسلامي لعلم النفس. والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

المشرف على تحرير العدد

الأستاذ الدكتور صالح بن إبراهيم الصنيع

أستاذ علم النفس/ كلية العلوم الاجتماعية

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض

ARABPSYNET PAPERS SEARCH

By Arabic, English & French words

www.arabpsynet.com/paper/default.asp

Form Add Papers (For Subscribers)

http://localhost/paper/PapForm.htm

ARABPSYNET THESIS SEARCH

www.arabpsynet.com/These/default.asp

Form Add Thesis Summary(For Subscribers)

www.arabpsynet.com/these/ThesForm.htm

الإنســـان والنفـــس الإنسانيـــة لـــدى علمـــاء التـــراث* (نماذج مختارة)

أ.د. صالـــح بـــن إبراهيـــم الصنيـــع - أستـــاذ علـــم النفـــس - الريـــاض، السعوديـــة
drssanie@hotmail.com

ملخـــص: هدفت الدراسة إلى استعراض نماذج من تناول مجموعة من علماء التراث المسلمين لموضوع الإنسان والنفس الإنسانية. ووجد الباحث صعوبة في اختيار العلماء واستقر الرأي لديه بتقسيم العلماء على طبقات بحيث تغطي الطبقة ثلاثة قرون وفي كل طبقة تم اختيار ثلاثة علماء حسب التوزيع التالي:

أولاً: الطبقة الأولى (1ـ300هـ):

ابن المقفع (142هـ)، المحاسبي (243هـ)، الجاحظ (255هـ).

ثانياً: الطبقة الثانية (301ـ600هـ):

ابن مسكوية (421هـ)، أبوحامد الغزالي (505هـ)، ابن الجوزي (597هـ).

ثالثاً: الطبقة الثالثة (601ـ900هـ):

فخرالدين الرازي (606هـ)، ابن تيمية (728هـ)، ابن قيم الجوزية (751هـ).

رابعاً: الطبقة الرابعة (901ـ1200هـ):

السيوطي (911هـ)، المغراوي (920هـ)، أبن حجر الهيثمي (973هـ).

خامساً: الطبقة الخامسة (1201هـ فما بعدها):

القاسمي (1332هـ)، عبدالرحمن السعدي (1376هت)، محمد قطب (معاصر).

وتم اختيار نماذج من كلام هؤلاء العلماء هؤلاء الإنسان والنفس الإنسانية، وختمت كل طبقة بتعليق للباحث. وأخيراً ختمت الورقة بالخلاصة التالية:

من خلال النماذج التي تم عرضها قد لا نستطيع تقديم صورة كاملة الملامح لنظرة علماء التراث النفسي للإنسان والنفس الإنسانية، لأن ذلك يحتاج مساحة أكبر نستطيع من خلالها عرض نماذج أكثر وتفصيلات أوسع تعكس الصورة بشكل قريب من ما قدموها في طروحاتهم، ولكن نظراً لمحدودية الصفحات المتاحة لهذا الورقة البحثية، ولضيق الوقت، نرجو أن نكون وفقنا في اختيار النماذج التي تعطي لمحات عن تصور هؤلاء العلماء للإنسان والنفس الإنسان، وربما أمكننا أن نلخص ملامح التصور هذا التصور في النقاط التالية:

1) أن الإنسان مخلوق من عنصرين هما المادة (التراب) والروح. وهما يحتاجان إلى ما يشبعهما، فالمادة تحتاج لحاجات الجسدية من غذاء وجنس وراحة وما يدخل فيها، وكذلك الروح تحتاج إلى إشباع عن طريق ما يأتي به الدين من عبادات وأخلاق.

2) أن مصادر المعرفة للإنسان تبدأ بالحواس ثم العقل ثم الوحي، ويكون الوحي هو المعيار لما يقبل ويرفض من المصدرين السابقين.

3) إن النفس الإنسان لديه الاستعداد للخير والشر، ولكنها مفطورة على فطرة الخير المركوزة في الجبلية الإنسانية، ما لم يأتي ما يحرفها عن فطرتها من عوامل خارجية كالوالدين والشيطان ورفاق السوء.

4) أن الأمراض النفسية لا تتوقف على ما يدرس حالياً في علم النفس بل يدخل فيها ما يعرف بأمراض الباطن أو أمراض القلوب والتي ورد لدى علماء المسلمين تناول لها في الوقاية والعلاج مما لا يتوفر لدى الباحثين الغربيين.

5) العديد من علماء المسلمين يستفيدون مما يورده غير المسلمين فيما يتعلق بالإنسان والنفس الإنسان وقوى النفس، ثم يضيفون ما يقدمه لهم الوحي مما معارف توسع آفاق تناولهم لتلك الموضوعات وتنقلها إلى فضاءات أرحب وأكثر قرباً من واقع الإنسان والنفس الإنسانية.

مقدمـــــــــــــة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على بينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

الإنسان هو المخلوق المكرم من لدى الله سبحانه وتعالي عندما يقوم بشريعة الله في أرضه. والكتابة عنه تحفها كثير من الصعوبات والمشآق، بناءً على تعدد جوانب الإنسان وعظم مسئولياته عن ذاته ومن حوله من البشر وسائر المخلوقات. وعندما طلب من الباحث المشاركة بورقة بحثية عن "الإنسان لدى علماء التراث " وجد صعوبة في تحديد المراد، لكون الإنسان متعدد الجوانب (جوانب روحية وجسمية وعقلية ووجدانية واجتماعية) ولكون علماء التراث يصعب حصرهم. ولكوننا نعيش في القرن الخامس عشر الهجري، فنحن أمام خمسة عشر قرناً مليئة بالعلماء الأفذاذ. وفكر الباحث بمنهجية يتبعها لاختيار نماذج من تراث هؤلاء العلماء، فوجد المنهجية التي سار عليها الدكتور عبدالله الصبيح في تقسيم علماء التراث إلى ثلاثة اتجاهات:

1) الاتجاه الأثري: يعنى هذا الاتجاه في التراث النفسي بما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية مما له علاقة بالنفس ويفسر هذه النصوص ضمن منهج أهل السنة والجماعة.

2) الاتجاه الصوفي: يعنى هذا الاتجاه بتصفية النفس وتزكيتها عند بدايته، ثم تحول من حركة زهد تعتني بالعبادة وتقوم على المجاهدة إلى حركة فلسفية فكرية.

3) الاتجاه الفلسفي: يعني هذا الاتجاه في الكشف عن الحقيقة على المنطق الصوري أو القياسي أو الاستدلالي البرهاني (الأرسطي)(الصبيح، 1420هـ، 218-238).

وهذا التقسيم تناوله الباحث في كتاب سابق له (المدخل إلى التأصيل الإسلامي لعلم النفس، 1428هـ) وبين جدته ولكن أعترض عليه من حيث صعوبة تصنيف بعض العلماء في واحد من الاتجاهات الثلاثة حيث نتاجه العلمي يمكن أن يدخله في اتجاهين من الاتجاهات المذكورة.

وبدأ للباحث أن يسلك منهجية تقوم على تقسيم القرون الهجرية إلى طبقات كل ثلاثة قرون طبقة، ورجح اختير عدد ثلاثة قرون تيمن بحديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي رواه الإمام البخاري في صحيحه عن عمران بن حصين رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ((خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم))(صحيح البخاري، كتاب الشهادات،باب9). بحيث أصبح لدينا خمس طبقات وفي كل طبقة يتم اختيار ثلاثة علماء، وكل عالم تؤخذ نماذج من كتاباته حول الإنسان والنفس الإنسانية. وعندما أراد الباحث أن يختار علماء من كل قرن بحث عن المصادر فوجد كتب السير، ومن أشهرها كتاب "سير أعلام النبلاء" للذهبي (748هـ)(16 جزء) وكتاب "تاريخ بغداد" للخطيب البغدادي وفيهما سير عدد كبير من العلماء. ونظراً لأن الكتابين لا يتعديان القرن السابع، وجد الباحث كتاب " المختار المصون من أعلام القرون (من القرن التاسع إلى القرن الثالث عشر) لمحمد حسن موسى (3مجلدات) فتم اختيار بعض العلماء منه، ثم وجد الباحث في مكتبته الخاصة كتاب "دليل الباحثين إلى المفاهيم النفسية في التراث" (3مجلدات) الصادر عن المعهد العالمي للفكر الإسلامي (1412هـ) والذي بدأ بعلماء من القرن الأول وأنتهي بعالم معاصر، فقرر الباحث أن يختار العلماء في الطبقات الأولى والثانية والثالثة من المصادر الثلاثة السابقة، ثم استكمل اختيار علماء الطبقة الرابعة وكذلك عالم من الطبقة الخامسة من المصدر الأخير، ثم أختار الباحث عالمين لاستكمال علماء الطبقة الخامسة. وهذا توزيع العلماء على الطبقات الخمس:

أولاً: الطبقة الأولى (1-300هـ):

ابن المقفع (142هـ)، المحاسبي (243هـ)، الجاحظ (255هـ).

ثانياً: الطبقة الثانية (301-600هـ):

ابن مسكوية (421هـ)، أبوحامد الغزالي (505هـ)، ابن الجوزي (597هـ).

ثالثاً: الطبقة الثالثة (601-900هـ):

فخرالدين الرازي (606هـ)، ابن تيمية (728هـ)، ابن قيم الجوزية (751هـ).

رابعاً: الطبقة الرابعة (901-1200هـ):

السيوطي (911هـ)، المغراوي (920هـ)، أبن حجر الهيثمي (973هـ).

خامساً: الطبقة الخامسة (1201هـ فما بعدها):

القاسمي (1332هـ)، عبدالرحمن السعدي (1376هـ)، محمد قطب (معاصر).

وسنحاول في الصفحات التالية تقديم نماذج من كتابات كل عالم من هؤلاء العلماء حول الإنسان والنفس الإنسانية، مسبوقة بتعريف مختصر به.

أولاً: الطبقـــــة الأولـــــى (1-300هـ)

1) ابـــــن المقفـــــــع (106-142هـ):

هو عبدالله بن المقفع: أصله من فارس، ولد في العراق (106هـ) مجوسياً وأسلم على يد عيسى بن علي (هم السفاح) وولي كتابة الديوان للمنصور العباس، وترجم له كتب أرسطو طاليس الثلاثة في المنطق وكتاب المدخل إلى علم المنطق، وترجم عن الفارسية كتاب كليلة ودمنة، ومن كتبه الأدب الصغير والأدب الكبير، والصحابة، واليتيمة. ومات أبن المقفع مقتولاً عام 142هـ.

يتحدث ابن المقفع على أهمية محاسبة النفس وعدم تركها لهواها المهلكة له دنيا وآخرة، فيقول:

(على العاقل مخاصمة نفسه ومحاسبتها والقضاء عليها والإثابة والتنكيل بها. أما المحاسب، فيحاسبها بما لها، فإنه لا مال لها إلا أيامها المعدودة التي ما ذهب منها لم يستخلف كما تستخلف النفقة، وما جعل منها في الباطل لم يرجع إلى الحق، فيتنبه لهذه المحاسبة عند الحول إذا حال (نهاية العام)، والشهر إذا انقضى، واليوم إذا ولى، فينظر فيما أفنى من ذلك، وما كسب لنفسه، وما اكتسب عليها في أمر الدين وأمر الدنيا. فيجمع ذلك في كتاب فيه إحصاء/ وجِّد، وتذكير للأمور، وتبكيت للنفس وتذليل لها حتى تعترف وتذعن.

وأما الخصومة، فإن من طباع النفس الآمرة بالسوء أن تدَعي المعاذير فيما مضى، والأماني فيما بقي، فيرد عليها معاذيرها وعللها وشبهاتها.

وأما القضاء، فإنه يحكم فيما أرادت من ذلك على السيئة بأنها فاضحة مردية موبقة، وللحسنة بأنها زائنة منجية مربحة.

وأما الإثابة والتنكيل، فإنه يسر نفسه بتذكر تلك الحسنات ورجاء عواقبها وتأميل فضلها، ويعاقب نفسه بالتذكر للسيئات والتبشع بها والاقشعرار منها والحزن عليها.

فأفضل الناس ذوي الألباب أشدهم لنفسه بهذا أخذاً (إلزام نفسه) وأقلهم عنها فيه فترة (تهاون وتقصير))(الأدب الصغير والأدب الكبير، ص52-53).

يرسم ابن المقفع في هذا المقطع صورة عن ما يجب على المرء أن يعمله مع نفسه، بحسن قيادتها نحو الخير وأبعادها عن الشر باستخدام أساليب الثواب والعقاب المناسبة، حتى تنقاد له وتسير على الطريق الصحيح، ويتحكم فيها بدلاً عن تتحكم فيه.

وفي موضع آخر يذكر ابن المقفع لزوم إحصاء محاسن النفس ومساوئها، فيقول:

(وعلى العاقل أن يحصي على نفسه مساويها في الدين وفي الأخلاق وفي الآداب، فيجمع ذلك كله في صدره أو في كتاب، ثم يكثر عرضه على نفسه، ويكلفها إصلاحه، ويوظف ذلك عليها توظيفاً من إصلاح الخلة والخلتين والخلال في اليوم أو الجمعة أو الشهر. فكلما أصلح شيئاً محاه، وكلما نظر إلى محو استبشر، وكلما نظر إلى ثابت اكتأب.

وعلى العاقل أن يتفقد محاسن الناس ويحفظها على نفسه، ويتعهدها بذلك مثل الذي وصفنا في إصلاح المساوئ. وعلى العاقل أن لا يخادن ولا يصاحب ولا يجاور من الناس، ما استطاع، إلا ذا فضل في العلم والدين والأخلاق فيأخذ عنه، أو موافقاً له على إصلاح ذلك فيؤيّد ما عنده، وإن لم يكن له عليه فضل. فإن الخصال الصالحة من البر لا تحيا ولا تنمى إلا بالموافقين والمؤيدين. وليس لذي الفضل قريب ولا حميم أقرب إليه ممن وافقه على صالح الخصال فزاده وثبّته)(الأدب الصغير والأدب الكبير، ص54-55).

ويتحدث عن حاجات الجسد، وأهمية ما ينفعه ويضره فيقول:

(وأصل الأمر في إصلاح الجسد إلا تحمل عليه من المآكل والمشارب والباه إلا خفاقاً، وأن قدرت على أن تعلم جميع منافع الجسد ومضاره والانتفاع بذلك فهو أفضل)(اليتيمة، ص16).

ونختم بمقطع يتحدث فيه ابن المقفع عن أربع ساعات ضرورية للإنسان لا بد له منها لإصلاح نفسه في العاجل والآجل، حيث يقول:

(وعلى العاقل، ما لم يكن مغلوباً على نفسه، أن لا يشغله شغل عن أربع ساعات: ساعة يرفع فيها حاجته إلى ربه، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يفضي فيها إلى أخوانه وثقاته الذين يصدقونه عن عيوبه وينصحونه في أمره، وساعة يخلي فيها بين نفسه وبين لذتها مما يحل ويجمل، فإن هذه الساعة عون على الساعات الأخر، وإن استجمام القلوب وتوديعها زيادة قوة لها وفضل بلغة))(الأدب الصغير والأدب الكبير، ص55-56).

وتطبيق مبدأ الساعات الأربع يكفل للإنسان رسم معالم حياة سعيدة في الدنيا والآخرة.

2) المحاسبـــــــــي (165- 243هـ):

هو أبوعبدالله الحارث بن أسد المحاسبي. ولد في البصرة عام 165هـ. عرف بالمحاسبي لأنه كان يحاسب نفسه، وقيل: كانت له حصى يعدها ويحسبها حالة الذكر. عاش في عصر تيارات فكرية مختلفة متصارعة كالقدرية والجهمية والمعتزلة إلى جانب أهل السنة والجماعة. وقد عرف عنه الزهد حتى أنه لم يرث من مال والده شيئاً لأنه يرى والده مات على مذهب باطل، وقال: أهل ملتين لا يتوارثان. عرف بالتصوف والزهد مع محاسبة النفس ، كما عرف بتمسكه بالسنة. له العديد من المؤلفات منها: الوصايا، المسائل في أعمال القلوب والجوارح، والمكاسب، والعقل، ومعاتبة النفس، وآداب النفوس، والرعاية لحقوق الله. وتوفي سنة 143هـ في بغداد.

تحدث المحاسبي عن ضرورة تيقظ الإنسان إلى مراقبة قلبه لينجو في الدنيا والآخرة فيقول:

(ثلاث خلال تلزمها قلبك:

الخلة الأولى: الإيمان بأن المقدور يأتي، وأن ما لم يقدر لا تناله، والغنى بالله. فمن ألزم قلبه ذلك أورثه ثلاث خصال: أحدها: أن يأمن قلبه أن يفوته ما قدر له. والثانية: أن ييأس أن ينال ما لم يقدر له. فمن ألزم قلبه أن رزقه لا يفوته، والإياس أن ينال ما لم يقدر له استغنى، وقل همه وخضوعه للخلق، والمدارة لهم، لأن ينال منهم منفعة، فهذا المستغنى عن غير الله.

الخلة الثانية: الحذر من الله تعالى أن يغفل فيزل، فيسقط من عينه، لأن الحذر يوقظه، والتيقظ يذكره، والذكر ينبهه، حتى يراقب مليكه.

والخلة الثالثة: ذكر اطلاع الله عليه في ضميره، وجوارحه، فإن ذلك يورثه الحياء من الله عز وجل. فإن عرض له شئ كرهه ربه ذكر النظر، وخاف المقت إن ركن إلى ذلك)(معاتبة النفس، ص34-36).

يرسم المحاسبي ما يصلح الإنسان والنفس الإنسانية فيقول:

(أعلم يا أخي أن الله جل ذكره قد افترض فرائض ظاهرة وباطنه، وشرع لك شرائع، دلك عليها، وأمرك بها، ووعدك على حسن أدائها جزيل الثواب، وأوعدك على تضييعها أليم العقاب، رحمة لك، وحذرك نفسه شفقة منه عليك ... فإذا أنت عرفت الحق، فأقررت به، ودلك الحق على أن لله عليك من الفرائض الظاهرة فرضاً باطناً، هو: تصحيح السرائر، واستقامة الإرادة، وصدق النية، ومفاتشة الهمة، ونقاء الضمير، من كل ما يكره الله، وعقد الندم على جميع ما مضى من التوائب بالقلب والجوارح على ما نهى الله عنه)(آداب النفوس، ص 32-34).

ويؤكد حرص النفس على الدنيا ولزوم مقاومة هواها وتعليقها بالآخرة لتكون النتيجة النجاة والفوز، فيقول:

(فإذا قطع عليها العبد الطمع من أساب الدنيا، وغلب بعقله هواها، رجعت بطمعها إلى أساب الآخرة لا محالة، لأنها بنيت على الطمع ... فجدت في طلبها واجتهدت، وعزفت عن الدنيا، وباينت الهوى، وخالفت العدو، وتبعت العلم، وكانت مطبة للعقل، صابرة على ما يدل عليه الحق، فنجت وأنجت،) (آداب النفوس، ص39).

ويعرج المحاسبي على الشيطان وأنه أضر ما يكون على الإنسان والنفس الإنسانية فيقول:

(وإن إبليس إنما يسور عليك في الآثام من وسوسة نفسك، وخراب قلبك. وخرابه إنما يكون إذا كان فارغاً من الخوف اللازم، والحزن الدائم، فحينئذ ينفث فيه بالوسوسة لآمال الدنيا، والجمع لها، مخافة فقرها، مع لزوم طول الأمل لقلبك، وأعراضه عن الله تعالى، وانقطاع مواد عظمة الله منه، وفراغه من الهيبة والحياء منه. ... يرى العبد بنور قلبه مداخل إبليس، فيرميه بالإنكار لما يدعو إليه، ويعتصم بما أيده الله به من نور قلبه، فيدحره عنه، فولي الخبيث إلى قلب قد فقد الخوف، فخرب وأظلم، فلا نور فيه)(آداب النفوس، ص 40-41).

ويبين المحاسبي رغبة النفس الإنسانية بعاجل حظ الدنيا وغفلتها عن الآخرة فيقول:

(أن تعرف كيف بنيت في طبائعها وهيئتها. وكيف استثقالها لطريقة نجاتها من غير بغض للنجاة، ولكن كراهية لحمل المؤن، (وكراهية) لترك

محبوبها من عاجل الدنيا... هذا مع إقرارها بأن ثواب الآخرة وعقابها أعظم وأبقى، وأن محبوبات الدنيا ومكروهها دنئ فان)(المسائل في أعمال القلوب والجوارح والمكاسب والعقل، ص148).

ويؤكد المحاسبي أن الإنسان يلزم معرفة ربه وتحقيق العبودية من وجوده في هذه الدنيا فيقول:

(أن تعلم أنك عبد مربوب، لا نجاة لك إلا بتقوى سيدك جل وعز ومولاك، ولا هلكة عليك بعدها ... فإذا علمت ذلك أنه لا نجاة للمربوب المتعبد إلا بطاعة ربه ومولاه، وأن الدليل على طاعة ربه ومولاه عز وجل العلم ثم العمل بأمره ونهيه، في مواضعه وعلله وأسبابه، ولن يجد ذلك إلا في كتاب ربه وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم، لأن الطاعة سبيل النجاة، والعلم هو الدليل على السبيل. فأصل الطاعة: الورع، وأصل الورع: التقوى، وأصل التقوى: محاسبة النفس، وأصل محاسبة النفس: الخوف والرجاء. والدليل على محاسبة النفس: العلم بما تعبّد الله عز وجل به خلقه في قلوبهم وجوارحهم. وكذلك أهل الدنيا، لا يعالجون الأعمال، ولا يتكلفون التجارات، إلا ببصر قد تقدم منهم، وعلم بما يعملون، وبما يبتاعون ويبيعون)(الرعاية لحقوق الله، ص63-64).

3) الجاحـــــــظ: (160 - 255هـ):

هو أبو عثمان عمرو بن بحر الكناني، الملقب بالجاحظ، لجحوظ عينيه أي بارزتين. ولد بالبصرة سنة 160هـ في زمن الدولة العباسية وعاش وتعلم على علماءها، وكان شيخه في الاعتزال أبو إسحاق إبراهيم بن سيار النظام. أطلع على كتب الفلاسفة والأطباء والمتكلمين، وأطلع على الثقافتين اليونانية والفارسية. أشتهر بالبلاغة وعمق الكتابة اللغوية، كما كتب عن كل ما تقع عليه حواسه من الحيوان والنبات والإنسان. له مؤلفات كثيرة تربو على مائة وخمسين مؤلفاً. لعل من أشهرها: الحيوان، والبخلاء، والبيان والتبيين، ودلائل النبوة، وكتاب الطفيليين، والفرق بين النبي والمتنبي. توفي بالبصرة سنة 255هـ.

يتحدث الجاحظ عن الطبيعة الإنسانية المحتاجة للآخرين حتى تعيش لكونه صفة لازمة له فيقول:

(ثم أعلم ــ رحمك الله ــ أن حاجة بعض الناس إلى بعض صفة لازمة في طبائعهم، وخلقة قائمة في جواهرهم، وثابتة لا تزايلهم، ومحيطة بجماعاتهم، ومشتملة على أدناهم وأقصاهم ... ولم يسخَر لهم جميع خلقه إلا وهم يحتاجون إلى الارتفاق بجميع خلقه. وجعل الحاجة حاجتين: إحداهما قوام وقوت، والأخرى لذة وإمتاع، وازدياد في الآلة، وفي كل ما أجذل النفوس وجمع لهم العتاد. وذلك المقدار من جميع الصنفين وفق لكثرة حاجاتهم وشهواتهم، وعلى قدر اتساع معرفتهم وبعد غورهم، وعلى قدر احتمال طبع البشرية، وفطرة الإنسانية)(تهذيب الحيوان، ج1 ،ص 6-7).

ويتحدث عن مزج الخير بالشر في الإنسان والكون كله فيقول:

(أعلم أن المصلحة في ابتداء أمر الدنيا إلى انقضاء مدتها، امتزاج الخير بالشر، والضار بالنافع، والمكروه بالسار، والضعة بالرفعة، والكثرة بالقلة. ولو كان الشر صرفاً هلك الخلق، أو كان الخير محضاً سقطت المحنة، وتقطعت أسباب الفكرة. ومع عدم الفكرة يكون عدم الحكمة)(تهذيب الحيوان، ج1، ص 23).

يحذر الجاحظ من صفة نفسية سيئة هي البخل، وأنه يحتاج لمجاهدة النفس للتخلص منه فيقول:

(كعجبي ممن قد فطن إلى لبخله وعرف إفراط شحه، وهو في ذلك يجاهد نفسه ويغالب طبعه، ولربما ظن أن قد فطن له وعرف ما عنده، فموه شيئاً لا يقبل التمويه، ورقع خرقا لا يقبل الرقع. فلو أنه كما فطن لعيبه وفطن لمن فطن لعيبه، فطن لضعفه عن علاج نفسه وتقويم أخلاطه، وعن استرجاع ما سلف من عاداته، وعن قلبه أخلاقه المدخوله إلى أن تعود سليمة، لترك تكلف ما لا يستطيعه ولربح الإنفاق على من يذمه، ولما وضع على نفسه الرقباء ... وأن كانت الحروب بينك وبين طباعك سجالاً وكانت أسبابكما أمثالاً وأشكالاً، أجبت الحزم إلى ترك التعرض وأجبت الاحتياط إلى رفع التكلف، ورأيت أن من حصل السلامة من الذم فقد غنم، وأن من آثر الثقة على التغرير فقد حزم، وذكرت أنك إلى معرفة هذا الباب أحوج، وأن ذا المروة إلى هذا العلم أفقر)(البخلاء، ص 3-4).

ويقدم الجاحظ في كتابه المحاسن والأضداد وصفاً لعدد من أخلاق الإنسان بشكل أضداد مثل الشجاعة والجبن والصدق والكذب، وفي كل صفة يورد ما تيسر له من أحاديث نبوية شريفة أو قصص أو أبيات شعر تبين ما يريد من دعوة إلى خلق أو تحذير من آخر(المحاسن والأضداد).

ويقرر الجاحظ مجموعة من الأخلاق في تعامل الإنسان مع غيره عندما يكون يطلب شيئاً (وهو الآمل) أو يطلب منه شئ (وهو المأمول)ــ فيصف ذلك بقوله:

(على الآمل بل على الناس أجمعين صون الوجه عن المسألة ورجاء الله عز وجل واليأس من الناس، فإن اضطر إلى ذلك فالإجمال في الطلب والتلطف للمأمول بعد الوسيلة بدعاء يبعثه على الإسعاف، فإن تأخرت الحاجة فالتؤدة والرفق وتجنب العجلة والخرق، ثم الحث في الطلب والمخاطرة وترك التسويف والتواني، ثم حسن الاقتضاء، ثم استبطاء المواعيد، ثم الإلحاح والوعيد .وليس بعدهما إلا الشكر إن أسعف، ونشر صنيعته إن أولى، والحمد والمدح إن أنعم .وعليه أن لا يلوم مع العذر ويحتاج إلى ذم المستذم، ومن منع مع قدرةٍ فعليه التلطف في هذه المعاني، وليس عليه أن يساعده القدر .

وعلى المأمول أن لا يماطل بعد الرغبة في اصطناع المعروف، ولقاء الآمل بالبشر، وترك التجهم، والإعطاء قبل المسألة، والمبادرة إلى قضاء الحاجة قبل فوت القدرة، وشكر السائل على إنبساطه، وإيضاح العذر إن تعذرت الحاجة، والتلطف في الاحتجاج بالمدافعة، وترك الوعد حتى يجد إنجازاً، واليأس قبل المطل، ومنع غير المستحق .وعليه أن لا يفسد الصنيعة بالمن إلا أن أكفرها وليها، وفي الآمل ذلة وحيرة)(الآمل والمأمول، ص2).

ويتحدث الجاحظ عن خصيصة من خصائص الإنسان وهي التصاقه بوطنه وتعلقه به فيقول:

(قالت العجم: من علامة الرشد أن تكون النفس إلى مولدها مشتاقة، وإلى مسقط رأسها تواقة. وقالت الهند: حرمة بلدك عليك كحرمة أبويك ــ لأن غذاءك منهما وأنت جنين ــ وغذاءهما منه ... وقال آخر: تربة الصبا تغرس في القلب حرمة وحلاوة ــ كما تغرس الولادة في القلب رقة وحفاوة ... وقال آخر: عسرك في دارك أعز لك من يسرك في غربتك ... وقال بعض الفلاسفة: فطرة الرجل معجونة بحب الوطن)(الحنين إلى الأوطان، ص 7-10).

ويؤكد الجاحظ على أن من أول أولويات الإنسان معرفة الله وكيف خلق الإنسان في أحسن التقويم وما يترتب على ذلك من طاعة الله ثم يعلم ما علمه للآخرين لتعزيز الإيمان في النفوس ومقاومة الشيطان الذي يريد صرف الإنسان عن طاعة الله فيقول:

(فحق على من أنعم الله عليه بمعرفته ووقفه لتأمل هذه الخلقة والوقوف على ما في خلقها من لطف التدبير وصواب التقدير بالدلائل القائمة فيها أن لا تقصر في إظهار ما بلغه علمه من ذلك. بل يجهد في

نشره وإذاعته وإيراده على المسامع والأذهان لتقوى دواعي الإيمان وتخييب مكيدة الشيطان في تضليل الوهم، محتسباً الثواب في ذلك واثقاً بعون الله وتأييده إياه)(الدلائل والاعتبار على الخلق والتدبير، ص5).

تعليـــــــق

من خلال المقتطفات التي عرضناها لعلماء الطبقة الأولى يتبين أن أبن المقفع والحارث المحاسبي غلب على طرحهما الجانب الوعظي الذي يؤكد على محاسبة النفس لكي تتروض وتسير وفق ما أراد الله لها أن تكون عليه في هذه الحياة الدنيا، وضرورة ترغيب الإنسان بالآخرة وزهده بالدنيا وزخرفها، والتحذير من هوى النفس والشيطان المؤديان إلى هلاك الإنسان. بينما الجاحظ غلب على طرحه الجانب العقلي الذي يقارن بين الأمور والأخلاق وكيف أن على الإنسان أن يختار بعقله ما هو حسن ويترك ما هو قبيح من الأعمال والأخلاق. وكذلك كيفية تعامل الإنسان مع غيره في الأخذ والعطاء بطرق منطقية تحقق المطلوب لكونه جزء من وطن يتشارك الأفراد فيه محبة وعطاءً.

الطبقـــــــة الثانيـــــــة: (301 - 600هـ):

1) أبـــــن مسكويـــــــة (325 - 421هـ:

هو أحمد بن محمد بن يعقوب مسكوية، ولد بالري سنة 325هـــ. وهو مؤرخ بحاثة، أصله من الري وسكن أصفهان وتوفي بها. اشتغل بالفلسفة والكيمياء والمنطق مدة، ثم أولع بالتأريخ والأدب. عمل خازن لمكتبة ابن العميد واستفاد منها الكثير. له العديد من المؤلفات منها: تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، والفوز الأصغر، وترتيب السعادة، وتجار الأمم. وتوفي في أصفهان سنة 421هـــ.

يبين ابن مسكوية أن النفس البشرية ليست جسماً ولا جزءاً من جسم فيقول:

(إنا لما وجدنا في الإنسان شيئاً ما يضاد أفعال الأجسام وأجزاء الأجسام بحده وخواصه، وله أيضا تضاد أفعال الجسم وخواصه، حتى لا يشاركه في حال من الأحوال. وكذلك نجده يباين الأعراض ويضادها كلها غاية المباينة. ثم وجدنا هذه المباينة والمضادة منه للأجسام والأعراض إنما هي من حيث كانت الأجسام أجساماً والأعراض أعراضاً، حكمنا بأن هذا الشئ ليس بجسم ولا جزءاً من جسم ولا عرض، وذلك أنه لا يستحيل ولا يتغير، وأيضاً فإنه يدرك جميع الأشياء بالسوية ولا يلحقه فتور ولا كلال ولا نقص ... وأيضاً فإن تشوقها إلى ما ليس من طباع البدن وحرصها على معرفة حقائق الأمور الإلهية وميلها إلى الأمور التي هي أفضل من الأمور الجسمية، وإيثارها لها وانصرافها عن الأمور واللذات الجسمانية، يدلنا دلالة واضحة أنها جوهر أعلى وأكرم جداً من الأمور الجسمانية لأنه لا يمكن في شئ من الأشياء أن يتشوق ما ليس من طباعه وطبيعته، ولا أن ينصرف هما يكمل ذاته، ويقوم جوهره) (تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، ص29-31).

ويتحدث ابن مسكوية عن خطأ الحواس وأن الذي يقرر هذه هو النفس فيقول:

(وأيضاً فإن الحواس تدرك المحسوسات فقط، وأما النفس فإنها تدرك أسباب الاتفاقات وأسباب الاختلافات التي من المحسوسات، وهي معقولاتها التي لا تستعين عليها بشئ من الجسم ولا آثار الجسم. وكذلك إذا حكمت على الحس أنه صدق أو كذب فليست تأخذ هذا الحكم من الحس، لأن الحس لا يضاد نفسه في ما يحكم فيه. ونحن نجد النفس العاقلة فينا تدرك شيئاً كثيراً من خطأ الحواس في مبادئ أفعالها وترد عليها إحكامها. من ذلك أن البصر يخطئ في ما يراه من قرب ومن بعد ... فإذن علمها بأنها علمت ليس بمأخوذ من علم آخر البتة، بل هو من ذاتها وجوهرها، أعني العقل) (تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، ص32-33).

ويبين ابن مسكوية أن للنفس ثلاث قوى (فكرية وغضبية وشهوية) فيقول:

(وقد تبين للناظر في أمر هذه النفس وقواها، أنها تنقسم إلى ثلاثة أقسام، أعني:

(القوة) التي بها الفكر والتمييز والنظر في حقائق الأمور.

(والقوة) التي بها يكون الغضب والنجدة، والإقدام على الأهوال والشوق إلى التسلط والترفع، وضروب الكرامات.

(والقوة) التي بها تكون الشهوة وطلب الغذاء والشوق إلى الملاذ، التي في المآكل والمشرب والمناكح وشروب اللذات الحسية، وهذه الثلاث متباينة. ويعلم من ذلك أن بعضها أذا قوي أضر بالآخر، وربما أبطل إحداهما فعل الأخرى، وربما جعلت نفوساً وربما جعلت قوى لنفس واحدة)((تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، ص37).

ويتحول ابن مسكوية إلى أخلاق الإنسان وأن منها ما هو طبعي وراثي ومنها ما هو مكتسب فيقول:

(الخلق حال للنفس داعية لها إلى أفعالها من غير فكر ولا روية. وهذه الحال تنقسم إلى قسمين:

منها ما يكزن طبيعياً من أصل المزاج، كالإنسان الذي يحركه أدنى شئ نحو غضب ويهيج من أقل سبب، وكالإنسان الذي يجبن من إيسر شئ كالذي يفزع من أدنى صوت يطرق سمعه أو يرتاع من خبر سمعه، وكالذي يضحك ضحكاً مفرطاً من أدنى شئ يعجبه، وكالذي يغتم ويحزن من أيسر شئ يناله. ومنها مل يكون مستفاداً بالعادة والتدريب، وربما كان مبدوءه الفكر، ثم يستمر عليه أولاً فأولاً حتى يصير ملكه وخلقاً)((تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، ص51).

ويتحدث عن إكساب الطفل الأخلاق الحسنة عن طريق القدوة ومدح أعمال الطفل الحسنة فيقول:

(فالأولى بمثل هذه النفس أن تنبه أبداً على حب الكرامة، ولا سيما ما يحصل له منها بالدين دون المال، وبلزوم سننه ووظائفه، ثم يمدح الأخيار عنده ويمدح هو في نفسه إذا ظهر شئ جميل منه، ويخوف من المذمة على أدنى قبيح يظهر منه، ويؤاخذ باشتهائه للمآكل والمشارب والملابس الفاخرة، ويزين عنده خلف النفس والترفع عن الحرص في المآكل خاصة واللذات عامة)((تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، ص70).

ويذكر ابن مسكوية إصابة الإنسان بالأمراض النفسية كما يصاب بالأمراض الجسمية، فيقول:

(وذلك إنا كما نرى المريض من جهة بدنه لا سيما أن كان سبب أمراضه أحد الجزأين الشريفين، أعني الدماغ والقلب، يتغير عقله ويمرض حتى ينكر ذهنه وفكره وتخيله وسائر قوى نفسه الشريفة، ويحس هو من نفسه بذلك. كذلك أيضاً نرى المريض من جهة نفسه إما بالغضب وإما بالحزن، وإما بالعشق وإما بالشهوات الهائجة، به تتغير صورة بدنه حتى يضطرب ويرتعد ويصفر ويحمر ويهزل ويسمن، ويلحقها ضروب التغير المشاهدة بالحس)((تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، ص151).

ويتحدث أبن مسكوية عن السعادة فيقول:

(ولما نظروا في غاية الإنسان وكماله الأقرب وجدوا الناس مختلفين ورأوهم مع اختلافهم لا يشكون في أن لهم غاية وإنما اختلافهم في أي الغايات هي وكل واحد منهم قد نصب غاية لنفسه يقصدها بسعيه ويسميها سعادة له، كمن يسعى للذة أو للثروة أو للصحة أو للغلبة أو للعلم وإنما أتوا في هذا الاختلاف من قبل أنهم لم يلحظوا الكمال البعيد أنى السعادة القصوى)(السعادة ص41).

ونختم بعبارة لأبن مسكوية حول سعادة الإنسان بارتفاعه وقربه من الله وشقاوته بنزوله وبعده عن الله فيقول:

(أن للنفس جهتين من الحركة: إحداهما نحو ذاتها وهي التي تحركها نحو العقل الذي هو أول مبدع لله تعالى، والذي لا تنقطع مادة مباديه بوجه ولا سبب، والأخرى نحو الآلات الطبيعية لتكمل الأجرام الهيولانية، علم أن أحدى الجهتين هي التي تسوقها إلى سعادتها وبقائها اللائق بها، والأخرى هي التي تحطها وتخرجها عن ذاتها ... وبالجملة فإن الجهة الأولى من الحركة كلما أمعنت فيها النفس توحدت بها، وتداخلت إلى ذاتها، ونوجهت نحو باريها ومبدعها الواحد الذي به وجدت الوحدة في كل موجود وبه دام البقاء السرمد لما دام. وأما الجهة الأخرى من الحركة كلما أمعنت فيها تشبثت بها وتكثرت، وخرجت بها عن ذاتها، وحفَها من الشقاء ما تقتضيه هذه الحال)(الفوز الأصغر، ص63 ــ64).

2) أبـــــوحامـــــد الغزالـــــي: (450- 505هـ):

هو محمد بن محمد الغزالي الطوسي، أبوحامد. ولد في الطابران (من مدن طوس بخراسان) عام 450هـــ. في عصر انتشرت فيه الفتن الدينية والسياسية، في بداية حياته تتلمذ على عدد من المتصوفين في طوس، وعند بلوغه سن العشرين بدأ الترحل إلى جرجان ثم نيسابور ثم بغداد فالحجاز فبلاد الشام فمصر. وأخيراً عاد إلى بلدته طوس وأتخذ إلى جانب داره مدرسة للفقهاء والصوفية حتى وفاته. وقد تنقل بين الصوفية والفلسفة ثم العناية بالسنة، وقيل أنه توفي وصحيح البخاري على صدره. له مؤلفات كثيرة، منها: إحياء علوم الدين، وتهافت الفلاسفة، والاقتصاد في الاعتقاد، والمنقذ من الضلال، والتبر المسبوك في نصائح الملوك، والقسطاس المستقيم، وكيمياء السعادة، ومنهاج العابدين، توفي بطوس سنة 505هـــ.

يعتبر كتاب إحياء علوم الدين أشهر كتب أبوحامد الغزالي، وفيه تصور لكل ما يحتاجه الإنسان في هذه الحياة، في أربعة أرباع هي العبادات والعادات والمهلكات والمنجيات فيقول:

(ويشتمل ربع العبادات على عشرة كتب: كتاب العلم، وكتاب قواعد العقائد، وكتاب أسرار الطهارة، وكتاب أسرار الصلاة، وكتاب أسرار الزكاة، وكتاب أسرار الصيام، وكتاب أسرار الحج، وكتاب آداب تلاوة القرآن، وكتاب الأذكار والدعوات، وكتاب ترتيب الأوراد في الأوقات.

وأما ربع العادات فيشتمل على عشرة كتب: كتاب آداب الأكل، وكتاب آداب النكاح، وكتاب أحكام الكسب، وكتاب الحلال والحرام، وكتاب آداب الصحبة والمعاشرة مع أصناف الخلق، وكتاب العزلة، وكتاب آداب السفر، وكتاب السماع والوجد، وكتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكتاب آداب المعيشة وأخلاق النبوة.

وأما ربع المهلكات فيشتمل على عشرة كتب: كتاب شرح عجائب القلب، وكتاب رياضة النفس، وكتاب آفات الشهوتين: شهوة البطن وشهوة الفرج، وكتاب آفات اللسان، وكتاب آفات الغضب والحقد والحسد، وكتاب ذم الدنيا، وكتب ذم المال والبخل، وكتاب ذم الجاه والرياء، وكتاب ذم الكبر والعجب، وكتاب ذم الغرور.

وأما ربع المنجيات فيشتمل على عشرة كتب: كتاب التوبة، وكتاب الصبر والشكر، وكتاب الخوف والرجاء، وكتاب الفقر والزهد، وكتاب التوحيد والتوكل، وكتاب المحبة والشوق والأنس والرضا، وكتاب النية والصدق والإخلاص، وكتاب المراقبة والمحاسبة، وكتاب التفكر، وكتاب ذكر الموت)(إحياء علوم الدين، ج1، ص 2ــ3).

وهذه العناوين شملت كل ما يحتاجه الإنسان ليسير في هذه الحياة الدنيا على هدى وصلاح ويفوز بالآخرة بالجنة والنعيم، متى ما طبق ما ورد في هذا الكتاب.

ويتناول أبوحامد الغزالي القلب والروح والنفس والعقل بشرح وتفصيل طويل، ويمكن الخروج بخلاصته فيما يلي:

(القلب يشير إلى أعمق الأفكار وأبعدها غوراً في طبيعة الإنسان وهو المسئول تجاه الله وهو الذي يخاطب ويحاسب، وتبدو الشهوات غريبة عن هذا القلب، وعلاقته بالقلب الجسماني علاقة معنوية لا مادية.

أما الروح فإنها تدل أيضاً على هذه اللطيفة الإلهية، ولها بالجسم تعلق بواسطة الروح الحيواني، وهي المرجع الأعلى للمعرفة والمسئولة عن ومضات الرؤية والكشف، عندما يتحرر الإنسان من كل شعور محسوس.

والنفس مرتبطة بالتنفس وباللذات والشهوات الدنيوية وتكون على ثلاثة أحوال: مطمئنة أو لوامة أو أمارة.

أما العقل فإنه يدل على نوع المعرفة وعلى المستوى العقلي لتطور الإنسان)(العثمان، الدراسات النفسية عند المسلمين والغزالي بوجه خاص، ص66).

ويرسم أبوحامد الغزالي العقبات التي يمكن أن تعترض الإنسان في عبادته فيقول:

(فهذا الترتيب الذي ألهمني مولاي في طريق العبادة. فأعلم الآن بتوفيق الله أن الحاصل من الجملة سبع عقبات الأولى عقبة العلم، الثانية عقبة التوبة، الثالثة عقبة العرائق عقبة العوارض، الخامسة عقبة البواعث، السادسة عقبة القوادح، السابعة عقبة الحمد والشكر)(منهاج العابدين، ص20).

ونختم بتناول أبوحامد الغزالي لسلوك إنساني رفيع وهو العدل والإحسان إلى الخلق حيث يقول:

(وقد أمر الله تعالى بالعدل والإحسان جميعاً، والعدل سبب النجاة فقط، وهو يجري من التجارة مجرى رأس المال. والإحسان سبب الفوز ونيل السعادة، وهو يجرى من التجارة مجرى الربح، ولا يعد من الغفلاء من قنع من الدنيا برأس ماله، فكذا في معاملات الآخرة، فلا ينبغي للمتدين أن يقتصر على العدل واجتناب الظلم ويدع أبواب الإحسان، وقد قال الله ((وأحسن كما أحسن الله إليك)) وقال عز وجل ((إن الله يأمر بالعدل والإحسان)) وقال سبحانه ((إن رحمت الله قريب من المحسنين)) ونعني بالإحسان: فعل ما ينتفع به المعامل، وهو غير واجب عليه، ولكنه تفضل منه، فإن الواجب يدخل في باب العدل وترك الظلم)(احياء علوم الدين، ج2، ص79).

3) أبـــــن الجـــــوزي: (510-597هـ):

هو أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي، وهوعربي قرشي يتصل نسبه بأبي بكر الصديق رضي الله عنه. ولد ببغداد سنة 510هـ. نشأ يتيماً حيث توفي والده وعمره ثلاث سنين، حفظ القرآن الكريم صغيراً، وسمع الحديث، وتعلم اللغة والأدب والتاريخ، وتمرن على الوعظ. وقد مكنه نبوغه من أن يتصدى للوعظ وهو لم يصل سنة العشرين سنة 527هـ. وأستمر في التدريس والوعظ والكتابة، حيث بلغت مؤلفاته ما ربو على المائتين، ومنها: ذم الهوى، وصيد الخاطر، والعزلة، والمدهش، والطب الروحاني، والثبات عند الممات، ورسالة إلى ولدي، وتلبيس إبليس، والأذكياء، والشفاء في مواعظ الملوك والخلفاء، توفي في بغداد سنة 597هـ.

القلب هو أهم ما في الجسد بصلاحه تصلح باقي الأعضاء وبفساده تفسد ، وهو في الأصل سليم على الفطرة ، ولكن يأتيه الخلل والصدأ من الذنوب والمعاصي التي تفسد عليه صفاءه وسلامته فيصبح لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً . ولكن يمكن علاج صدأ القلب . يقول ابن الجوزي:

(اعلم أن القلب في أصل الوضع سليم من كل آفة ، والحواس الخمس توصل إليه الأخبار فترقم في صفحته . فينبغي أن يستوثق من سد الطرق التي يخشى عليه منها الفتن ، فإنه إذا اشتغل بشيء منها أعرض عما خلق له من التعظيم للخالق والفكر في المصالح ، ورب فتنة علق به شباها ، فكانت سبباً في هلاكه ... عن أبي هريرة ، قال : قال رسول اللّـــه ﷺ : ((إن المؤمن إذا أذنب كانت نكته سوداء في قلبه ، فإن تاب ونزع واستغفر صقل قلبه ، وإن زاد زادت حتى تعلو قلبه، فذلك الران الذي ذكر اللّـــه ﷻ في كتابه : ((كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون)) (المطففين : 14) قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح ... وقال يحيى ابن معاذ : سقم الجسد بالأوجاع ، وسقم القلوب بالذنوب ، فكما لا يجد الجسد لذة الطعام عند سقمه ، فكذلك القلب لا يجد حلاوة العبادة مع الذنوب ... عن ابن عمر قال : قال رسول اللّـــه ﷺ : ((إن هذه القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد . قيل : يا رسول اللّـــه ، فما جلاؤها ؟ قال : تلاوة القرآن)) ... إبراهيم الخواص يقول : دواء القلب خمسة أشياء : قراءة القرآن بالتدبر ، وخلاء البطن ، وقيام الليل ، والتضرع عند السحر ، ومجالسة الصالحين)(ذم الهوى، ص56-63) .

يؤكد ابن الجوزي على أن التقوى أهم ركائز حياة المسلم في هذه الدنيا ، فهي حفظ له في الدنيا والآخرة . والتقوى المطلوبة هي التقوى الصحيحة القائمة على الالتزام بما جاء في كتاب اللّـــه وسنة رسول الله ﷺ من العقيدة الصحيحة التي قوامها التوحيد والأقوال والأعمال التي نقلت عن رسول اللّـــه ﷺ بالأسانيد الصحيحة . ونتاج صحة التقوى رؤية الخير في كل الأمور الدينية والدنيوية . قال ابن الجوزي : (يا بني : ومتى صححت التقوى ، رأيت كل خير ، فالمتقي لا يرائي الخلق ، ولا يتعرض لما يؤذي دينه ، ومن حفظ حدود اللّـــه حفظ)(رسالة إلى ولدي، رسالة في الحث على طلب العلم، ص35).

كما يبين ابن الجوزي لابنه أن من أكثر الكنوز قيمة طاعة اللّـــه والابتعاد عن معصيته وحدوده والحذر من هوى النفس الأمارة بالسوء ، ففي ذلك السعادة (واعلم يا بني أن أوفى الذخائر : غض طرف عن محرم ، وإمساك فضول كلمه ، ومراعاة حد ، وإيثار اللّـــه تعالى على هوى النفس(رسالة إلى ولدي، رسالة في الحث على طلب العلم، ص36-37) .

ويؤكد أبن الجوزي أن السعادة بمخالفة الهوى وترك الدنيا فيقول:

(وما سعد من سعد إلا بمخالفة هواه ، ولا شقي من شقي إلا بإيثار دنياه)((رسالة إلى ولدي، رسالة في الحث على طلب العلم، ص21).

كما ينقل ابن الجوزي أثراً عن ذا النون يبين فيه خمس خصال إذا توفرت في المسلم كان من أهل السعادة في هذه الحياة الدنيا ، وإن كان توفر هذا الخصال قبل ساعات معدودة من موته .

(أخبرنا المحمدان ابن ناصر وابن عبدالباقي ... سمعت ذا النون يقول : من وجدت فيه خمس خصال رجيت له السعادة ولو قبل موته بساعتين ، قيل : ما هي ؟ قال : استواء الخلق ، وخفة الروح ، وغزارة العقل ، وصفاء التوحيد ، وطيب المولد)(الأذكياء، ص14).

ويشير ابن الجوزي إلى علامات العقل عند الإنسان ، وعند تفحص هذه العلامات نجد أنها مما يتزين به المسلم التقي الصحيح في نفسه

(يستدل على عقل العاقل بسكوته وسكونه وخفض بصره وحركاته في أماكنها اللائقة بها ومراقبته للعواقب فلا تستفزه شهوة عاجلة عقباها ضرر ، وتراه ينظر في القضاء فيتخير الأعلى والأحمد عاقبة من مطعم ومشرب وملبس وقول وفعل ، ويترك ما يخاف ضرره ويستعد لما يجوز وقوعه)(الأذكياء، ص14).

كما يدعو ابن الجوزي إلى التمسك بالتقوى وأنها أصل السلامة والسعادة في الدنيا والآخرة:

(اعلم أن الزمان لا يثبت على حال كما قال ﷻ : ((وتلك الأيام نداولها بين الناس)) ، فتارة فقر وتارة غنى ، وتارة عز وتارة ذل ، وتارة يفرح الموالي وتارة يشمت الأعادي ، فالسعيد من لازم أصلاً واحداً على كل حال ، وهو تقوى اللّـــه ﷻ فإنه إن استغنى زانته ، وإن افتقر فتحت له أبواب الصبر ، وإن عوفي تمت النعمة عليه ، وإن ابتلي حملته ، ولا يضره أن نزل به الزمان أو صعد ، أو أعراه أو أشبعه أو أجاعه ، لأن جميع تلك تزول وتتغير ، والتقوى أصل السلامة حارس لا ينام ، يأخذ باليد عند العثرة ، ويواقف على الحدود ، والمنكر من غرته لذة حصلت مع عدم التقوى فإنها ستحول وتخليه خاسراً ، ولازم التقوى في كل حال فإنك لا ترى في الضيق إلا السعة ، وفي المرض إلا العافية ، هذا نقدها العاجل والآجل معلوم)(صيد الخاطر، ص123).

ولا شك أن اتباع هدى اللّـــه ورسوله محمد ﷺ هو السعادة الحقيقية فلا يصيب المسلم شقاء ولا تعاسة بل سعادة وصحة ونعمة ، ومدار ذلك التقوى . وهذا ما يؤكده ابن الجوزي في النص التالي : (تأملت قوله تعالى : ((فمن تبع هداي فلا يضل ولا يشقى)) قال المفسرون : هداي رسول اللّـــه ﷺ وكتابي . فوجدته على الحقيقة أن كل من تبع القرآن والسنة وعمل بما فيهما ، فقد سلم من الضلال بلا شك . وارتفع في حقه شقاء الآخرة بلا شك ، إذا مات على ذلك . وكذلك شقاء الدنيا فلا يشقي أصلاً . ويبين هذا قوله تعالى : {ومن يتق اللّـــه يجعل له مخرجا} . فإن رأيته في شدة فله من اليقين بالجزاء ما يصير الصاب عنده عسلاً ، والأغلب طيب العيش في كل حال ، والغالب أنه لا ينزل به شدة إلا إذا انحرف عن جادة التقوى . فأما الملازم لطريق التقوى فلا آفة تطرقه ، ولا بلية تنزل به ، هذا هو الأغلب) صيد الخاطر، ص123).

تعليـــــق

مما أقتبسنا من مقتطفات من كلام علماء الطبقة الثانية يتبين أنهم تناولوا الإنسان والنفس الإنسانية بطريقة متقاربة تتم عن معرفة بهذه النفس قائمة على أصول الكتاب والسنة، مع تأثر ابن مسكوية بكلام الفلاسفة بدرجة بسيطة. ويحسب لهم الدخول في تفاصيل تسعى للتعرف على مكونات هذه النفس وأقسامها أو حالاتها: مطمئنة أو لوامة أو إمارة بالسوء، والوضوح في هذا الطرح من خلال نصوص القرآن الكريم التي يتضح منها أنها نفس واحدة تكون مطمئنة كلما اقتربت كثيراً من ربها بحسن طاعته وتقواه، وتكون لوامة كلما كانت مراوحة بين الطاعة والمعصية، وتكون إمارة بالسوء إذا كانت منغمسة بالمعاصي والذنوب غافلة عن التوبة والأوبة إلى ربها. وكذلك وضح التأكيد على ابعد الأخروي وأثره على الإنسان والنفس الإنسانية، وهذه ميزة لا نجدها لدى الباحثين الغربيين عندما يتناولون الإنسان.

ثالثـــــاً: الطبقـــــة الثالثـــــة: (601 -900):

1) فخـــر الديـــن الـــرازي (543 -606هـ):

هو محمد بن عمر بن الحسين القرشي، الملقب بفخر الدين، وينسب إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه. ولد بالرى سنة 543هـ. تلقى العلم عن أبيه وكان خطيب الرى، وبعد وفاة أبيه تنقل بين العلماء يتلقى منهم مثل الكمال السمعاني ومجدالدين الجيلي. وكان فترة على مذهب الجبائي لكنه رجع إلى مذهب أهل السنة والجماعة. وكان عالماً بالفقه وعلوم اللغة والمنطق والمذهب الكلامية والطب والحكمة. وكان ينظم الشعر بالعربية والفارسية. وكان صاحب مواعظ بليغة مؤثرة، كما حصل على ثروة مالية في حياته جعلته يظهر بصورة الأثرياء. له مؤلفات كثيرة منها: يسألونك عن الروح، والنفس والروح، الأربعين في أصول الدين، وسراج القلوب، وزبدة الأفكار وعمدة النظار، مسائل الطب، رسالة في النبوات. توفي سنة 606هـ.

يناقش فخرالدين الرازي عمل عقل الإنسان وأنه لا يقبل إلا ما يعقله فيقول:

(العدم المطلق لا يصح أن بعقل ويعلم. وإنما يعقل العدم بناءً على فهم الوجود، محققاً أو مفروضاً، مضافاً إليه الانتفاء. فإن أخذ الانتفاء والعدم مطلقاً غير مخصص بجنس؛ فإنما يعقل مضافاً إلى مطلق الوجود ومرتباً عليه. فأول ما يحصل في نفس الإنسان ويدخل في ذهنه ويتصوره: هو الوجود، ثم انتفاء ذلك الوجود المتصور أو المحقق: هو العدم. مثل قولنا: وجود ولا وجود)(الكاشف عن أصول الدلائل وفصول العلل، ص149).

ويقدم فخرالدين الرازي قانوناً عقلياً للإنسان حتى يحكم على الصفات التي وردت لله وتوجد لدى الإنسان فيقول:

(وهو أن القانون الكلي في أمثال هذه الصفات : أن كل صفة تثبت للعبد مما يختص بالأجسام. إذا وصف الله تعالى بذلك ، فهو محمول على نهايات الأغراض ، لا على بدايات الأعراض . مثاله : أن الحياء حالة تحصل للإنسان ، ولها مبدأ ونهاية . أما البداية فيها فهو التغير الجسماني ، الذي يلحق الإنسان من خوف أن ينسب إلى القبيح . وأما النهاية فهي لأن يترك الإنسان ذلك الفعل ، فإذا ورد الحياء في حق الله تعالى ، فليس المراد منه : ذلك اللحوق الذي هو مبدأ الحياء وتقدمته. بل المراد : هو ترك الفعل الذي هو منتهاه وغايته . وكذلك الغضب له مبدأ وهو غليان دم القلب وشهوة الانتقام ، وله غاية وهو إيصال العقاب إلى المغضوب عليه . فإذا وصفنا الله تعالى بالغضب ، فليس المراد هو ذلك المبدأ – أعني غليان دم القلب وشهوة الانتقام – بل المراد : تلك النهاية ، وهي إنزال العقاب . فهذا هو القانون)(أساس التقديس،ص127).

ويقدم فخر الدين الرازي إجابة عن حقيقة روح الإنسان فيقول:

(فأجاب الله عنه بأنه موجود مغاير لهذه الأجسام ولهذه الأعراض، وذلك لأن هذه الأجسام أشياء تحدث من امتزاج الأخلاط والعناصر. وأما الروح فإنه ليس كذلك، بل هو جوهر بسيط مجرد لا يحدث إلا بمحدث قوله ((كن فيكون)).. فقالوا: لم كان شيئاً مغايراً لهذه الأجسام ولهذه الأعراض؟ فأجاب الله عنه: بأنه موجود يحدث بأمر الله، وتكوينه وتأثيره في إفادة الحياة لهذا الجسد، ولا يلزم من عدم العلم بحقيقته المخصوصة نفيه، فإن أكثر حقائق الأشياء وماهياتها مجهولة)(يسألونك عن الروح، ص22).

ويتناول فخر الدين الرازي مكون خلق الإنسان فيقول:

(أما تخليق البشر، فإنه يدل على كمال الجود والرحمة. أما كمال الجود فلأنه لا مناسبة بين التراب، وبين جلال رب الأرباب. ثم أن الحق برحمته التامة وجوده الكامل، جعل التراب صفة الذرة الحاملة للأضواء الإلهية والأنوار الصمدية.

وأما كمال الرحمة، فلأنه مع أنه مركب من الشهوة والغضب والأخلاق الذميمة، أودع قلبه نور العرفان، وعلى لسانه ذكر التوحيد، وجعل عينيه طريقاً لرؤية دلائله، وأذنيه محلاً لسماع كلامه) (النفس والروح، ص34).

ويتحدث فخرالدين الرازي عن مركبات بدن الإنسان فيقول:

(لا شك أن بدن الإنسان مركب وكل مركب فلا بد له من علل أربع وهي: المادة والصورة والفاعل والغاية. فالمادة القريبة لبدن الإنسان هو العضو، والروح، وأبعد منها الأخلاط الأربعة وأبعد منها الأركان. وأما الصورة الحاصلة للبدن الإنساني فهي الأمزجة والقوى. وأما الغاية فهي الأفعال المطلوبة من تلك القوى. وأما الفاعل فالمراد منه ههنا الأمر الذي متى ما كان على القدر المعتدل كان الحاصل هو الصحة، ومتى كان خارجاً عن الاعتدال كان الحاصل هو المرض، وهو المسمى عند الأطباء بالأسباب الستة الطبيعية وهي: جنس الهواء وجنس المتناولات وجنس النوم واليقظة وجنس الحركة والسكون وجنس الاستفراغ والاحتقان وجنس الأعراض النفسانية)(الفراسة، ص98-99).

ويتناول فخر الدين الرازي الأمزجة وارتباطها بالأعضاء عند الإنسان وتقسيماتها وما ينتج عنها فيقول:

(أعلم أن كل عضو من أعضاء البدن إما أن يكون حاراً أو يكون بارداً: فإن كان حاراً فإما أن تكون تلك الحارة معتدلة أو زائدة. فإن كانت الحرارة معتدلة أفادت الكمال وإن كانت زائدة أفادت الاختلال بحسب التشوش.

وأما إن كان بارداً فإن كان البرد قليلاً فإنه يوجب النقصان وإن كان كثيراً يوجب البطلان ...

أما الأفعال النفسانية فكلما كانت القوى أكمل فيه وأتم كانت أفضل ... إن الكمال في جميع القوى الباطنة كالمتعذر، وذلك لأن الرطوبة معينة على سهولة الفكر ومانتعة من قوة الحفظ، واليبوسة بالضد وأيضاً الرطوبة مانعة من صفاء الحواس، فكيف يمكن حصول الكمال في كل هذه الأحوال. بل إن قلنا إن النفس في هذه الأفعال قد تكون غنية عن الآلآت الجسمانية فحينئذٍ يستقيم هذا الكلام) (الفراسة، ص121-127).

2) أبـــــن تيميـــــة: (660- 728هـ)

هو تقي الدين أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام الحراني الدمشقي الحنبلي ، أبو العباس بن تيمية . ولد في مدينة حران عام 661هـ . ينحدر من عائلة علم. غادر ابن تيمية مع والديه وأخوته مدينة حران عام 667هـ هرباً من الهجمات المغولية ، واستقرت الأسرة في مدينة دمشق ، حيث تسلم والده مشيخة المدرسة السكرية ، وفيها بدأ الطفل ابن تيمية دراسته واشتهر بقوة حفظه وذكائه . فقد حفظ القرآن الكريم والحديث وسمع مسند الإمام أحمد بن حنبل عدة مرات ، ثم أخذ يتنقل بين مختلف شيوخ الحديث حتى روى أنه جلس إلى حوالي مائتين من حفاظ الحديث. بدأ ابن تيمية عمله في التدريس عام 683هـ بدار الحديث السكرية بدمشق نيابة عن والده وهو في سن 22 سنة .كما تسلم ابن تيمية منصب التدريس في أكبر مدرسة حنبلية في القاهرة لثلاث سنوات خلال الأعوام 709 – 712هـ ثم عاد إلى دمشق ليعمل في التدريس بقية حياته فيها. وقد تميز ابن تيمية بصدور أفكاره وثقافته عن مؤهلات متميزة تجاوز بها حدود الانتماء المذهبي إلى دائرة الانتماء الإسلامي الواسع الذي يضم في دائرته الأئمة والمدارس الفكرية ، وارتقى إلى مرتبة الاجتهاد والاعتماد المباشر على القرآن الكريم والسنة النبوية وآثار السلف الصالح . وقد لقي في سبيل دعوته الإصلاحية المشاق والعذاب حيث أدخل السجن ست مرات على فترات متقطعة بلغ مجموعها ست سنوات في الفترة الواقعة بين

عامي 693 - 728هـ . وآخر مرة سجن فيها كان في 16 شعبان عام 726هـ وذلك بسبب مهاجمة ابن تيمية في فترة سابقة (710هـ) زيارة أضرحة الأنبياء والأولياء . وقد توفى رحمه اللّـــه في سجنه في 20 شوال عام 728هـــ رحمه اللّـــه رحمة واسعة وأدخله فسيح جناته.

يبين أبن تيمية أن الإيمان للإنسان يقيه ويزيل عن الشبهات والشهوات فيقول:

(وكذلك ما في القلب من الإيمان وعبادة اللّـــه ﷻ [يحفظ] بأشباهه بما يقوي الإيمان والعبادة ، وإذا حصل في القلب مرض من الشبهات والشهوات أزيل ذلك بضده ، ولا يحصل المرض إلاّ لنقص أسباب الصحة ، كذلك القلب لا يمرض بالشهوات والشبهات إلاّ لنقص إيمانه)(تزكية النفس، ص53).

ويتناول السعادة للإنسان وللنفس الإنسانية فيقول:

(والله ﷻ قد تفضل على بني آدم بأمرين هما أصل السعادة ، أحدهما : أن كل مولود يولد على الفطرة ، كما في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال : ((كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه ، أو ينصرانه ، أو يمجسانه . كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء ؟ ثم يقول أبو هريرة : اقرأوا إن شئتم ((فطرة اللّـــه التي فطر الناس عليها)) قال تعالى : ((فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة اللّـــه التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق اللّـــه ذلك الدين القيم)) ... فالنفس بفطرتها إذا تركت كانت مقره لله بالإلهية ، محبة ، تعبده ، لا تشرك به شيئاً . ولكن يفسدها ما يزين لها شياطين الأنس والجن بما يوصي بعضهم إلى بعض من الباطل . قال تعالى : ((وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة أنا كنا عن هذا غافلين . أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون)) ... والثاني : أن اللّـــه تعالى قد هدى الناس هداية عامة بما جعل فيهم بالفطرة من المعرفة وأسباب العلم ، وبما أنزل إليهم من الكتب ، وأرسل إليهم من الرسل . قال تعالى : ((اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الإنسان من علق . أقرأ وربك الأكرم . الذي علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم)) وقال تعالى : ((الرحمن علم القرآن . خلق الإنسان . علمه البيان)) وقال تعالى : ((سبح اسم ربك الأعلى . الذي خلق فسوى . والذي قدر فهدى)) وقال تعالى : ((وهديناه النجدين)) .

ففي كل أحد ما يقتضي معرفته بالحق ومحبته له . وقد هداه ربه إلى أنواع من العلم ، ويمكنه أن يتوصل بها إلى سعادة الأولى والآخرة ، وجعل في فطرته محبة لذلك. لكن قد يعرض الإنسان بجاهليته وغفلته عن طلب ما ينفعه . وكونه لا يطلب ذلك ، ولا يريده : أمر عدمي ، ولا يضاف إلى اللّـــه تعالى . فلا يضاف إلى اللّـــه : لا عدم علمه بالحق ، ولا عدم إرادته للخير)(الحسنة والسيئة، ص 54-56).

ويتناول أبن تيمية السعادة والشقاوة للنفس الإنسانية فيقول:

(في الصحيحين عن علي بن أبي طالب قال : ((كنا في جنازة فيها رسول اللّـــه ﷺ فجلس ومعه مخصرة فجعل ينكت بالمخصرة في الأرض ثم رفع رأسه وقال : ما من نفس منفوسة إلاّ وقد كتب مكانها من النار أو الجنة ، إلاّ وقد كتبت شقية أو سعيدة . قال : فقال رجل من القوم : يا نبي اللّـــه أفلا نمكث على كتابنا وندع العمل ؟ فمن كان من أهل السعادة ليكونن إلى السعادة ، ومن كان من أهل الشقاوة ليكونن إلى الشقاوة . قال : اعملوا فكل ميسر لما خلق له . أما أهل السعادة فييسرون للسعادة ، وأما أهل الشقاوة فييسرون للشقاوة . ثم قال نبي اللّـــه ﷺ : ((فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى . وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى)) ... فبين ﷺ أن تقدم العلم والكتاب بالسعيد والشقي لا ينافي أن تكون سعادة هذا بالأعمال الصالحة ، وشقاوة هذا بالأعمال السيئة ؛ فإنه ﷻ يعلم الأمور على ما هي عليه ، وكذلك يكتبها ، فهو يعلم أن السعيد يسعد بالأعمال الصالحة ، والشقي يشقى بالأعمال السيئة ، فمن كان سعيداً ييسر للأعمال الصالحة التي تقتضي السعادة ؛ ومن كان شقيا ييسر للأعمال السيئة التي تقتضي الشقاوة ؛ وكلاهما ميسر لما خلق له ، وهو ما يصير إليه من مشيئة اللّـــه العامة الكونية التي ذكرها اللّـــه ﷻ في كتابه في قوله تعالى : ((ولا يزالون مختلفين إلاّ من رحم ربك ولذلك خلقهم)))(التحفة العراقية في أعمال القلوب، ص 30-31).

ويعرض أبن تيمية قوى النفس الإنسانية فيقول:

(إن قوى الأفعال في النفس إما جذب وإما دفع ، فالقوة الجاذبة الجالبة للملائم هي الشهوة وجنسها : من المحبة والإرادة ونحو ذلك ، والقوة الدافعة المانعة للمنافي هي الغضب وجنسها : من البغض والكراهة ، وهذه القوة باعتبار القدر المشترك بين الإنسان والبهائم هي مطلق الشهوة والغضب ، وباعتبار ما يختص به الإنسان العقل والإيمان والقوى الروحانية المعترضة ... وباعتبار القوى الثلاث انقسمت الأمم التي هي أفضل الجنس الإنساني ؛ وهم العرب والروم والفرس . فإن هذه الأمم هي التي ظهرت فيها الفضائل الإنسانية ، وهم سكان وسط الأرض طولاً وعرضاً ، فأما من سواهم كالسودان والترك ونحوهم فتبع .فغلب على العرب القوة العقلية النطقية ، واشتق اسمها من وضعها فقيل لهم : عرب : من الأعراب ، وهو البيان والإظهار ، وذلك خاصة القوة المنطقية. وغلب على الروم القوة الشهوية من الطعام والنكاح ونحوهما ، واشتق اسمها من ذلك فقيل لهم الروم ، فإنه يقال : رمت هذا أرومه إذا طلبته واشتهيته. وغلب على الفرس القوة الغضبية من الدفع والمنع والاستعلاء والسياسة ، واشتق اسمها من ذلك ، فقيل فرس ، كما يقال فرسه يفرسه إذا قهره وغلبه. ولهذا توجد هذه الصفات الثلاث غالبة على الأمم الثلاث حاضرتها وباديتها ؛ ولهذا كانت العرب أفضل الأمم ، وتليها الفرس لأن القوة الدفعية أرفع ، وتليها الروم)(مجموع فتاوى أبن تيمية، المجلد15، ص430-432).

ونختم م ن كلام أبن تيمية بأثر الشيطان على الإنسان فيقول:

(والقلوب فيها وسواس النفس ، والشيطان يأمر بالشهوات والشبهات ما يفسد عليه طيب عيشها ، فمن كان محباً لغير اللّـــه فهو معذب في الدنيا والآخرة ؛ إن نال مراده عذب به ؛ وإن لم ينله فهو في العذاب والحسرة والحزن)(مجموع فتاوى أبن تيمية، المجلد28، ص 31-32).

ويبين كيفية التخلص من الشيطان فيقول:

(إن إخلاص الدين لله : يمنع من تسلط الشيطان ، ومن ولاية الشيطان التي توجب العذاب . كما قال تعالى : ((كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء . إنه من عبادنا المخلصين)) (يوسف : 24) . فإذا أخلص العبد لربه الدين : كان هذا مانعاً له من فعل ضد ذلك ومن إيقاع الشيطان له في ضد ذلك ، وإذا لم يخلص لربه الدين ولم يفعل ما خلق له وفطر عليه . عوقب على ذلك ، وكان من عقابه : تسلط الشيطان عليه ، حتى يزين له فعل السيئات ، وكان إلهامه لفجوره : عقوبة له على كونه لم يتق اللّـــه)(الحسنة والسيئة، ص 77).

ويبين أثر ذكر الله في علاج الوسواس فيقول:

(والشيطان وسواس خناس ، إذا ذكر العبد ربه خنس ، فإذا غفل عن ذكره وسوس ، فلهذا كان ترك ذكر اللّـــه سبباً ومبدأ لنزول الاعتقاد الباطل والإرادة الفاسدة في القلب ، ومن ذكر اللّـــه تعالى : تلاوة كتابه وفهمه ومذاكرة العلم)(مجموع فتاوى أبن تيمية، المجلد4، ص 34).

3) أبـن قيـــــم الجوزيـــــــة: (691- 751هـ):

هو شمس الدين أبو عبداللّـــه محمد بن أبي بكر بن أيوب الدمشقي الحنبلي . ولد بدمشق في السابع من شهر صفر عام 691هـ . تربى في كنف والده الشيخ الصالح أبو بكر بن أيوب الزرعي . وأخذ العلم من كثير من علماء الشام، وخصوصا شيخ الإسلام ابن تيمية وأخذ عنه التفسير والحديث والفقه والفرائض والأصلين وعلم الكلام ، ولازمه سبعة عشر عاماً تقريباً وهو شيخه المفضل والذي يحيل على كلامه في كثير من كتاباته .وكان حسن الخلق لطيف المعاشرة طيب السريرة عالي الهمة واسع الأفق . وكان ذا عبادة وتهجد وطول صلاة مستمراً على الأذكار في ليله ونهاره .وكان كثير العلم واسع الاطلاع . وقد امتحن وأوذي مرات عدة ، وحبس مع شيخ الإسلام في سجن القلعة منفرداً ولم يفرج عنه إلاّ بعد وفاة ابن تيمية .وقد ألف ابن القيم العديد من الكتب بلغ مجموعها 98 كتاباً ، ومن أهمها :زاد المعاد في هدى خير العباد .مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين .إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان .بدائع الفوائد .طريق الهجرتين وباب السعادتين .مفتاح دار السعادة ومنشور ألوية العلم والإرادة .الروح .تحفة المودود في أحكام المولود .إعلام الموقعين عن رب العالمين وقد تميزت كتابته باعتمادها على نصوص الوحي ، وبتفهم لمقاصد الشريعة وحكمة الأحكام وأسرارها ، وكذلك حسن الأسلوب وجاذبيته .وقد توفى ابن قيم الجوزية وقت العشاء الآخرة ليلة الخميس في الثالث والعشرين من شهر رجب سنة 751هـــ ودفن بمقبرة الباب الصغير في دمشق رحمه اللّـــه رحمة واسعة وغفر له وللمسلمين أجمعين.

تحدث أبن قيم الجوزية عن السعادة التي تؤثرها النفوس فقال:

(أنواع السعادة التي تؤثرها النفوس ثلاثة :

1) سعادة خارجية عن ذات الإنسان بل هي مستعارة له من غيره تزول باسترداد العارية ، وهي سعادة المال والجاه وتوابعها فبينما المرء بها سعيداً ملحوظاً بالعناية مرموقاً بالأبصار ، إذ أصبح في اليوم الواحد أذل من وتد بقاع يشج رأسه بالفهرواجي ؛ فالسعادة والفرح بهذه كفرح الأقرع بجمة ابن عمه ! والجمال بها كجمال المرء بثيابه وزينته ، فإذا جاوز بصرك كسوته فليس وراء عبادان قرية .

2) ... السعادة الثانية سعادة في جسمه وبدنه ، كصحته واعتدال مزاجه ، وتناسب أعضائه ، وحسن تركيبه ، وصفاء لونه ، وقوة أعضائه ، فهذه ألصق به من الأولى ، ولكن هي في الحقيقة خارجة عن ذاته وحقيقته فإن الإنسان إنسان بروحه وقلبه لا بجسمه وبدنه ، كما قيل :يا خادم الجسم كي تشقى بخدمته فأنت بالروح لا بالجسم إنسان

فنسبة هذه إلى روحه وقلبه كنسبة ثيابه ولباسه إلى بدنه ؛ فإن البدن أيضاً عارية للروح وآله لها ومركب من مراكبها فسعادتها بصحته وجماله وحسنه ، سعادة خارجة عن ذاتها وحقيقتها .

3) السعادة الثالثة : هي السعادة الحقيقية ، وهي سعادة نفسانية روحية قلبية ، وهي سعادة العلم النافع ثمرته فإنها هي الباقية على تقلب الأحوال والمصاحبة للعبد في جميع أسفاره وفي دوره الثلاثة أعني : دار الدنيا ، ودار البرزخ ، ودار القرار ، وبها يترقى في معارج الفضل ودرجات الكمال . أما : الأولى : فإنها تصحبه في البقعة التي فيها ماله وجاهه .والثانية : فعرضة للزوال والتبدل بنكس الخلق والرد إلى الضعف ؛ فلا سعادة في الحقيقة إلا في هذه. الثالثة : التي كلما طال عليها الأمد ازدادت قوة وعلواً ، وإذا عدم المال والجاه ، فهي مال العبد وجاهه وتظهر قوتها وأثرها بعد مفارقة الروح البدن إذا انقطعت السعادتان الأولتان وهذه السعادة لا يعرف قدرها ويبعث على طلبها إلا العلم بها ، فعادت السعادة كلها إلى العلم وما يقتضيه والله يوفق من يشاء لا مانع لما أعطي ولا معطي لما منع)(مفتاح دار السعادة، ج1، ص 156-157).

ويقسم القلوب لدى الناس إلى ثلاثة أقسام فيقول:

(القلوب ثلاثة : قلب خال من الإيمان وجميع الخير ، فذلك قلب مظلم قد استراح الشيطان من إلقاء الوساوس إليه ، لأنه قد اتخذه بيتاً ووطناً ، وتحكم فيه بما يريد ، وتمكن منه غاية التمكن . والقلب الثاني : قلب قد استنار بنور الإيمان ، وأوقد فيه مصباحاً ، لكن عليه ظلمة الشهوات وعواصف الأهوية ، فلشيطان هناك إقبال وإدبار ومجالات ومطامع ، فالحرب دول وسجال . وتختلف أحوال هذا الصنف بالقلة والكثرة ، فمنهم من أوقات غلبته لعدوه أكثر ، ومنهم من أوقات غلبة عدوه له أكثر ، ومنهم من هو تارة تارة . القلب الثالث : قلب محشو بالإيمان قد استنار بنور الإيمان ، وانقشعت عنه حجب الشهوات ، وأقلعت عنه تلك الظلمات ، فلنوره في صدره إشراق ، ولذلك الإشراق إيقاد لو دنا منه الوسواس احترق به ، فهو كالسماء التي حرست بالنجوم ، فلو دنا منها الشيطان يتخطاها رجم فاحترق ، وليست السماء بأعظم حرمة من المؤمن ، وحراسة اللّـــه تعالى له أتم من حراسة السماء ، والسماء متعبد الملائكة ، ومستقر الوحي ، وفيها أنوار الطاعات ، وقلب المؤمن مستقر التوحيد والمحبة والمعرفة والإيمان ، وفيه أنوارها ، فهو حقيق أن يحرس ويحفظ من كيد العدو ، فلا ينال منه شيئاً إلاّ خطفه)(الوابل الصيب من الكلم الطيب، ص 29-30).

ويعرض أبن قيم الجوزية أنواع أمراض القلوب فيقول:

(ومرض القلوب : نوعان : مرض شبهة وشك ، ومرض شهوة وغي ، وكلاهما في القرآن . قال تعالى في مرض الشبهة : ((في قلوبهم مرض فزادهم اللّـــه مرضا)) (البقرة : 100) وقال تعالى : ((وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد اللّـــه بهذا مثلا)) (المدثر : 31) ، وقال تعالى في حق من دعي إلى تحكيم القرآن و السنة ، فأبى وأعرض : ((وإذا دعوا إلى اللّـــه ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف اللّـــه عليهم ورسوله بل أولئك هم الظالمون)) (النور : 48 - 49) ، فهذا مرض الشبهات والشكوك . وأما مرض الشهوات ، فقال تعالى : ((يا نساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض)) (الأحزاب : 32) . فهذا مرض شهوة الزنا)(زاد المعاد في هدى خير العباد، ج4، ص5-6).

كما يتناول مفسدات القلب الخمسة فيقول:

(أما مفسدات القلب الخمسة : فهي التي أشار إليها : من كثرة الخلطة والتمني ، والتعلق بغير اللّـــه ، والشبع ، والمنام . فهذه خمسة من أكبر مفسدات القلب)(مدارج السالكين، ج1، 451).

ولكن السؤال هو ممن يؤخذ طب القلوب والإجابة نجدها لدى ابن قيم الجوزية حيث يقول:

(فأما طب القلوب ، فمسلَّم إلى الرسل صلوات اللّـــه وسلامه عليهم ، ولا سبيل إلى حصوله إلاّ من جهتهم وعلى أيديهم ، فإن صلاح القلوب أن تكون عارفة بربها ، وفاطرها ، وبأسمائه ، وصفاته ، وأفعاله ، وأحكامه ، وأن تكون مؤثرة لمرضاته ومحابه ، متجنبة لمناهيه ومساخطه ، ولا صحة لها ولا حياة البتة إلاّ بذلك ، ولا سبيل إلى تلقيه إلاّ من جهة الرسل ، وما يظن من حصول صحة القلب بدون اتباعهم ، فغلط ممن يظن ذلك ، وإنما ذلك حياة نفسه البهيمية الشهوانية ، و صحتها وقوتها ، وحياة قلبه وصحته ، وقوته عن ذلك بمعزل ، ومن لم يميز بين هذا وهذا ، فليبك على حياة قلبه ، فإنه من الأموات ، وعلى نوره ، فإنه منغمس في بحار الظلمات)(زاد المعاد في هدى خير العباد، ج4، ص 7-8).

ونختم بحديث أبن قيم الجوزية عن النفس وحالاتها الثلاث ورده على من قال أنها ثلاثة أنفس، فيقول:

(فقد وقع في كلام كثير من الناس أن لابن آدم ثلاث أنفس ، نفس مطمئنة ، ونفس لوامة ، ونفس أمارة ، وأن منهم من تغلب عليه هذه ومنهم من تغلب عليه الأخرى ، ويحتجون على ذلك بقوله تعالى : ((يا أيتّها النفس المطمئنة)) وبقوله تعالى : ((لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة)) وبقوله تعالى : ((إن النفس لأمارة بالسوء)) . والتحقيق أنها نفس واحدة ولكن لها صفات فتسمى باعتبار كل صفة باسم فتسمى مطمئنة باعتبار طمأنينتها إلى ربها بعبوديته ومحبته والإنابة إليه والتوكل عليه والرضا به والسكون إليه ، فإن سمة محبته وخوفه ورجاءه منها قطع النظر عن محبة غيره وخوفه ورجائه ، فيستغني بمحبته عن حب ما سواه وبذكره عن ذكر ما سواه وبالشوق إليه وإلى لقائه عن الشوق إلى ما سواه ، فالطمأنينة إلى اللّـــه سبحانه حقيقة ترد منه سبحانه على قلب عبده تجمعه عليه ، وترد قلبه الشارد إليه حتى كأنه جالس بين يديه يسمع به ويبصر به ويتحرك به ويبطش به ، فتسري تلك الطمأنينة في نفسه وقلبه ومفاصله وقواه الظاهرة والباطنة تجذب روحه إلى اللّـــه ، ويلين جلده وقلبه ومفاصله إلى خدمته والتقرب إليه ، ولا يمكن حصول الطمأنينة الحقيقية إلا باللّـــه وبذكره وهو كلامه الذي أنزله على رسوله كما قال تعالى : ((الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر اللّـــه ألا بذكر اللّـــه تطمئن القلوب)). وأما النفس اللوامة وهي التي أقسم بها سبحانه في قوله : ((ولا أقسم بالنفس اللوامة)) فاختلف فيها فقالت طائفة هي التي لا تثبت على حال واحدة . أخذوا اللفظة من التلوم وهو التردد فهي كثيرة التقلب والتلون وهي من أعظم آيات اللّـــه فإنها مخلوق من مخلوقاته تتقلب وتتلون في الساعة الواحدة فضلاً عن اليوم والشهر والعام والعمر ألواناً كثيرة .... اللوامة نوعان : لوامة ملومة ، وهي النفس الجاهلة الظالمة التي يلومها اللّـــه وملائكته . ولوامة غير ملومة ، وهي التي لا تزال تلوم صاحبها على تقصيره في طاعة اللّـــه مع بذله جهده فهذه غير ملومة ؛ وأشرف النفوس من لامت نفسها في طاعة اللّـــه واحتملت ملام اللائمين في مرضاته فلا تأخذها فيه لومة لائم فهذه قد تخلصت من لوم اللّـــه ، وأما من رضيت بأعمالها ولم تلم نفسها ولم تحتمل في اللّـــه ملام اللوام . فهي التي يلومها اللّـــه ﷻ . وأما النفس الأمارة فهي المذمومة فإنها التي تأمر بكل سوء وهذا من طبيعتها إلا ما وفقها اللّـــه وثبتها وأعانها ، فما تخلص أحد من شر نفسه إلا بتوفيق اللّـــه له كما قال تعالى حاكياً عن امرأة العزيز : ((وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي إن ربي غفور رحيم))... فالشر كامن في النفس وهو يوجب سيئات الأعمال فإن خلى اللّـــه بين العبد وبين نفسه هلك بين شرها وما تقتضيه من سيئات الأعمال ، وإن وفقه وأعانه نجاه من ذلك كله)(الروح، ص 226-220).

تعليـــــــــق:

يبدو من خلال النماذج التي عرضناها لعلماء الطبقة الثالثة اختلاف الطرح بين فخرالدين الرازي وأبن تيمية وأبن قيم الجوزية. فنلحظ لدى فخرالدين الرازي تأثراً ولو قليلا بكلام الفلاسفة ونقله لمقولاتهم في كتبه، مما جعل كلامه يركز كثيراً على المنطق والمجادلة العقلية في تناوله للإنسان والنفس الإنسانية، بينما نجد تشابهاً كبيراً بين كتابات أبن تيمية وأبن قيم الجوزية حيث سار التلميذ على طريقة شيخه في الاعتماد ابتداءً على نصوص الكتاب والسنة ثم البناء على ما ورد فيهما لتقرير المسائل وإيراد الحجج والرد على الخصوم، كما تميز أبن قيم الجوزية بدخوله في دراسة النفس الإنسانية بشكل متعمق يعكس علماً واسعاً ظهرت في كتاباته فاقت في كثير من نواحيها ما هو مطروح حالياً في كتب علم النفس.

رابعـــــاً: الطبقـــــة الرابعـــــة: (901- 1200هـ):

1) السيوطـــــــي: (849- 911هـ):

هو عبدالرحمن بن الكمال أبي بكر بن محمد الخضيري الأسيوطي الملقب جلال الدين، ولد في أسيوط سنة 849هـ. تعلم على كثير من العلماء ذكر أنهم نحو مائة وخمسين عالما. كما درس الكتب على اختلاف أنواعها. وله الكثير من المؤلفات قيل أنها زادت على السبعمائة وطبع منها ما يزيد على المائتين. منها: مفتاح الجنة في الإعتصام بالسنة، وهام الإصابة في الدعوات المستجابة، والشهاب الثاقب في ذم الخليل والمصاحب، ونتيجة الفكر في الجهر بالذكر، وتفسير الجلالين. وتوفي في أسيوط سنة 911هـ.

ينقل السيوطي ست خصال إذا وجدت في إنسان فهو كامل، فيقول:

(قال بعض الحكماء: من كانت فيه ست خصال فهو إنسان كامل، وإن عدم واحدة منهن فقد عدم سدس الإنسانية، وإن عدم الكل فليس بإنسان، وهي الألفة، والحياء، والعقل، والأنفة، والشكر، والرجاء)(الشهاب الثاقب في ذم الخليل والصاحب، ص41).

كما يذكر السيوطي آداب العشرة فيقول:

(في الأثر عاشروا الناس بأخلاقهم. عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه: من لانت كلمته وجبت محبته، فعلى المعاشر أشياء منها: لين الكلمة وصحة الوفاء، وأن لا يلقى صاحبه إلا بما يحب، ولا يؤذي جليسه، ويبدؤه بالسلام، ويوسع له في المجلس، ويدعوه بأحب أسمائه إليه، ويصبر على جفائه، ويقتصد في عشرته)(الشهاب الثاقب في ذم الخليل والصاحب، ص43).

ويذكر السيوطي الإنسان باللجوء إلى الله في كل حال لأنه مجيب الدعوات، فيقول:

(فيما يرجع إلى الدعاء، أخرج البخاري في الأدب عن أنس قال: كنت مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم فدعا رجل فقال: يا بديع السماوات، يا حي يا قيوم، إني أسالك. فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((أتدرون بما دعا ؟ والذي نفسي بيده دع الله باسمه الذي إذا دعي به أجاب)) ... وأخرج الحاكم عن أنس قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم ورجل قائم يصلي، فلما ركع وسجد تشهد ودع فقال في دعائه: اللهم إني أسالك بأن لك الحمد ل إله إلا أنت، بديع السماوات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، يا حي يا قيوم. فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((لقد دعا الله باسمه الأعظم، الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى)(سهام الإصابة في الدعوات المستجابة، ص87-88).

كما يبين السيوطي أن القرآن الكريم شفاء للقلوب فيقول:

(أنزل الله تعالى القرآن الكريم شفاء للقلوب، وإزالة للريب، وتفريجاً للكروب، مع ما تفضل به سبحانه من ثواب تلاوته، وعظيم ذكره تعالى ((قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء))(فصلت:44). ((وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خساراً))(الإسراء:82))(نتيجة الفكر في الجهر بالذكر، ص5).

ويبين السيوطي فوائد الذكر للإنسان والنفس الإنسانية فيقول:

(وأفضل الأعمال ذكر الله لقوله صلى الله عليه وآله وسلم وقد سئل عن أي الأعمال أحب إلى الله عز وجل، قال: ((أن تموت ولسانك رطب من ذكر الله عز وجل)). فالذكر يزيل عتمة القلب، وقسوته، ويطرد الشطيان ويقمعه، ويبعد النفس عن الهم، جالباً لها أقصى السعادة والهناءة،

إذ الذاكر تحوطه الملائكة، وتغشائه الرحمة، وينظر الله إليه بعنايته وعطفه. وعلى الذكر مدار الإسلام فهو رابطة وثيقة بين العبد ومولاه، لقوله تعالى ((فاذكروني أذكركم))(البقرة:152) فهذه الرابطة بين الإنسان وربه تورث المعرفة والمحبة، وتجعل القلب يحلق في ملكوت التوسل والدعاء، في رجوع إلى الله تعالى في كل الأحوال، فالله هو الملجأ والملاذ في السراء والضراء ... ثم إن للذكر نتائج باهرة، والعطايا الكثيرة ... والذكر ينور القلب والعمل، فيبعد الإنسان عن الحزن والحسرة والغم، فتصغر الدنيا في عين الذاكر، وتعظم الآخرة في فؤاده، فيهتدي للصراط، ويتقرب إلى الله تعالى، إذ الذكر صلة المخلوق بالخالق)(نتيجة الفكر في الجهر بالذكر، ص7-8).

ويوسع السيوطي دائرة الذكر لتشمل جميع الأعمال الإنسانية، فيقول:

(والذكر لا ينحصر في التسبيح والتهليل والتكبير والتحميد، بل يشمل دائرة أوسع تنطبق على معنى العبادة بكل شموليتها واتساع رحابها. قال عطاء رحمة الله: مجالس الذكر هي مجالس الحلال والحرام، كيف تشتري وتبيع وتصلي وتوصم وتنكح وتحج وأشباه ذلك ... ومن علامات الذاكر الخوف من الله تعالى، مع السكينة والاطمئنان)(نتيجة الفكر في الجهر بالذكر، ص11).

2) المغـــــــــــراوي: (920هـ):

هو أحمد بن أبي جمعة المغراوي. الملقب شقرون (أي أشقر اللون إلى جانب أنه أحمر العينين)، تتلمذ على يد الإمام محمد بن يوسف السنوسي، والشيخ العلامة ابن غازي وهما من شيوخ المغرب، كما أخذ من شيوخ تونس. ومؤلفاته قليلة منها: جامع جوامع الاختصار والتبيان فيما يعرض بين المعلمين وآباء الصبيان، والجيش الكمين في الكر على من يكفر عوام المسلمين، والنصيحة إلى الغرباء في الأندلس. توفي سنة920هـ وقيل سنة 929هـ.

تناول المغراوي أقوال السابقين في أخذ الأجرة على تعليم الأطفال، وحرص على تأييد القائلين به ومما نقله ما يلي:

(باب حكم الإجارة على تعليم القرآن ... قال الجولي: أما حكم الإجارة على التعليم والإثابة عليه فاختلف فيه على ثلاثة أقوال، أجازهما مالك، ومنعهما أبوحنيفة، وثالثها تجوز الإثابة دون الإجارة. قلت وعزاه الشوشاوي لبعض العلماء انتهى. الجزولي: وأما الأصل فيها فدليل أبي حنيفة قوله تعالى ((قل لا أسألكم عليه أجراً)) وقوله عليه السلام ((بلغوا عني ولو آية من كتاب الله، ولم يقل خذوا عليها أجراً ... وما روي أن عبادة بن الصامت قال: كنت أعلم القرآن رجلاً من أهل الصفة فأعطاني قوساً أجاهد به، فسألت عنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال لي: ((أتريد أن يطوقك الله بطوق من النار فاقبله)) ... ودليل مالك قوله عليه السلام: ((خير ما أخذتم عليه أجراً كتاب الله)) وما روى : أن سعداً بن أبي وقاص كان يعطي الإجارة للمعلم على تعليم بنيه. وما روى أن صفوان بن سليم وعطاء بن أبي رباح كانا يعلمان القرآن بالإجارة، ومضى عليه عمل أهل المدينة ... ودليل جوازه على الإثابة دون الإجارة قوله عليه الصلاة والسلام: ((أفضل ما أكرم عليه الرجل كتاب الله))(المغراوي وفكره التربوي من خلال كتابه جامع جوامع الاختصار والتبيان فيما يعرض بين المعلمين وآباء الصبيان، ص72-73).

ويؤكد المغراوي حق كل إنسان في التعليم لا فرق بين ذكراً وأنثى، فيقول:

(القابسي: إن ترك الأب تعليم ولده لتقبح شح وقلة عذر، فإن كان للولد مال فلا يدعه دون تعليم ولية أو قاضي بلده أو جماعته إن لم يكن قاض، وإن لم يكن له مال توجه حكم الندب على وليه وأمه والأقرب، وتعليم من أسلم ما يصلي به فرض كفاية، ويتعين على من انفرد به دون عوض،، وتعليم الأنثى ما تصلى به فرض كفاية، ويتعين على من انفرد به دون عوض، وتعليم الأنثى ما تصلى به كالذكر كذلك، ويتعين على الولي، والزائد على ذلك للأنثى حسن)(المغراوي وفكره التربوي من خلال كتابه جامع جوامع الاختصار والتبيان فيما يعرض بين المعلمين وآباء الصبيان، ص77-78).

ويؤكد المغراوي أهمية القرآن للإنسان المسلم في الدنيا والآخرة، فينقل ما يلي:

(قال عليه السلام: ((ما من رجل في جوفه ثلاثمائة آية إلا وجد في قبره روضة من رياض الجنة)) فعلينا أن نقوم بلسان الضراعة والخضوع وقلب التذلل والخشوع: اللهم أوف لنا وعدك وصدق رسولك وأجعله اللهم لنا مرشداً إلى الهدى ومنكباً عن سبيل الردى، وانفعنا به يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم يا ذا الجلال والإكرام، ومن أدلة فضائله قوله تعالى((فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكري)) إلى قوله ((أعمى)) ... وقوله ((قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء))(المغراوي وفكره التربوي من خلال كتابه جامع جوامع الاختصار والتبيان فيما يعرض بين المعلمين وآباء الصبيان، ص104).

3)أبـــــن حجـــــر الهيثمـــــي (909- 973هـ):

هو أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيثمي. ولد في محلة أبي الهيثم (من أقليم الغربية بمصر) وإليها نسبته. تلقى العلم بالأزهر. وله كتب كثيرة منها: مبلغ الأرب في فضائل العرب، والجوهر المنظم، والصواعق المحرقة على أهل البدع والضلال والزندقة، وتحفة المحتاج شرح المنهاج، وشرح الأربعين النووية، ونصيحة الملوك، وتحرير المقال في آداب وأحكام يحتاج إليها مؤدبو الأطفال، والمنهج القويم في مسائل التعليم، والدرر الزاهرة في كشف بيان الآخرة، وكف الرعاع عن استماع آلات السماع، وتحذير الثقات من أكل الكفتة والقات. وتوفي سنة 973هـ.

يذكر أبن حجر الهيثمي أن الإنسان المسلم يجمع بين حسن الخلق والعطاء (الصدقة) فيقول:

(ووجه مناسبته في الصدقة أن بحسنه تكون الصدقة على أكمل الأحوال وأفضلها وبشؤمه تنعدم الصدقة أو تكون هباء منثورا بما يقترن بها من المن وغيره من قبائح الأحوال والأقوال وفيه أحاديث منها: قوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: (مكارم الأخلاق عشرة ذكر منها: صدق الحديث وإعطاء السائل والمكافآت بالصنائع وحفظ الأمانة وصلة الرحم والتذمم للصاحب أي حفظ ذمامه وهو عهده وحقه وقرى الضيف ورأسهن الحياء) الحكيم الترمذي.

وقوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: (أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا) أحمد وأبو داود وقوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: (حسن الخلق يذيب الخطايا كما تذيب الشمس الجليد) الديلمي والخرائطي ورواه الطبراني بلفظ: (الخلق الحسن يذيب الخطايا كما يذيب الماء الجليد والخلق السوء يفسد العمل كما يفسد الخل العسل)(الأناقة فيما جاء في الصدقة والضيافة، ص12).

ويعرض أبن حجر الهيثمي صفة هامة للإنسان وهي الورع ويبين أقسامها فيقول:

(الورع أربعة أقسام :لأنه: إما ورع الشهادة وهو الامتناع مما يسقطها وإما ورع المتدين وهو ترك ما يتطرق إليه احتمال التحريم الذي له موقع وإن أفتى المفتي بحله عملا بالظاهر ولا أثر للاحتمال البعيد كمن ترك الاصطياد لاحتمال أن الذي يصطاده قد اصطاده غيره وانفلت منه – فهذا

وسواس لا ورع وأما ورع المتقين وهو ترك ما يخاف انجراره إلى الحرام وإن كان حلالا لا شبهة فيه.

وأما ورع الصديقين وهو ترك ما ليس فيه شيء مما سبق ولكن تناوله من غير نية التقوى على العبادة ويتطوع إلى أسبابه كراهة فإذا اختلط ببلد حرام غير منحصر بحلال كذلك كان ترك الشراء والأكل من ذلك ورعا محبوبا. وكلما كثر الحرام تأكد الورع والامتناع من كل حلال لكون فاسق أو كافر حمله وسواس لا ورع)(الأناقة فيما جاء في الصدقة والضيافة، ص 82).

ويتناول أبن حجر الهيثمي حالة انفعالية يمر بها الإنسان وهي البكاء ويبين أنواعها وكيف يكون الإنسان المسلم معها فيقول:

(وأعلم أن البكاء إما من حزن وإما من وجع، وإما من فزع وإما من فرح، وإما شكراً وإما خشية من الله تعالى، وهذا هو أعلاها درجة وأغلاها ثمناً في الدار الآخرة، وأما البكاء للرياء والكذب فلا يزداد صاحبه إلا طرداً وبعداً ومقتاً، وحق لمن لم يعلم ما جرى له به القلم في سابق علم الله تعالى من سعادة مؤبدة أو شقاوة مخلدة، وهو فيما بين هاتين الحالتين قد ركب المحرمات وخالف خالقه في المنهيات أن يكثر بكاءه وأسفه وحزنه ونحيبه ولهفه، وأن يهجر الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وأن يجأر إلى الله على ما سلف منه من سوابق مخالفاته وقبائح شهواته، عسى أن يوفقه إلى التوبة النصوح وأن يخرجه من ظلمات الجهل والعصيان إلى العلم والطاعة وما لهما من ثمرات المعرفة والفتوح)(الزاجر، ص 20-21).

ويعرض أبن حجر الهيثمي لحاجة إنسانية غريزية وهي إشباع الغريزة الجنسية عن طريق الزواج فيقول:

(عن علي وابن مسعود رضي الله عنهما أن النبي {صلى الله عليه وسلم} قال يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء). والباءة مؤن النكاح بأن يتوق إليه ويجد مهر المثل وكسوة فصل ونفقة يوم وليلة وقيل الجماع وينافيه قوله ومن لم يستطع إلى آخره اذ العاجز عن الجماع لا يحتاج لصوم والشباب كناية عن التائقين للجماع ولو شيوخا نظير الترخيص في القبلة مع الصوم للشيخ دون الشباب أي لمن تحرك شهوته ولو شيخا دون من لم تحركا ولو شابا فكنى عن الأول بالشباب وعن الثاني بالشيخ نظرا للمظنة فيهما وضمير انه للزوج المفهوم من يتزوج ووجاء أي قاطع للشهوة والقطع في الصوم نظرا لدوامه لا لابتدائه فإنه يثير الحرارة ويهيجها والأمر بالتزوج للندب إذ لا يجب عندنا مطلقا إلا بالنذر في الحالة التي يندب فيها وبالصوم لأجل قطع الشهوة أي كسرها يدل على عدم قطعها بالكافور ونحوه فقطعها بذلك قيل حرام وقيل مكروه والصواب ان قطعها من أصلها حرام كالخصاء ولا من أصلها مكروه وعليه يحمل القولان وروى الطبراني في الأوسط والضياء أنه {صلى الله عليه وسلم} قال عليكم بالبائة أي النكاح عندهما فمن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه وجاء له)(الإفصاح عن أحاديث النكاح، ص1).

تعليـــــــق

من خلال النماذج التي أوردها لعلماء الطبقة الرابعة يبدو فيه أن السيوطي وأبن حجر الهيثمي الحرص على نقل نصوص الكتاب والسنة بشكل متتالي وقلة الشرح والطرح من قبلهما كما كان لدى علماء الطبقة الثالثة، ربما أنهما يريان أن ليس من حجة أقوى من الوحي، ولكن قد لا يسلم لهما بذلك لأن العلماء في كل العصور يشرحون النصوص بالتفصيل ويؤكدون ما ورد فيها. وأما السيوطي فقد كان لديه نفس أطول منهما، وتعرض للإنسان والنفس الإنسانية وكيفية التعامل معها وكيف تروض بالذكر، وتعالج بالقرآن وذكر الله، وقد وسع معنى الذكر ليشمل مفهوم العبادة الواسع.

خامســـــأ: الطبقـــــة الخامسـة: (1201هـ - حتى عصرنا الحاضر):

1) القاسمـــــــــــي: (1283 -1332هـ):

هو محمد جمال الدين بن محمد القاسمي، ولد بدمشق سنة 1283هـ. درس على كثير من علماء عصره. وأصبح إمام الشام وهو فقيه أصولي مفسر محدث أديب تقي حليم عفيف نزيه. له العديد من المؤلفات فاقت السبعين منها: دلائل التوحيد، ومحاسن التأويل في التفسير، والإيناس في تصحيح أنكحة الناس، ومذاهب الاعراب وفلاسفة الإسلام في الجن، وإصلاح المساجد من البدع والعوائد، وجوامع الآداب في أخلاق الانجاب. وتوفي بدمشق ودفن فيها سنة 1332هـ.

يورد القاسمي أن الإنسان مركب من جسد و روح ، فيقول:

(الإنسان مركب من جسد مدرك بالبصر، ومن روح ونفس مدركة بالبصيرة، ولكل واحد منهما هيئة وصورة: إما قبيحة، وإما جميلة. فالنفس المدركة بالبصيرة أعظم قدراً من الجسد المدرك بالبصر، ولذلك عظم الله أمرها بإضافتها إليه، إذ قال تعالى ((إني خالق بشراً من طين # فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين))(ص: 71-72). فنبه على أن الجسد منسوب إلى الطين، والروح إلى رب العالمين، والمراد بالروح والنفس في هذا المقام واحد)(جوامع الآداب في أخلاق الإنجاب، ص15).

ويتحدث القاسمي عن حفظ صحة الإنسان فيقول:

(والعقل أكبر مرشد إلى أن من يعتني بجودة طعامه وشرابه، ونظافة جسده ولباسه، ومسكنه وانتقاء الهواء، واجتناب ما ينهك القوى، أقرب إلى الصحة والعافية ممن يهمل ذلك)(جوامع الآداب في أخلاق الإنجاب، ص93).

يدعو القاسمي إلى تعاهد النفس الإنسانية وحسن تربيتها لتستقيم على الطريق فيقول:

(ومعلوم أن قوى النفس الإنسانية مفتقرة دائماً إلى تعهدها بالتربية والتثقيف، فلأرض مثلاً لا تخرج ما في أرحامها إلا بالفلاحة، وهي لا تكون إلا بآلات خاصة بها، وأسباب تهيئها، والكتابة لا تكون إلا بأدوات خاصة بها كالقلم وتوابعه. أما هذه الأدوات في التربية فهي عبارة عن: العلم الصحيح، والمعلم الكامل، والأخلاق المهذبة، وحسن الأسوة من الأهل والأقران، وإحكام المراقبة التي يكون بها اجتناب كل ما يخل بالأدب والكمال، مع تعهد يستمر في تقويم الطباع المتأصلة، والعقائد الموروثة، إلى الصحيح السالم)(جوامع الآداب في أخلاق الإنجاب، ص153-154).

يبين القاسمي أهمية التوحيد للإنسان وأنه لا غنى عنه له في كل الأحوال لصد كل ما يريد أضلاله من شياطين الأنس والجن فيقول:

(سر علم التوحيد وروحه هو تحقيق الإيمان بالله تعالى، أي جزم القلب بوجوده سبحانه، وما يتبعه من صفاته الجليلة، ونعوته الجميلة، جزماً بالغاً النهاية ومتجاوزاً من الحدود والغاية، بحيث لا يصاحبه ريب ولا يشوبه شك. وإنما يتم ذلك بالوقوف على ما يقوي الفطرة من قواطع الدلائل ومسالك البراهين، والبرهان سلاح الإيمان يتقي به غرة الشيطان. ومن لا عدة له يوشك أن يصرع إذا قامت الهيجاء، ويدهش لمباغتة الأعداء)(دلائل التوحيد، ص12).

ويورد القاسمي ما يقال في صرع الجني للإنسان فيقول:

(يزعمون أن المجنون إذا صرعته الجنّية، وأن المجنونة إذا صرعها الجنّي، أن ذلك إنما هو عن طريق العشق والهوى وشهوة النكاح ... وأن عين الجان أشد من عين الإنسان)(مذاهب الأعراب وفلاسفة الإسلام في الجن، ص24).

3) السعـــــدي : (1307- 1376هـ):

هو عبدالرحمن بن ناصر بن عبدالله بن ناصر بن حمد آل سعدي من قبيلة بني تميم العلامة الزاهد الورع الفقيه الأصولي المفسر، ولد في مدينة عنيزة سنة 1307هـ.نشأ نشأة صالحة كريمة، وعرف من حداثته بالصلاح والتقى. وأقبل على العلم بجد ونشاط وهمة وعزيمة فحفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب قبل أن يتجاوز الثانية عشرة من عمره، واشتغل بالعلم على علماء بلده والبلاد المجاورة لها ومن يرد إلى بلده من العلماء وانقطع للعلم وجعل كل أوقاته مشغولة في تحصيله حفظاً وفهماً ودراسة ومراجعة واستذكاراً، وما أن تقدمت به الدراسة شوطاً حتى تفتحت أمامه آفاق العلم فخرج عن مألوف بلده من الاهتمام بالفقه الحنبلي فقط إلى الاطلاع على كتب التفسير والحديث والتوحيد وكتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم الذي فتقت ذهنه ووسعت مداركه فخرج من طور التقليد إلى طور الاجتهاد حتى صار لديه جرأة وجسارة على محاولة تطبيق بعض النصوص الكريمة على بعض مخترعات هذا العصر وحوادثه، فهذه همته وعزيمته في تحصيل العلم. وله مؤلفات عديدة منها: تفسير القرآن الكريم، والرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة في العقائد والفنون المتنوعة الفاخرة، والمعين على تحصيل آداب العلم وأخلاق المتعلمين، والوسائل المفيدة للحياة السعيدة، وبهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار. توفي سنة 1376هـ.

يشرح السعدي وسائل الحياة السعيدة في كتاب له نقتطف منها قوله:

(وأعظم الأسباب لذلك وأصلها وأسُها هو الإيمان والعمل الصالح. قال تعالى ((من عمل صالحاً من ذكر وأنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون)(النحل:97). فأخبر تعالى، ووعد من جمع بين الإيمان والعمل الصالح، بالحياة الطيبة في هذه الدار، وبالجزاء الحسن في دار القرار. وسبب ذلك واضح، فإن المؤمنين بالله الإيمان الصحيح، المثمر للعمل الصالح المصلح للقلوب والأخلاق والدنيا والآخرة، ومعهم أصول وأسس يتلقون فيها جميع ما يرد عليهم من أسباب السرور والابتهاج، وأسباب القلق والهَم والأحزان)(الوسائل المفيدة للحياة السعيدة، ص11).

ويشرح السعدي طريقة مقاومة الأوهام التي ترد على نفس الإنسان، وذلك بقوة القلب:

(ومتى اعتمد القلب على الله، وتوكل عليه، ولم يستسلم للأوهام، ولا ملكته الخيالات السيئة، ووثق بالله وطمع في فضله، اندفعت عنه بذلك الهموم والغموم، وزالت عنه كثير من الأسقام البدنية والقلبية، وحصل للقلب من القوة والإنشراح والسرور ما لا يمكن التعبير عنه)(الوسائل المفيدة للحياة السعيدة، ص24).

يتناول السعدي مصادر العلم الوحي والحس والعقل فيقول:

(أعلم أن الطرق والمسالك التي يتوصل بها إلى العلوم كثيرة الأجناس والأنواع والأفراد، ولكن يجمع متفرقاتها، ويلم أشتاتها ثلاث طرق: إحداها: طرق الإخبارات الصادقة. والثاني الحس. والثالث طريق العقل. ووجه الحصر في ذلك أن المعلومات إما تدرك بالسمع أو بالبصر أو اللمس أو الذوق، وإما أن تدرك بالعقل، وإما أن تنال بالإخبار ... ثم هذه الأجناس قد توصل إلى العلم الراسخ اليقيني، وقد توصل إلى الترجيح فقط، وبين المرتبتين درجات متفاوتة)(المعين على تحصيل آداب العلم وأخلاق المتعلمين، ص11-12).

ويدعو السعدي الإنسان إلى الجمع بين حسن الخلق وطمأنينة القلب فيقول:

(وبالخلق الحسن وطمأنينة القلب وراحته يتمكن من معرفة العلوم التي سعى لإدراكها، والمعارف التي يفكر في تحصيلها)(المعين على تحصيل آداب العلم وأخلاق المتعلمين، ص63)

ويتناول السعدي ما يحتاجه الإنسان من رياضة البدن والخلق والذهن فيقول:

(وهي ثلاثة أقسام: رياضة الأبدان، ورياضة الأخلاق، ورياضة الأذهان. ووجه الحصر، أن كمال الإنسان المقصود منه: تقوية بدنه لمزاولة الأعمال المتنوعة، وتكميل أخلاقه ليحيا حياة طيبة مع الله، ومع خلقه، وتحصيل العلوم النافعة الصادقة)(الرياض الناظرة والحدائق النيرة الزاهرة في العقائد والفنون المتنوعة الفاخرة، ص186).

ونختم بشرح للسعدي لسلوك الإنسان العاقل مع الناس فيقول:

(عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((ومن يستعفف يعفه الله، ومن يستغن يغنه الله، ومن يتصبر يصبره الله، وما أعطى أحد عطاءً خيراً وأوسع من الصبر)) متفق عليه. هذا الحديث اشتمل على أربع جمل جامعة مفيدة. إحداها: قوله: ((ومن يستعفف يعفه الله)) والثانية: قوله: ((ومن يستغن يغنه الله)) وهاتان الجملتان متلازمتان، فإن كمال العبد في إخلاصه لله رغبة ورهبة وتعلقاً به دون المخلوقين، فعليه أن يسعى لتحقيق الكمال، ويعمل كل سبب يوصله إلى ذلك، حتى يكون عبداً لله حقاً حراً من رق المخلوقين. وذلك بأن يجاهد نفسه على أمرين: انصرافها عن التعلق بالمخلوقين بالاستعفاف عما في أيديهم. فلا يطلبه بمقالة ولا بلسان حالة ... وتمام ذلك: أن يجاهد نفسه على الأمر الثاني: وهو الاستغناء بالله، والثقة بكفايته، فإنه من يتوكل على الله فهو حسبه. وهذا هو المقصود، والأول وسيلة إلى هذا)(بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار، ص71).

2) محمـــــد قطـــــب: (1919م - معاصر):

محمد قطب إبراهيم الشاذلي، ولد ببلدة (موشا) التابعة لمحافظة أسيوط سنة 1919م بصعيد مصر، بعد وفاة الوالد قررت الأم أن تبعث بولديها "سيد" و"محمد" إلى القاهرة ليتلقيا تعليمهما هناك، فانتقل "محمد" مع أشقائه "سيد" و"أمينة" و"حميدة".. وفي القاهرة بدأ دراسته، فأتم المرحلتين الابتدائية والثانوية، ثم التحق بالجامعة حيث درس الإنجليزية وآدابها في جامعة القاهرة التي تخرج فيها عام 1940م، ثم تابع دراسته بمعهد المعلمين فحصل على دبلومة التربية وعلم النفس. شهدت مرحلة خروج الإخوان من سجون عبد الناصر ما يشبه الهجرة الجماعية من مصر، ولم يكن محمد قطب الذي أفرج عنه في أكتوبر 1971 استثناء من هذه القاعدة، وقد أصابه ما أصابه، فسافر في أوائل السبعينيات إلى المملكة العربية السعودية، حيث بقي هناك إلى الآن. عمل مدرسا في كلية الشريعة بجامعة أم القرى في مكة المكرمة، ثم في جامعة الملك عبد العزيز في جدة، ويرجع الفضل لمحمد قطب –حسبما ذهب مراقبون– في تأسيس مدرسة إسلامية ذات طابع حركي داخل الجامعات السعودية، وقد حاز قطب على جائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية في عام 1408هـ. وفي إطار نقده للمنتوج الفكري والثقافي الغربي حمل قطب مشعل الدعوة إلى أسلمة العلوم والتعامل معها من خلال القيم والأخلاق الإسلامية. له سلسلة طويلة من الكتب والمؤلفات من أبرزها: "جاهلية القرن العشرين"، و "واقعنا المعاصر"، و "كيف نكتب التاريخ الإسلامي"، و "لا إله إلا الله عقيدة وشريعة ومنهج حياة"، و "العلمانيون والإسلام"، و "شبهات حول الإسلام"، و "حول التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية." يعيش حالياً في ظرف صحي غير مستقر في أحد مستشفيات مدينة جدة جمع الله له بين الأجر والعافية (نقلاً بتصرف عن موقع الشهاب www.chihab.net).

قدم محمد قطب في كتابه (دراسات في النفس الإنسانية) تصوراً إسلامياً عن النفس الإنسانية استمده من نصوص الكتاب والسنة ، حيث يورد ثمانية خطوط لتلك النفس، ويذكر لكل منهما الخصائص التالية: متجاوران، ومتضادان، ومترابطان غير متزاحمين، وغير متعارضين وأن تعارضا فذلك بسبب حملهما على ذلك، وأن النفس تعمل بمجموعها كله دون انفصال أجزاءها. وهذه الخطوط هي: (الخوف والرجاء: خطان مقابلان من خطوط النفس، يوجدان فيها متجاورين مزدوجي الاتجاه ... يولد الطفل وفيه هذان الاستعدادان متجاورين... الحب والكره: الحب والكره خطان شديدا العمق في النفس الإنسانية، حتى ليبدو لأول وهلة ــ كما بدأ لفرويد ــ أنهما الخطان الأولان في كيان النفس. ولكنا رأينا في الفقرة السابقة ونحن نتدرج مع الطفل منذ مولده، أن خطي الخوف والرجاء أسبق ظهوراً، لأنهما ملتصقان بذات الطفل، قبل أن يعرف الحب والكره، اللذين يربطان بينه وبين عالم خارج عن كيان ذاته...الحسية والمعنوية: هذا الخطان .. الطاقة الحسية والطاقة المعنوية في الإنسان ينبعان بصورة ظاهرو من حقيقة الجسد والروح التي بنينا عليها ازدواج الطبيعة البشرية... ما تركه الحواس وما لا تدركه الحواس: الإيمان بالمحسوس والإيمان بالغيب. خطان آخران من الخطوط المتقابلة في النفس البشرية .. أحدهما يؤمن بما تركه حواسه من سمع وبصر ولمس وشم وذوق ... والآخر يؤمن بما وراء الحس .. مما لا يرى ولا يسمع و لا يلمس ولا يذاق ولا يشم ... وهما خطان يسيران مقاربين لخطي الحسية والمعنوية .. ولكنهما ليسا هما بالضبط، إنما شبيهان .. فهناك تحدثنا عن (طاقات) حسية ومعنوية ... وهنا نتحدث عن (الإيمان) بالمحسوس و(الإيمان) بالغيب... الواقع والخيال: خطان متقابلان في داخل النفس .. قريبان في ظاهرهما من خطى الحسية والمعنوية، وخطى الإيمان بما تدركه الحواس والإيمان بالغيب .. ومع ذلك فكل من هذه الأزواج الثلاثة ذو كيان متميز... الالتزام والتحرر: في الإنسان ميل للالتزام. ميل لأن يلتزم بأشياء معينة وينفذها ... ومع عمق هذا الميل للالتزام في الطبع البشري، فإن فيه إلى جانب ذلك ميلاً للإحساس بأنه غير ملتزم إ وأنه يؤدي الأشياء لأنه هو يريد أن يؤديها لا لأنها مفروضة عليه... السلبية والإيجابية: خطان متقابلان في النفس قريبا الشبه بخطي الالتزام والتحرر .. ولكنهما لا يتطابقان... والأقرب إلى الظن أن تكون السلبية ناشئة من حقيقة الجسد، والإيجابية ناشئة من حقيقة الروح. فقبضة الطين سلبية تخضع للقوانين المادية خضوعاً كاملاً ــ إلا ما شاء الله ــ و لا تملك التغيير و لا تفكر فيه. ونفخة الروح إيجابية .. فهي نفخة من روح الخالق المنشئ المدبر المبدع المريد... الفردية والجماعية: هذا الخطان من أخطر الخطوط في حياة البشرية. فعليهما ــ في صورتهما الصحيحة أو المنحرفة ــ تقوم نظم الحياة كلها، صالحها أو فاسدها، وعلاقات الحياة كلها، سويها أو منحرفها، وسلوك الأفراد والجماعات)(دراسات في النفس الإنسانية، ص 71-150).

ويبين محمد قطب منظور الإسلام للإنسان بصورة متميزة فيقول:

(أهم ما يتميز به الإسلام أنه يأخذ الكائن البشري على ما هو عليه، لا يحاول أن يفسره على ما ليس من طبيعته، كما تصنع النظم المثالية، وإن كان في الوقت ذاته يعمد إلى تهذيب هذه الطبيعة إلى آخر مدى مستطاع، دون أن يكبت شيئاً من النوازع الفطرية، أو يمزق الفرد بين الضغط الواقع عليه من هذه النوازع، وبين المثل العليا التي يرسمها له. الإنسان في نظر الإسلام كائن لا هو بالملاك ولا بالحيوان. وإن كان قادراً في بعض حالات الهبوط أن يصبح أسوأ من الحيوان، وفي بعض حالات الارتفاع أن يسمو بروحه إلى مستوى الملائكة من الطهر. ولكنه في حالته الطبيعية شئ بين هذا وذاك. مشتمل على استعداد للخير كما هو مشتمل على استعداد للشر. وليس أي من العنصرين غريباً على طبيعته، ولا مفروضاً عليه من خارج نفسه)(الإنسان بين المادية والإسلام، ص69).

ونختم بكلام محمد قطب عن فطرة الإنسان حيث يقول:

(مقياس الفطرة الثابت في التطور النفسي هو النمو الدائم نحو النضوج والتكامل والشمول والتوازن. فكل فرد أو جيل يتجه نحو هذا اللون من النمو فهو سليم الفطرة سائر في الطريق الصحيح. وكل فرد أو جيل يثبت على درجة معينة من النمو ــ متخلفة ــ أو يتقدم ببعض جوانب نفسه ويتأخر ببعض، أو يفقد توازنه، فهو منحرف الفطرة في حاجة إلى علاج)(التطور والثبات في حياة البشرية، ص 146).

تعليـــــــــــق

يبدو في المختارات التي نقلناها لعلماء الطبقة الخامسة قرباً مما هو مطروح في عصرنا الحاضر. فنجد لدى القاسمي طرح يغلب عليه الجانبي الشرعي الذي يحرص على تأكيد جانب العقيدة ودورها المهم في سلوك الإنسان. ونجد لدى الشيخ السعدي وهو المفسر نظرة ثاقبة إلى تعهد النفس بالإيمان والعمل الصالح مما يهيئها للسعادة الدنيوية والأخروية، كما يذكر مصادر المعرفة التي يعترف بها الغرب وهي العقل والحواس ويضاف المصدر المغيب لديهم وهو الوحي لتكتمل مصادر المعرفة لدى الإنسان. وأخيراً نجد لدى محمد قطب طروحات يمكن لكل متخصص نفسي أن يأخذها ويقدمها في أي محفل نفسي معاصر يدور الحوار فيه عن الإنسان والنفس الإنسانية، فيجد فيما كتبه تحليلات عميقة للنفس البشرية مقارنة بما لدى بعض علماء النفس الغربيين، مبنية على أسس متينة من الكتاب والسنة.

خلاصـــــــــــة

من خلال النماذج التي تم عرضها قد لا نستطيع تقديم صورة كاملة الملامح لنظرة علماء التراث النفسي للإنسان والنفس الإنسانية، لأن ذلك يحتاج مساحة أكبر نستطيع من خلالها عرض نماذج أكثر وتفصيلات أوسع تعكس الصورة بشكل قريب من ما قدموها في طروحاتهم، ولكن نظراً لمحدودية الصفحات المتاحة لهذا الورقة البحثية، ولضيق الوقت، نرجو أن نكون وفقنا في اختيار النماذج التي تعطي لمحات عن تصور هؤلاء العلماء للإنسان والنفس الإنسان، وربما أمكننا أن نلخص ملامح التصور هذا التصور في النقاط التالية:

1) أن الإنسان مخلوق من عنصرين هما المادة (التراب) والروح. وهما يحتاجان إلى ما يشبعهما، فالمادة تحتاج لحاجات الجسدية من غذاء وجنس وراحة وما يدخل فيها، وكذلك الروح تحتاج إلى إشباع عن طريق ما يأتي به الدين من عبادات وأخلاق.

2) أن مصادر المعرفة للإنسان تبدأ بالحواس ثم العقل ثم الوحي، ويكون الوحي هو المعيار لما يقبل ويرفض من المصدرين السابقين.

3) إن النفس الإنسان لديه الاستعداد للخير والشر، ولكنها مفطورة على فطرة الخير المركوزة في الجبلية الإنسانية، ما لم يأتي ما يحرفها عن فطرتها من عوامل خارجية كالوالدين والشيطان ورفاق السوء.

4) أن الأمراض النفسية لا تتوقف على ما يدرس حالياً في علم النفس بل يدخل فيها ما يعرف بأمراض الباطن أو أمراض القلوب والتي ورد لدى علماء المسلمين تناول لها في الوقاية والعلاج مما لا يتوفر لدى الباحثين الغربيين.

5) العديد من علماء المسلمين يستفيدون مما يورده غير المسلمين فيما يتعلق بالإنسان والنفس الإنسان وقوى النفس، ثم يضيفون ما يقدمه لهم الوحي مما معارف توسع آفاق تناولهم لتلك الموضوعات وتنقلها إلى فضاءات أرحب وأكثر قرباً من واقع الإنسان والنفس الإنسانية.

هذا ما تيسر كتابته، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يزم الدين.

المراجـــــــــع

- أبن المقفع، عبدالله، الأدب الصغير والأدب الكبير، شرح ودراسة مفيد قميحة، الرياض: دار الشواف، 1410هـ.
- ابن المقفع، عبدالله، اليتيمة، القاهرة: المكتبة المحمودية، (ب ،ت).
- المحاسبي، الحارث بن أسد، معاتبة النفس، تحقيق محمد عبدالقادر عطا، القاهرة: دار الاعتصام، ب.ت.
- المحاسبي، الحارث بن أسد، آداب النفوس، تحقيق عبدالقادر عطا، بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، 1408هـ.
- المحاسبي، الحارث بن أسد، المسائل في أعمال القلوب والجوارح والمكاسب والعقل، تحقيق عبدالقادر أحمد عطار، القاهرة: عالم الكتب، ب.ت.
- المحاسبي، الحارث بن أسد، الرعاية لحقوق الله، تحقيق عبدالرحمن عبدالحميد البر، المنصورة: دار اليقين للنشر والتوزيع، 1420هـ.
- الجاحظ، عمرو بن بحر، تهذيب الحيوان، تحقيق وتهذيب: عبدالسلام هارون، جزاءن، القاهرة: مكتبة النهضة، ب.ت.
- الجاحظ، عمرو بن بحر، تهذيب البخلاء، تحقيق طه الحاجري، ط5، القاهرة: دار المعارف، ب.ت.
- الجاحظ، عمرو بن بحر، المحاسن والأضداد. www.al-mostafa.com في 2011/4/15م.
- الجاحظ، عمرو بن بحر، الآمل والمأمول. www.al-mostafa.com في 2011/4/15م.
- الجاحظ، عمرو بن بحر، الحنين إلى الأوطان، ط2، بيروت: دار الرائد العربي، 1402هـ.
- الجاحظ، عمرو بن بحر، الدلائل والاعتبار على الخلق والتدبير، بيروت: دار الندوة الإسلامية، ب.ت.
- أبن مسكوية، أحمد بن محمد، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، ط2، بيروت: دار مكتبة الحياة، ب.ت.
- أبن مسكوية، أحمد بن محمد، السعادة، القاهرة: المدرسة الصناعية الإسلامية، 1335هـ.
- أبن مسكوية، أحمد بن محمد، الفوز الأصغر، بيروت: دار مكتبة الحياة، ب.ت.
- الغزالي، أبوحامد محمد، إحياء علوم الدين، خمسة أجزاء، بيروت: دارالمعرفة، ب.ت.
- الغزالي، أبوحامد محمد، منهاج العابدين، تحقيق محمد مصطفى أبوالعلا، القاهرة: مكتبة الجندي، 1392هـ.
- العثمان، عبدالكريم، الدراسات النفسية عند المسلمين والغزالي بوجه خاص، ط2، القاهرة: دار غريب للطباعة، 1401هـ.
- أبن الجوزي، أبو الفرج عبدالرحمن بن علي، ذم الهوى، تحقيق أحمد عبدالسلام عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، 1407هـ.
- أبن الجوزي، أبو الفرج عبدالرحمن بن علي، رسالة إلى ولدي: رسالة في الحث على طلب العلم، تحقيق عمرو عبدالمنعم، القاهرة: دار السلام، 1412هـ.
- أبن الجوزي، أبو الفرج عبدالرحمن بن علي، الأذكياء، بيروت: المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، ب.ت.
- أبن الجوزي، أبو الفرج عبدالرحمن بن علي، صيد الخاطر، تحقيق ناجي الطنطاوي، دمشق: دار الفكر، ط4، 1407هـ.
- الرازي، فخر الدين محمد، الكاشف عن أصول الدلائل وفصول العلل، تحقيق أحمد حجازي السقا، بيروت: دار الجيل، 1413هـ.
- الرازي، فخر الدين محمد، أساس التقديس، تحقيق أحمد حجازي السقا، القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية، ب.ت.
- الرازي، فخر الدين محمد، يسألونك عن الروح من تفسيره مفاتح الغيب، تحقيق محمد عبدالعزيز الهلاوى، القاهرة: مكتبة القرآن، ب.ت.
- الرازي، فخر الدين محمد، النفس والروح، تحقيق سليمان سليم البواب، دمشق: دار الحكمة للطباعة والنشر، 1407هـ.
- الرازي، فخر الدين محمد، الفراسة،
- أبن تيمية، أحمد، تزكية النفس، تحقيق محمد سعيد القحطاني، ط2، القاهرة: مكتبة السنة، 1416هـ.
- أبن تيمية، أحمد، الحسنة والسيئة، تقديم محمد جميل غازي، جدة: دار المدني، 1406هـ.
- أبن تيمية، أحمد، التحفة العراقية في أعمال القلوب، تحقيق سليمان مسلم الحرشي، الرياض: دار الهدى للنشر والتوزيع، 1407هـ.
- أبن تيمية، أحمد، مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب عبدالرحمن بن قاسم، الرئاسة العامة لشؤون الحرمين الشريفين، 37مجلد، ب.ت.
- أبن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، مفتاح دار السعادة ومنشورة ولاية العلم والإرادة، جزاءن، تحقيق حمدي الدمرداش محمد، مكة المكرمة: مكتبة نزار مصطفى الباز، 1418هـ.
- أبن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، الوابل الصيب من الكلم الطيب، دمشق: دار البيان، ب.ت.
- أبن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، زاد المعاد في هدى خير العباد، خمسة أجزاء، تحقيق شعيب وعبدالقادر الأرنؤوط، ط7، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1405هـ.
- أبن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ثلاثة أجزاء، بيروت: دار الكتاب العربي، 1410هـ.

- السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن، الشاب الثاقب في ذم الخليل والصاحب، تحقيق أحمد عبدالفتاح تمام، القاهرة: مكتبة التراث الإسلامي، ب.ت.

- السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن، سهام الإصابة في الدعوات المستجابة، تحقيق عادل أبو المعاطي، القاهرة: دار البشير، ب.ت.

- السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن، نتيجة الفكر في الجهر بالذكر، تحقيق يوسف بديوي وعلى الكرري، بيروت: دار مكتبة التربية، 1410هـ.

- أبن حجر الهيثمي، الأناقة فيما جاء في الصدقة والضيافة، مكتبة مشكاة الإسلام.

- أبن حجر الهيثمي، الزاجر، مكتبة مشكاة الإسلام الالكترونية. في 2011/4/27م.

- أبن حجر الهيثمي، الإفصاح عن أحاديث النكاح، ، مكتبة مشكاة الإسلام الالكترونية. في 2011/4/27م.

- المغراوي ، أحمد، المغراوي وفكره التربوي من خلال كتابه جامع جوامع الاختصار والتبيان فيما يعرض بين المعلمين وآباء الصبيان، تحقيق عبدالهادي التازي، الرياض: مكتب التربية العربي لدول الخليج، 1407هـ.

- القاسمي، محمد جمال الدين، جوامع الآداب في أخلاق الإنجاب، تحقيق حسن السماحي سويدان، دمشق: دار ابن كثير، 1417هـ.

- القاسمي، محمد جمال الدين، دلائل التوحيد، بيروت: دار الكتب العلمية، 1405هـ.

- القاسمي، محمد جمال الدين، مذاهب الأعراب وفلاسفة الإسلام في الجن، دمشق: مطبعة المقتبس، 1328هـ.

- السعدي، عبدالرحمن بن ناصر، الوسائل المفيدة للحياة السعيدة، الجيزة: مكتبة التوعية الإسلامية، 1408هـ.

- السعدي، عبدالرحمن بن ناصر، لرياض الناظرة والحدائق النيرة الزاهرة في العقائد والفنون المتنوعة الفاخرة، الرياض: المؤسسة السعيدية، ب.ت.

- السعدي، عبدالرحمن بن ناصر، بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار، الرياض: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، 1419هـ.

- قطب، محمد، دراسات في النفس الإنسانية، ط5، بيروت: دار الشروق، 1401هـ.

- قطب، محمد، الإنسان بين المادية والإسلام، ط9،بيروت: دار الشروق، 1408هـ.

- قطب، محمد، التطور والثبات في حياة البشرية، ط7، بيروت: دار الشروق، 1408هـ.

• سبق تقديم هذه الورقة إلى حلقة النقاش العلمي الثالثة للجنة التأصيل الإسلامي للعلوم بالندوة العالمي للشباب الإسلامي - التي عقدت في مدينة الخبر في الفترة 15-18/6/1432هـ الموفق 18-19/5/2011م.

المجلـــــة العربيـــــة للعلـــــوم النفسيـــــة

eJournal Index APN

www.arabpsynet.com/apn.journal/index-apn.htm

ملفـــات الأعـــداد القادمـــة

ملف العدد 34- ربيع 2012

العلوم النفسية في التراث العربإسلامي

المشرف: د. محمد توفيق الجندي

أخصائي الطب النفسي بمستشفى الأمل- جدة، السعودية

drjundi@gmail.com - arabpsynet@gmail.com

آخر أجل لقبول الأبحاث 30 - 03 - 2012

*** ***

ملف العدد 35- صيف 2012

"الإدمان في المجتمع العربي... من الوصمة إلى الرعاية"

المشرف: الدكتور حسن حسين مصطفى - القاهرة، مصر/ السعودية

دكتوراه علم النفسي - مستشفى الأمل. جدة، السعودية

moustafa_hassan_h@hotmail.com - arabpsynet@gmail.com

آخر أجل لقبول الأبحاث 30 - 06 - 2012

الاعتبـــــارات الهيثميـــــة عـــــن الغلـــــط البصـــــري فـــــي الســـــودان:

اكتشاف جديد في ماضي علم النفس التجريبي

أ.د. عمر هارون الخليفة *، مؤسس مشروع طائر السمبر- أ. هاجر عبد العزيز زمراوي الشيخ، جامعة الخرطوم

أ. بخوك الطيب محمد عبد المحمود، جامعة الخرطوم- أ. هيبات الطيب بشير الشيخ، جامعة الخرطوم

okhaleefa@hotmail.com

ملخـــــص الاعتبارات الهيثمية عن الغلط البصري في السودان:

اكتشاف جديد في ماضي علم النفس التجريبي

أظهرت نتائج الدراسة الحالية عن وجود "اعتبارات" سميناها باسم مصممها أو مكتشفها "الاعتبارات الهيثمية عن الغلط البصري" والتي يعود تاريخها للقرن الحادي عشر الميلادي. وقد كشفت الدراسة كذلك بأن ابن الهيثم قد وضع أسس الاعتبار (المنهج التجريبي) في موسوعته المعروفة "كتاب المناظر". ويعتبر ابن الهيثم أول عالم بصريات قام بصورة اعتبارية (تجريبية) بدراسة البصر، وصاغ مفهوم "الغلط البصري"، ونظرية "الغلط البصري"، واعتبار "الغلط البصري" ولوح "الغلط البصري" منذ القرن الحادي عشر الميلادي. وأظهرت نتائج الدراسة الميدانية بأن ابن الهيثم قد اتبع أسس المنهج العلمي التجريبي بصورة صارمة في دراسته الرصينة عن الغلط البصري. ولقد تم تطبيق الاعتبارات (التجارب) المجددة لابن الهيثم على عينة بلغت 300 معتبرا من طلاب جامعة الخرطوم بالسودان. وتم اختيار المعتبرين حسب متغير النوع، والعمر، والمستوى التعليمي من كليات الاداب والقانون والعلوم الرياضية. واستخدمت بعض الإجراءات الصارمة في تطبيق الاعتبارات المجددة. وكانت أهم نتيجة، لافتة للنظر، هي توافق نتائج الدراسة الحالية مع ملاحظات واعتبار ابن الهيثم بنسبة 86,4% فضلا عن تقارب نتائج الدراسة الحالية مع نتائج الاعتبارات التي تمت في البحرين والسعودية. كما أظهرت نتائج الدراسة بأن الذكور وكبار السن أكثر عرضة للغلط البصري مقارنة بالاناث وصغار السن. ونتيجة لتعقيد الدراسة تبعا لتعقيد علم المناظر المركب من عدة علوم، وكذلك تعقيد نظرية الغلط البصري عند ابن الهيثم، فقد تم عملية مقاربة بين المفاهيم الهيثمية ومفاهيم علم النفس الحديث فأصبح "الغلط البصري" يمثل "الخداع البصري"، و"الاعتبار" يمثل "التجريب" أو "القياس" فضلا عن ذلك تم تحليل النتائج الحالية من خلال بعدين أساسين هما البعد الهندسي البصري والبعد الفيزيائي الفسيولوجي. وختاما اقترحت وأوصت الدراسة بعملية إحياء وتجديد "الاعتبارت الهيثمية" وذلك لأنها تعطي الباحث العربي المسلم ثقة قوية في النفس بالابداع والتجديد. فكما أبدع وتجدد علماء التراث في القرن الحادي عشر الميلادي يمكن أن يبدع ويتجدد علماء النفس العرب والمسلمين المعاصرين في بداية الألفية بعد مرور ألف عام من تأليف كتاب المناظر الذي يمثل أول مؤلف يؤرخ به ماضي علم النفس الاعتباري (التجريبي).

1-ابـــــن الهيثـــــم ومفهـــــوم الغلـــــط البصـــــري

عالج ابن الهيثم في النصف الأول من القرن الحادي عشر بنية أو مفهوم "الغلط البصري" بدقة وموضوعية في المقالة الثالثة من "كتاب المناظر" وهي بعنوان "في أغلاط البصر فيما يدركه على استقامة و عللها"، والتي تتكون من سبعة فصول. فكان الفصل الأول عبارة عن "صدر المقالة"، والفصل الثاني "في تقديم ما يجب تقديمه لتبيين الكلام في أغلاط البصر"، والفصل الثالث "في العلل التي من أجلها يعرض للبصر الغلط في تمييز أغلاط البصر"، والفصل الرابع "في تمييز أغلاط البصر" ، والفصل الخامس "في كيفيات أغلاط البصر التي تكون بمجرد الحس" ، والفصل السادس "في كيفيات أغلاط البصر التي تكون في المعرفة" بينما الفصل السابع "في كيفيات أغلاط البصر التي تكون في القياس".

وفي كتاب المناظر، نظر ابن الهيثم للإدراك بصورة ذكية بل وشاملة لأول مرة في ماضي علم النفس والذي يرتبط ب"الغلط البصري" في 22 موضوعا وهي: إدراك الضوء، وإدراك اللون، وإدراك البعد، وإدراك الوضع، وإدراك التجسم، وإدراك الشكل، وإدراك العظم، وإدراك التفرق، وإدراك الاتصال، وإدراك العدد، وإدراك الحركة، وإدراك السكون، وإدراك الخشونة، وإدراك الملاسة، وإدراك الشفيف، وإدراك الكثافة، وإدراك الظل، وإدراك الظلمة، وإدراك الحسن، وإدراك القبح، وإدراك التشابه، وإدراك الاختلاف.

لم يكتف ابن الهيثم في معالجته لمفهوم الغلط البصري وتحديد مواضع الادراك البصري بل عرض بالشرح والتحليل والتركيب في كتاب المناظر عدة موضوعات أساسية في علم نفس الابصار منها: غلط البصر في

القياس من أجل خروج بعد المبصر عن عرض الاعتدال. وغلط البصر في القياس من أجل خروج وضع المبصر عن عرض الاعتدال. وغلط البصر في القياس من أجل خروج الضوء الذي في المبصر عن عرض الاعتدال. وغلط البصر في القياس من أجل خروج حجم المبصر عن عرض الاعتدال. وغلط البصر في القياس من أجل خروج كثافة المبصر عن عرض الاعتدال. وغلط البصر في القياس من أجل خروج شفيف الهواء عن عرض الاعتدال. وغلط البصر في القياس من أجل خروج الزمان الذي فيه يدرك البصر المبصر عن عرض الاعتدال. فضلا عن غلط البصر في القياس من أجل خروج صحة البصر عن عرض الاعتدال (ابن الهيثم، أنظر ملحق 1، غلاف مخطوط كتاب المناظر).

يقول ابن الهيثم في فاتحة صدر المقالة الثالثة من كتاب المناظر " قد تبين في المقالة الأولى والثانية كيف يدرك البصر المبصرات على ما هي عليه إذا كان إدراكه لها على استقامة، و كيف يتحقق صورة المبصر، و كيف يدرك كل واحد من المعاني الجزئية على ما هي عليه و كيف يتحققه. وليس كل مبصر يدركه البصر على ما هو عليه، ولا كل معنى يدركه البصر و يتخيل الناظر أنه قد أدرك حقيقته يكون مصيبا في إدراكه وفي تخيله. بل قد يغلط البصر في كثير مما يدركه من المبصرات و يدركها على خلاف ما هي عليه، وربما أحس بغلطه في حال غلطه وربما لم يحس بغلطه و ظن أنه مصيب و يكون غالطا" (ابن الهيثم ، ص 341 -342).

كعادة العلماء الثقاة لم يكتف ابن الهيثم بتحديد مفهوم "الغلط البصري" بل صاغ نظرية شارحة ومفسرة عن "الغلط البصري". وتعالج هذه الموضوعات في علم النفس الحديث ضمن علم النفس البحت، أو علم النفس المعرفي، أو في مقدمات ومبادئ علم النفس.

إن مفهوم "الغلط البصري" الذي عالجه ابن الهيثم في كتاب المناظر هو ذات المفهوم الذي عالجه ابن سينا باسم "الخطأ البصري" وفيما بعد سوف نقارب المفهومين "الغلط" و"الخطأ" باسم "الخداع البصري" كما في علم النفس الحديث. وسوف يكون "الغلط البصري" من ناحية اجرائية عبارة عن الدرجات المنالة في اعتبار ابن الهيثم والذي تم ابداعه من خلال نظرية متماسكة.

2-ابـــــن الهيثـــــم ونظريـــــة الغلـــــط البصـــــري

مبتدئا يمكن القول بكل ثقة بأن ابن الهيثم قد صاغ نظرية دقيقة ومتكاملة عن "الغلط البصري" إذا يقول "إنّ الناظر إذا نظر إلى مبصر من المبصرات فإن كل واحد من البصرين يلحظ ذلك المبصر، وإذا حدق الناظر إلى ذلك المبصر فإن كل واحد من البصرين يحدق إلى ذلك المبصر تحديقا متشابها متساويا، وإن تأمل الناظر المبصر فإن كل واحد من البصرين يتأمل ذلك المبصر بالسواء، وإذا تحرك البصر على المبصر لتأمله فإن البصرين جميعا يتحركان عليه و يتأملانه. وإذا حدق الناظر إلى المبصر فإن سهمي البصرين يجتمعان على ذلك المبصر و يلتقيان على نقطة من سطحه. وإن تأمل الناظر ذلك المبصر فإن السهمين يتحركان معا على سطح ذلك المبصر ويمران معا بجميع أجزاء المبصر. وبالجملة فإن البصرين متساويان في جميع أحوالهما، و القوة الحساسة التي فيهما واحدة، و فعلهما وانفعالهما أبدا متساو ومتشابه. فإذا تحرك أحد البصرين للإبصار، فإن البصر الآخر يتحرك لذلك الإبصار بعينه مثل تلك الحركة بعينها، وإن سكن أحد البصرين سكن الآخر. وليس يمكن أن يتحرك أحد البصرين للإبصار ويسكن الآخر، ولا أن يعتمد أحد البصرين النظر إلى مبصر من المبصرات ولا يعتمد البصر الآخر النظر إلى ذلك المبصر، إلا أن يعوق أحدهما عائق أو يستره ساتر أو يعرض له عارض، فيعتاق بذلك العارض أو الساتر عن فعل ما يفعله البصر الآخر. وإذا تؤملت حال البصرين عند إدراك المبصرات وتفقدت أفعالهما وحركاتهما، وجدت أفعال البصرين وحركاتهما أبدا متساوية متشابهة" (ابن الهيثم ، ص . 343 - 344).

ويلاحظ أن ابن الهيثم قد عالج موضوع الإبصار من ناحية منهجية فيزيائية في المقالة الأولى من "كتاب المناظر"، بينما عالج موضوعات سيكولوجيا الإبصار في المقالة الثانية والثالثة. وبوسعنا القول بأن ابن الهيثم كان فيزيائيا في منهجه، وسيكولوجيا في تطبيقاته وينعكس ذلك القول بصورة أكثر تحديدا على موضوع الدراسة الحالية (الخليفة، 1999، 2001، 2005). ومن بين الموضوعات الدقيقة عن "الغلط البصري" التي تناولها ابن الهيثم بالشرح والتحليل بصورة مدهشة موضوع الغلط في البعد، والغلط في الوضع، والغلط في التجسم، والغلط في الشكل، والغلط في العظم، والغلط في التفرق، والغلط في الاتصال، والغلط في العدد، والغلط في الحركة، والغلط في السكون، والغلط في الخشونة، والغلط في الملاسة، والغلط في الشفيف، والغلط في الكثافة، والغلط في الظل، والغلط في الظلمة، والغلط في الحسن، والغلط في القبح، والغلط في التشابه، والغلط في الاختلاف (ابن الهيثم، كتاب المناظر).

ويمكننا القول بأن ابن الهيثم في صياغته لنظرية الغلط البصري بأبعادها المختلفة كان أصيلا أو مبدعا، وذلك لأن مشكلة الغلط البصري لم تعالج بذات الكيفية الأصيلة من قبل فترة ابن الهيثم. وحتى إذا رجعنا لمصادر ابن الهيثم عن المناظر أو البصريات أو علم المنظور أو الأوبتكا يصعب بأن نخلص للقول بأنه استقى منها نظريته. وبذلك أبدع (صاغ) ابن الهيثم، بلا ريب، نظرية متكاملة عن "الغلط البصري" على غير مثال سابق في القرن الحادي عشر الميلادي. ولقد عالج ابن سينا (980-1037) في ذات القرن الذي جاء فيه ابن الهيثم موضوع الإبصار في المقالة الثالثة من كتاب الشفاء والتي قسمها إلى سبعة فصول. بينما عالج موضوع "الخطأ البصري" في الفصل الثامن في سبب رؤية الشيء الواحد كشيئين. ولم يكتف ابن الهيثم بتحديد مفهوم "الغلط البصري" بل صاغ نظرية دقيقة محكمة تعبر عن "الغلط البصري" فضلا عن ذلك لم يكتف بالمفهوم والنظرية بل حدد منهجا لأول مرة في تاريخ علم النفس يسمى ب "الاعتبار".

3-اعتبـــــار ابـــن الهيثـــــم عـــن الغلـــــط البصـــــري

لم يكتف ابن الهيثم بالتنظير الاعتباري (المنهجي) بل قام بالتحقق الاعتباري (التجريبي) من مصداقية وثبات نظرية "الغلط البصري" من خلال إجراء اعتبار (تجربة أو مقياس) واضعا لقواعدها الرياضية والهندسية. وعلى أساس هذه القواعد يؤسس ويصف ابن الهيثم بدقة متناهية اعتباره (تجاربه) لأول مرة في تاريخ العلم كافة وماضي علم النفس بصورة خاصة كالآتي : " يتّخذ لوح من خشب خفيف مسفر اللون يكون طوله قدر عظم الذراع وعرضه أربع أصابع مقتدرة. و ليكن سطحه مستويا أملس و تكون نهايتا طوليه متوازيين وعرضاه أيضا متوازيين. وليخرج فيه قطران يتقاطعان ويخرج من موضع التقاطع خط مستقيم مواز لنهاية الطولين، و يخرج من موضع التقاطع أيضا خط مستقيم قائم على الخط الأول المتوسط على زوايا قائمة. ولتصبغ هذه الخطوط بأصباغ مشرقة مختلفة الألوان لتكون ظاهرة، و ليكن القطران منها متشابهي اللون". ويلاحظ استخدام ابن الهيثم في تحديد القواعد الرياضية والهندسية لاعتباره مستخدما نظام الأقيسة الاسلامية المتوفرة في ذلك الزمن الغابر من تطوير العلم.

وعلم المناظر من خلال التركيز الهندسي والذي ابتدعه ابن الهيثم قام بتوظيفه بدقة في هندسة لوحه الشهير إذا يضيف " ولنخرق في وسط عرض اللوح عند طرف الخط المستقيم المتوسط و فيما بين القطرين خرقا مستديرا ومع ذلك منخرطا أوله أوسع من آخره بقدر ما تدخل فيه قرنة

الأنف إذا ركب اللوح عليه إلى أن تصل زاويتا اللوح إلى غاية القرب من وسطي سطحي البصرين وتصيران قريبتين من مماسة البصرين ولا يماسانها. و ليكن اللوح على مثال شكل أ ب ج د، وليكن قطراه ا د ب ج، ولتكن نقطة التقاطع نقطة ك، وليكن الخط الذي في وسطه الممتد في طوله هـــ ك ز، وليكن الخط الذي يقطع هذا الخط على زوايا قائمة ح ك ط، وليكن الخرق الذي في وسط عرض اللوح هو الذي يحيط به خط م هـــ ن " (ملحق 2، شكل لوح ابن الهيثم القرن الحادي عشر الميلادي).

ولم يكتف ابن الهيثم بعملية البناء الرياضي لاعتبار (قياس) الغلط البصري بل أضاف بعض التفاصيل الهندسية الدقيقة لإكمال صنع الاعتبار لآجراء أول تجربة محكمة في ماضي علم النفس. ويقول ابن الهيثم: "فليؤخذ جزء يسير من الشمع الأبيض فيعمل منه ثلاثة أشخاص صغار أسطوانية، و لتصبغ الثلاثة بألوان مختلفة كل واحد منها بلون يخالف لون الآخر، وليقم أحد الأشخاص في وسط اللوح علي نقطة ك، وليلصق باللوح حتى لا يزول من موضعه وليكن قائما علي اللوح قياما معتدلا، وليقم الشخصان الآخران على طرفي الخط المعترض على نقطتي ح ط، فتصير الأشخاص الثلاثة على سمت واحد.

ويحدد ابن الهيثم مزيدا من الاجراءات والتفاصيل الدقيقة في كيفية تطبيق الاعتبار (التجربة): "ثم يرفع المعتبر هذا اللوح ويركب الخرق الذي في وسط عرضه على قرنة أنفه وفيما بين عينيه حتى تدخل قرنة الأنف في الخرق و تلتصق باللوح و تصير زاويتا اللوح عند وسطي سطحي البصرين وقريبتين من مماستهما. ثم يعتمد المعتبر النظر إلى الشخص الذي في وسط اللوح ويحدق إليه تحديقا شديدا. فإذا نظر المعتبر إلى الشخص المتوسط وحدق إليه فإن سهمي البصرين يلتقيان على هذا الشخص، ويكون السهمان مطابقين للقطرين أو موازيين لهما، ويصير السهم المشترك الذي حددناه من قبل مطابقا للخط الممتد في وسط طول اللوح" .

هذا ما وصفه ابن الهيثم في القرن الحادي عشر الميلادي وبوسعنا التساؤل بصورة مباشرة كيف يمكن إحياؤه وتجديده في نهاية القرن العشرين وبداية الألفية؟ بالنسبة لتحديد حجم اللوح قال ابن الهيثم "طوله قدر عظم الذراع وعرضه أربع أصابع مقتدرة". وقام الخليفة مانع (الخليفة ومانع، 2001) حسب فهمهما لاعتبار (تجارب) ابن الهيثم بتحديد طول وعرض اللوح للدراسة وذلك من خلال قياس عظم الأذرع الخارجية، وعرض الأصابع المقتدرة لثلاثين طالبا من جامعة البحرين من الذكور، وذلك بقسم علم النفس بكلية التربية. وكان متوسط طول عظام الأذرع الخارجية للطلاب هو حوالي 28 سم، ومتوسط عرض الأصابع الأربع المقتدرة هو 7,5 سم. وقد لفت الباحثات الانتباه بأنهما قاسا عظم الذراع وليس كل الذراع، وتبعا لذلك فقد تم تصميم اللوح المبدئي في صورته الجديدة بحيث يكون طوله وعرضه (28 × 7,5 سم).

وتمت محاولة أولية لتصميم اعتبار (مقياس) الغلط البصري بقسم الفيزياء، كلية العلوم، جامعة البحرين طبقا لمعظم مواصفات ابن الهيثم، والمجددة بواسطة الباحثين . ولقد تم تصميم الألواح من الخشب الخفيف المسفر اللون وفقا لوصف ابن الهيثم. ولقد تم التأكد من استواء وملاسة الألواح المصنوعة مع مراعاة الدقة في الطولين والعرضين، وتم تخطيط الألواح بأصباغ مشرقة طبقا لما ذكره ابن الهيثم. وبالنسبة للزوايا فتم تقديرها بحيث كانت زاوية ج ب ق= 11، وزاوية ج ب د= 30، وزاوية ج ب ح= 36 درجة. وبالنسبة للخرق في وسط اللوح لإدخال قرنة الأنف فتم تصميم الخرق المستدير بصورة تقديرية حيث يكون مريحا (2× 3 سم) بالنسبة للكبار، و(2× 2.5سم) بالنسبة للصغار من المعتبرين. وإن الاختلاف الوحيد بين الاعتبار الهيثمي (القرن الحادي عشر) والاعتبار المجدد (بداية الألفية) هو مادة الأشخاص الثلاثة. فقد ذكر ابن الهيثم " فليؤخذ جزء يسير من الشمع الأبيض فيعمل منه ثلاثة أشخاص صغار أسطوانية، ولتصبغ الثلاثة بألوان مختلفة " .

ولقد حاول الخليفة ومانع (2001) بصنع الأشخاص طبقا لما وصفه ابن الهيثم، ولكن هناك عدة اشكالات تعلقت بدقة التصميم، ومراعاة الحجم، وثبات التلوين وإشراق الألوان. يقول ابن الهيثم "وليلصق باللوح حتى لا يزول من موضعه" . ولقد صعب تحقيق تثبيت الأشخاص في اللوح طبقا لما ذكره ابن الهيثم، وكذلك لم تكن الأشخاص المصنوعة من الشمع متينة بحيث تسمح بتحريكها عشرات المرات في حالة تطبيقها على الفرد الواحد. ونتيجة لذلك استبدل الباحثان الشمع كمادة لصنع الأشخاص الثلاثة بدبابيس مقاربة من حيث الشكل، واللون، والحجم والتي أدت الوظيفة بصورة رائعة بحيث لا نحتاج إلى مادة لاصقة لأن نهاية الدبوس هي حادة تسمح بالنفاذ في الخشب الخفيف المسفر بيسر ولا تؤدي إلى تشوهه (أنظر ملحق 3 في كيفية وضع مقياس ابن الهيثم في قرنة الأنف).

وفيما بعد اكتشف الباحثان بأن محاولتهما الأولية (المبدئية) في صنع لوح ابن الهيثم هي غير صحيحة وبلغة أكثر دقة هي خاطئة من حيث طول وعرض اللوح. وفقا لاكتشاف هذا الخطأ الفادح تم تصميم دقيق لطول وعرض اللوح المجدد. وكان سبب التعديل في حجم اللوح يتعلق باقتراح بناء مقدم من بروفسير مصطفى موالدي أستاذ بل سلطة في تاريخ العلوم بمعهد التراث العربي بجامعة حلب بسوريا والذي قرأ بعين ناقدة أول مخطوط عن اعتبارات ابن الهيثم ومن بعده البرفسير العبقري عبد الحميد صبرة أستاذ البصريات الوسيطة في جامعة هارفارد الأمريكية. إذ أكدا أهمية الالتزام بالمفاهيم القياسية الإسلامية وخاصة ما ذكر في دراسة نظيف (1942) فالذراع في هذه الأقيسة الاسلامية حوالي 50 سم وعرض الأصابع المقتدرة حوالي 8 سم وبذلك كان طول وعرض اللوح المجدد بواسطة الخليفة (الخليفة، 2001، 2003، 2005) (50 X 8 سم) (ملحق 3 لوح ابن الهيثم القرن الحادي والعشرين). ولقد توفر تراث مجدد لاعتبارات ابن الهيثم في بعض الدول العربية ومن المناسب عرضه في هذا الجزء من الدراسة.

وقبل عرض هذا التراث المجدد في بداية الألفية من المفيد الاشارة إلى أن مصطلح "الاعتبار" الذي صاغه ابن الهيثم في كتاب المناظر كأول محاولة في تاريخ العلم كافة تؤسس للمنهج الاعتباري "التجريبي" فقد استخدمناه في هذه الدراسة تارة باسم "المنهج" وتارة باسم "التجربة" وهو المعنى المركزي للمصطلح ولكن استخدمناه في الوقت ذاته في مواقع أخرى باسم "القياس" وتارة أخرى باسم "مقياس" وذلك لعدم التمييز الدقيق بين استخدام هذه المصطلحات في تلك المرحلة الباكرة من تاريخ العلم.

4- تـــــــراث ابن الهيثـــــم المجـــدد في بداية الألفيـــــة

4-1 ابـــــن الهيثـــــم في البحريـــــن

تم تطبيق إعتبارات ابن الهيثم للغلط البصري في البحرين (الخليفة ومانع ، 2001) لمعتبرين قدرهم 235 من الفئة العمرية 6-60 سنة من الذكور 100 (42.6%) والاناث 135 (57,4%). وتم تصنيف الفئات العمرية للمعتبرين إلى 7 فئات والمستويات التعليمية إلى 6 مستويات وتم تقديم 20 اعتبار لابن الهيثم تم وصفها في كتاب المناظر. وكانت أكثر نتيجة بارزة في الدراسة التحقق من اعتبارات ابن الهيثم التي وصفها في القرن الحادي عشر الميلادي في نهاية الألفية تحت ظروف الاعتبار الجديدة بنسبة 78%. وبلغ المتوسط العام لدرجات الغلط البصري (18,67) درجة من مجموع 20 درجة بانحراف معياري (4,87). وفيما يخص متغيرات الدراسة كشفت النتائج بنيل فئة المعتبرين العمرية 35–44 سنة أعلى المتوسطات (19,38) درجة بينما نالت فئة المعتبرين العمرية 60+ أدنى المتوسطات (11,25) درجة. ونالت فئة المعتبرين من طلاب الجامعات والدراسات العليات أعلى الدرجات حوالي (20) درجة بينما نالت فئة الأميين من

المعتبرين أدنى الدرجات في الغلط البصري (16,88). ونال الذكور من المعتبرين متوسط أعلى في الغلط البصري (19,17) مقارنة بالاناث (18,30). وعموما تكشف النتائج بأن الفئات العمرية الكبيرة أكثر عرضة للغلط البصري مقارنة بالصغيرة وأن الأميين أكثر عرضة للغلط البصري مقارنة بالمتعلمين وأن الذكور أكثر عرضة للغلط البصري مقارنة بالاناث.

2-4 ابـــــــن الهيثـــــــم مجـــــددا في البحريـــــــن

تم تطبيق إعتبارات ابن الهيثم للغلط البصري في البحرين في دراسة ثانية (الخليفة، 2003) لمعتبرين قدرهم 1077 من الفئة العمرية 8-70 سنة من الذكور 498 (46,2%) والاناث 579 (53,8%). وتم تصنيف الفئات العمرية للمعتبرين إلى 7 فئات والمستويات التعليمية إلى 5 مستويات وتم تقديم 5 اعتبارات لابن الهيثم تم وصفها في كتاب المناظر. وكانت أكثر نتيجة بارزة في الدراسة التحقق من اعتبارات ابن الهيثم التي وصفها في القرن الحادي عشر الميلادي في نهاية الألفية تحت ظروق الاعتبار الجديدة بنسبة 78,2%. وبلغ المتوسط العام لدرجات الغلط البصري (3,91) درجة من مجموع 5 درجات بانحراف معياري (1,06). وفيما يخص متغيرات الدراسة كشفت النتائج بنيل فئة المعتبرين العمرية أقل من 10 سنوات أعلى المتوسطات (4,20) درجة بينما نالت فئة المعتبرين العمرية 61-70 أدنى المتوسطات (2,86) درجة. ونالت فئة المعتبرين من طلاب الجامعات أعلى الدرجات (4,18) بينما نالت فئة الأميين من المعتبرين أدنى الدرجات في الغلط البصري (3,23). ونال الذكور من المعتبرين متوسط أعلى في الغلط البصري (3,95) مقارنة بالاناث (3,86).

وعموما تكشف النتائج بأن الفئات العمرية كبيرة السن أكثر عرضة للغلط البصري مقارنة بالصغيرة وأن الأميين أكثر عرضة للغلط البصري مقارنة بالمتعلمين وأن الذكور أكثر عرضة للغلط البصري مقارنة بالاناث. وبلغت درجة ثبات التجارب (طريقة إعادة الاختبار) 0,96، وعن طريق التجزئة النصفية لاعتبار الغلط البصري (0,88)، وعن طريق معادلة سبيرمان (0,88). وبلغت درجة مصداقية اعتبار الغلط الغلط البصري عن طريق العلاقة الارتباطية بين الصورة أ والصورة ب من الاعتبار (0,81). وعموما تكشف هذه النتائج درجة ثبات ومصداقية عالية لاعتبار ابن الهيثم الذي وصف في القرن الحادي عشر وتم تجديده في القرن الحادي عشر الميلادي بفارق قرن من الزمان.

3-4 ابـــن الهيثـــم في السعوديـــــة والامـــــارات

تم تطبيق اعتبارات ابن الهيثم للغلط البصري في المملكة العربية السعودية في مدينة جدة بمدارس دار الذكر الأهلية للبنين (غلمان، وأخرون، 2009) تحت رعاية الباحث عادل بترجي وقدمت نتائج الدراسة في فعاليات مؤتمر علم نفس الأمة (الخليفة، 2009) والذي نظمته الرابطة العالمية لعلماء النفس المسلمين بالشارقة بدولة الامارات العربية المتحدة تحت رعاية الشيخ سلطان القاسمي عضو المجلس الأعلى وحاكم إمارة الشارقة. وكان عدد المعتبرين الذين طبق عليهم اعتبار ابن الهيثم 163 معتبرا تتراوح أعمارهم بين 11-17 سنة وهم جميعا من الذكور. وتم تصميم مقياس ابن الهيثم للغلط البصري في مدينة جدة من لوح الاعتبار حسب المعايير التي ذكرها ابن الهيثم في اعتباره الأول بكتاب المناظر. وتم التأكد من اجادة المعتبرين لأسلوب التطبيق على الطلاب. وكشفت نتائج الدراسة التحقق من ملاحظات ابن الهيثم التي توصل إليها في القرن الحادي عشر الميلادي في المجتمع الطلابي بالسعودية خلال القرن الحادي والعشرين بنسبة 82,61%.

وكشفت الدراسة السعودية من خلال توزيع درجات الغلط البصري حسب الفئات العمرية للمعتبرين بأن هناك تقارب كبير جدا في النتائج والتي بلغ متوسطها الحسابي 10 درجات والتي تراوحت بين 7,42-8,98 درجة. ونالت الفئة العمرية من المعتبرين 11 سنة أعلى المتوسطات وأقل درجة في التشتت (1,02) بينما الفئة العمرية من المعتبرين 16 سنة نالت أدني الدرجات في الغلط البصري (7,42) وأعلى درجات التشتت (2,58). و إن بحث الاعتبارات الهيثمية الذي قدمه طلاب مدارس دار الذكر الأهلية بمؤتمر الشارقة لفت انتباه عالم نفس الأمة، البروفسير صالح الصنيع (الخليفة، 2009)، من المملكة العربية السعودية، ذاكر بأن من أهم ايجابيات مؤتمر الشارقة عدم مشاهدته طوال حياته أطفالا يقدمون أوراقا علمية في مؤتمر عالمي كما قام بذلك أطفال مدارس دار الذكر الموهوبين بجدة بتقديم مدهش لمقياس ابن الهيثم للغلط البصري (ملحق 4 كيفية تطبيق اعتبارات ابن الهيثم في السعودية).

تكشف نتائج تراث ابن الهيثم في بداية الألفية عن حوالي 10 نقاط مهمة. منها أولا تطبيق المقياس لعينات ذات سعة في البحرين والسعودية تراوحت بين 163-1077 بمجموع 1475معتبرا . ثانيا تم تطبيق اعتبارات ابن الهيثم لمعتبرين من فئات عمرية متباينة تراوحت أعمارعم بين 6-70 سنة. ثالثا: تم تطبيق الاعتبارات المجددة لجميع الفئات التعليمية من مستوى الأمي للدراسات العليا. رابعا: باستثناء معتبري السعودية، تم تطبيق الاعتبارات المجددة للذكور والاناث. خامسا، تم تصميم ألواح أو اعتبارات ابن الهيثم بذات المواصفات المذكورة في كتاب المناظر لابن الهيثم وكانت هناك درجات ثبات وصدق عالية للاعتبارات. سادسا: تم تطبيق الاعتبارات بدقة لجميع المعتبرين في الدراسات الثلاثة كما ورد في أجراءات الدراسة. سابعا: كشفت نتائج الدراسات بأن نسبة الأغلاط البصرية بالنسبة للمعتبرين في الدراسات تراوحت بين 87% و82,6% . ثامنا: أظهرت نتائج الدراسات عموما بأن الفئات العمرية الكبيرة من المعتبرين أكثر عرضة للغلط البصري مقارنة بالصغيرة . تاسعا: وأن الأميين من المعتبرين أكثر عرضة للغلط البصري مقارنة بالمتعلمين. عاشر: وأن الذكور من المعتبرين أكثر عرضة للغلط البصري مقارنة بالاناث. لقد أجريت الدراسات أعلاه في البحرين والسعودية ويحاول البحث الحالي توفير بيانات جديدة عن اعتبارات ابن الهيثم في السودان.

4.4 أسئلـــــة البحـــــث

أولا: ماهي نسبة الغلط البصري في اعتبارات ابن الهيثم وسط المعتبرين في السودان؟

ثانيا: ماهي فروق الفئات العمرية في الغلط البصري في اعتبارات ابن الهثيم في السودان؟

ثالثا: ماهي فروق الذكور والاناث في الغلط البصري في اعتبارات ابن الهيثم في السودان؟

5- اعتبـــــار البحـــــث

1.5 معتبـــــرو البحـــــث

تم اختيار المعتبرين من ولاية الخرطوم بالسودان وعددهم 300 معتبرا. ومن قبل تم تطبيق الاعتبار على عينة استطلاعية عددها 10 معتبرين من قسم علم النفس بكلية الآداب، جامعة الخرطوم وذلك للتأكد من سلامة ارشادات ولغة اعتبارات ابن الهيثم ومن مواقع الشخوص والخطوط والزوايا على لوح الغلط البصري. وتم اختيار المعتبرين من جامعة الخرطوم من 3 كليات هي الآداب والقانون والعلوم الرياضية،

وتراوحت أعمار المعتبربين بين 16-35 سنة نصفهم من الذكور 150 (50%) والنصف الآخر من الاناث 150 (50%) (جدول، 1).

جدول (1): حجم العينة الكلي وعدد المعتبرين في الدراسة الحالية

الكلية	العدد الكلي للطلاب	عدد المعتبرين	نسبة المعتبرين من العدد الكلي	نسبة المعتبرين من كل كلية
الأداب	2783	120	%4,3	%40,0
العلوم الرياضية	1593	100	%6,3	%33,3
القانون	1738	80	%4,6	%26,7

2-5 إجـــــراءات البحـــــث

تم اقتباس 5 أسئلة فقط من أسئلة اعتبارات ابن الهيثم العشرة عن الغلط البصري (الخليفة، 1999، 2001، 2005). تم توزيع ألواح ابن الهيثم، واستمارات اعتبار ابن الهيثم (ملحق 4 استمارة مقياس ابن الهيثم) للمعتبرين مع الشخوص الملونة. وفي حالات صعوبة فهم ارشادات اعتبارات ابن الهيثم قام الفاحصون بشرح مفصل للارشادات وكيفية وضع اللوح في قرنة الأنف وكيفية التحديق فضلا عن كيفية التأكد تماما من المطلوب من الدراسة. وطبقت اعتبارات ابن الهيثم بصورة فردية في كليات جامعة الخرطوم من قبل الفاحصات المدربات في مجموعة طائر السمبر البحثية. وتم مراعاة خلق جو مناسب للتطبيق وبناء علاقة حميمة مع المعتبرين وشرح الهدف من التجارب كما تم التأكد تماما من فهم المعتبرين للمطلوب منهم. وقام الفاحصون بتسجيل نتائج الاعتبار على كل نقطة من النقاط في استمارة اعتبارات ابن الهيثم. وعموما تحمس المعتبرين متسائلين هل لهم "غلط بصري" في اعتبارات ابن الهيثم. واستغرقت الدراسة حوالي 3 شهور من فبراير 2009– أبريل 2009. وفي تقدير درجات اعتبارات ابن الهيثم تعطى درجة واحدة في حالة الايجاب ودرجة في حالة السلب. وتم استخدام احصاء مبسط لعرض نتائج اعتبارات ابن الهيثم للغلط البصري (عبد المحمود وزمراوي والشيخ، 2009).

6- نتائـــــج بحـــــث الاعتبـــــار

6-1 الســـــؤال الأول: ماهي نسبة الغلط البصري في اعتبارات ابن الهيثم وسط المعتبرين في السودان؟

تم استخرام متوسط نسبة المعتبرين في اعتبارات ابن الهيثم الخمس (ن= 300 معتبر). وأظهرت نتائج الدراسة بأن متوسط المعتبرين في اعتبارات ابن الهيثم 4,523 درجة بانحراف معياري 1,80 (جدول، 2). ويبلغ المجموع الكلي لدرجات الغلط البصري في اعتبارات ابن الهيثم الخمس (5 درجات). وأظهرت نتائج الدراسة بأن 86,4% من المعتبرين لهم غلط بصري. وتعني هذه النسبة بأن هناك تطابق ما بين نتائج البحث الحالي (القرن الواحد والعشرين) واعتبارات ابن الهيثم (القرن الحادي عشر الميلادي) بفارق 10 قرون من تأليف كتاب المناظر لابن الهيثم والذي وضع فيه أساس مفهومه عن "الغلط البصري"، ونظريته عن "الإدراك البصري"، ومنهج "الاعتبار" لقياس الغلط البصري، و"لوح ابن الهيم" كأداة لقياس الغلط البصري.

وعموما تتقارب نتائج الدراسة الحالية مع نتائج الدراسات التي أجريت عن اعتبارات ابن الهيثم في البحرين (الخليفة، 2003، الخليفة ومانع، 2001)، حيث كانت نسبة الغلط البصري في اعتبارات ابن الهيثم في الدراسة الأولي في البحرين 78% لمعتبرين قدرهم 235 من الذكور والاناث بينما كانت نسبته في الدراسة الثانية 78,2% لعينة قدرها 1077 مفحوصا من الذكور والاناث بفارق 0,2 درجة بين الدراستين البحرينيتين بينما كانت نسبة الغلط البصري في الدراسة الحالية 86,4 بفارق 8 درجات من الدراسة الأولى و 8,4 من الدراسة الثانية. كما تتقارب نتائج الدراسة الحالية مع نتائج اعتبارات ابن الهيثم في السعودية (غلمان وآخرون، 2009) حيث كانت نسبة الغلط البصري في السودان 86,4 وفي السعودية 82,6 وذلك بفارق 3,7%.

ربما يعزى تقارب نتائج السودان والسعودية مقارنة بنتائج البحرين لعامل طول الإعتبار المقدم للمعتبرين في البحرين حيث تم تطبيق 24 اعتبارا في البحرين مقارنة بعدد 5 اعتبارات في السعودية والسودان. ويرجع سبب ذلك لكثرة الملل والتكرار الذي جابة المعتبرين في البحرين لذلك السبب تم تخفيض عدد الاعتبارات المقدمة في السعودية والبحرين وهناك درجة أعلى من التحديق والتركيز بالنسبة للشخوص والخطوط والزوايا في السعودية والسودان بينما في الاعتبارات المطبقة في البحرين ربما قلت درجة التحديق والتركيز. وربما لهذا السبب ارتفعت درجات المعتبرين في السعودية والسودان بينما انخفضت في البحرين.

6-2 الســـــؤال الثانـــــي: ماهي متوسطات الفئات العمرية في الغلط البصري في اعتبارات ابن الهيثم في السودان؟

وللاجابة على هذا السؤال تم تقسيم الفئات العمرية المبحوثة من المعتبرين إلى 4 فئات ومن ثم تم استخراج المتوسط الحسابي والانحراف المعياري لكل فئة (جدول، 2).

جدول (2): المتوسط الحساب والانحراف المعياري للفئات العمرية للمعتبرين في اعتبارات ابن الهيثم

الفئة العمرية	عدد المعتبرين	متوسط المعتبرين	الانحراف المعياري
20-16	100	4,31	1,66
25-21	161	4,81	1,79
30-26	36	3,92	2,03
35-31	03	3,33	1,53
المجموع	300	4,52	1,80

تم تقريب المتوسطات والانحراف المعياري لخانتين عشريتين

أظهرت نتائج الجدول أعلاه بأن فئة المعتبرين العمرية 21-25 نالت أعلى متوسطات الأداء في الغلط البصري (4,81) بانحراف معياري (1,79)، وتليها فئة المعتبرين العمرية 16-20 سنة (4,31) بانحراف معياري (1,66) ومن ثم فئة المعتبرين العمرية 26-30 سنة (3,92) بانحراف معياري (2,03). ويلاحظ زيادة درجة التشتت في هذه الفئة العمرية مقارنة ببقية فئات المعتبرين بينما نالت الفئة العمرية 31–35 متوسط (3,33) درجة في الغلط البصري بانحراف معياري (1,53). وظاهريا يبدو من خلال هذه النتائج بأن الغلط البصري يقل بعامل ازدياد العمر بالنسبة للمعتبرين، أو أن صغار السن أكثر عرضة للغلط البصري مقارنة بكبار السن من المعتبرين.

وتتفق نتائج الدراسة الحالية مع نتائج إعتبارات ابن الهيثم للغلط البصري في البحرين في الدراسة الأولى (الخليفة ومانع، 2001) لمعتبرين قدرهم 235 من الفئة العمرية 6-60 سنة حيث كشفت نتائج الدراسة البحرينية عموما انخفاض في نسب الغلط البصري بانخفاض العمر بلغ مداه بالنسبة للفئة العمرية 61-70 سنة، وبلغة ثانية يقل الغلط البصري

بالنسبة لصغار السن بينما يزداد بالنسبة لكبار السن. وتتفق هذه النتائج مع نتائج الدراسة الحالية. كما تتفق نتائج الدراسة الحالية مع نتائج الدراسة البحرينية الثانية (الخليفة، 2001) لمعتبرين قدرهم 1077 من الفئات العمرية 8-70 سنة حيث يلاحظ فيها انخفاض الغلط البصري بصورة ملحوظة بانخفاض العمر حيث بلغ مداه بالنسبة للفئة العمرية 60+ وفي الدراسة الحالية بلغ مداه للفئة العمرية من المعتبرين 31-35 سنة. كما تتقارب عموما نتائج الدراسة الحالية للفئة العمرية من المعتبرين 16-35 سنة مع نتائج الدراسة السعودية (غلمان، وأخرون، 2009) والتي اظهرت انخفاضا في الغلط البصري بزيادة العمر وأن المعتبرين صغار السن أقل عرضة للغلط البصري مقارنة مع كبار السن.

3-6 الســـــؤال الثالـــــث: ماهي فروق الذكور والاناث في الغلط البصري في اعتبارات ابن الهيثم في السودان؟

وللاجابة على هذا السؤال تم تقسيم فئات المعتبرين إلى ذكور واناث ومن ثم تم استخراج المتوسط الحسابي والانحراف المعياري لكل فئة (جدول، 3).

جدول (3): المتوسط الحساب والانحراف المعياري للذكور والاناث من المعتبرين في اعتبارات ابن الهيثم

النوع	عدد المعتبرين	متوسط المعتبرين	الانحراف المعياري	قيمة ت
ذكور	150	4,81	1,99	4,58
اناث	150	4,25	1,55	4,58
المجموع	300	4,52	1,80	

تم تقريب المتوسطات والانحراف المعياري لخانتين عشريتين

أظهرت نتائج الجدول أعلاه بأن فئة المعتبرين من الذكور نالت أعلى متوسطات الأداء في الغلط البصري (4,81) بانحراف معياري (1,99) مقارنة بفئة الاناث (4,25) بانحراف معياري (1,55) وكانت قيمة ت (4,58) وهي دالة احصائيا. وتكشف هذه الدراسة بأن الذكور من المعتبرين أكثر عرضة للغلط البصري مقارنة بالاناث من المعتبرات. وتفق نتائج الدراسة الحالية مع نتائج الدراسة البحرينية الأولى التي اظهرت بأن الذكور من المعتبرين لهم متوسط أعلى في الغلط البصري (19,17) مقارنة بالاناث (18,30) وتعني هذه النتيجة بأن الذكور أكثر عرضة للغلط البصري مقارنة بالاناث. كما تتفق نتائج الدراسة الحالية مع نتائج الدراسة البحرينية الثانية (الخليفة، 2003) والتي اظهرت بأن الذكور من المعتبرين لهم متوسط أعلى في الغلط البصري (3,95) مقارنة بالاناث (3,86) ولم تتم مقارنة نتائج فروق الذكور والاناث في الغلط البصري وذلك لأن العينة السعودية جميعها من الذكور. وعموما تكشف نتائج هذه الدراسات الثلاثة بأن الذكور أكثر عرضة للغلط البصري مقارنة بالاناث.

7- مقاربات بين المفاهيم الهيثمية ومفاهيم علم النفس الحديث

بالنسبة للمعالجة الاعتبارية "التجريبية" لموضوع "الغلط البصري" عند ابن الهيثم سوف نحاول بقدر الإمكان أن نستخدم صياغته ومصطلحاته مع محاولة "تقريبها" مع المصطلحات الأخرى في علم النفس الحديث. مثلا استخدم ابن سينا في كتاب الشفاء مصطلح "الخطأ البصري" ، بينما يستخدم في علم النفس المعاصر مصطلحات "الخطأ في الإدراك "، و"الخطأ المكاني". فيا ترى هل تعبرهذه المصطلحات عن ذات الموضوع ؟ أم أن هناك اختلافات كبيرة بينها ؟ أم هي اختلافات يسيرة ؟ وللاجابة على هذا السؤال لقد استخدم كل من طه (1990)، وهاورد (1996) مصطلح "الغلط البصري" كما هو عند ابن الهيثم بمعني "الخداع البصري" كما في كتب علم النفس المعاصرة. ولكن يجب أن نميز بين المفهومين في مراحل تاريخية مختلفة. أولا: يعتمد وجود الغلط البصري في حالة النظر بعينين (الرؤية الآحادية) ، ففي حالة إغماض إحداهما فليس هناك غلط بصري. وتبعا لذلك ليس للشخص الأعور أي نوع من الغلط البصري. بينما يمكن حدوث الغلط البصري (الخداع البصري) في حالة النظر بعين واحدة (الرؤية المزدوجة)، أو في حالة الشخص الأعور. وفي هذه الحالة يجب أن نميز ما بين الرؤية بعين والرؤية بعينين أو بين الرؤية الأحادية والرؤية المزدوجة.

ثانيا : لقد ظهر من خلال التجربة المبدئية التي أجريناها في البحرين والتجربة الرئيسة كذلك في البحرين وتجارب السودان أن زيادة التحديق (وهو مصطلح هيثمي) تزيد من وجود "الغلط البصري" ، بينما زيادة الانتباه تقلل من "الخداع البصري" . ثالثا : إن تفسير ابن الهيثم للغلط البصري من خلال حجم الزوايا ووضع الخطوط ربما لا يتأثر بالعوامل البيئية، بينما يتأثر الخداع البصري بها . رابعا: قد يرتبط مصطلح "الغلط البصري" أكثر بالجانب الفيزيائي الفسيولوجي للإبصار ، بينما يرتبط مصطلح "الخداع البصري" بالجانب الهندسي السيكولوجي. ومهما يكن فليس من السهولة إيجاد إجابة محددة للأسئلة السابقة. ربما نكون قد استخدمنا مقاربة خاطئة ما بين "الغلط البصري" و"الخداع البصري".

فالقواميس اللغوية لا يبدو أنها سوف تحل مشكلة هذه المصطلحات المعقدة ، أو المتداخلة . فالمسألة تحتاج إلى بحث وتدقيق في تاريخ البصريات في العلم القديم ، وفي العلم الوسيط ، وفي العلم الحديث ، خاصة الفيزياء وعلم النفس . وبالرغم من أن الباحثين اللذين قاما بأول دراسة ميدانية عن اعتبارات ابن الهيثم (الخليفة ومانع، 2001) ينتمي أحدهما لتخصص علم النفس وينتمي الآخر لتخصص الفيزياء ولكن لم يستطيعا حل مشكل المصطلح هل "الغلط البصري" هو "الخداع البصري"؟ ولهذا السبب فضلنا استخدام كلمة "مقاربة" بين المصطلحات والتي بدت متشابهة للباحثين بدلا من كلمة "مقارنة" . ونأمل في الدراسات اللاحقة التي يجريها علماء النفس العرب خاصة المهتمين بتأصيل وتوطين علم النفس أن يوفقا في حل هذا الإشكال البنيوي أو المفاهيمي. وينسحب إشكال المصطلحات كذلك على مفهوم "الاعتبار" الذي استخدمه ابن الهيثم ، و الذي سوف نقاربه في الدراسة الحالية بمصطلحي "التجريب" و"القياس" ، أو "التجربة" و"المقياس" ، حيث يقتضي الأمر التمييز بينهما في موقفين مختلفين.

لقد "عبر" ابن الهيثم ولأول مر ة في تاريخ العلم كافة وماضي علم النفس بصورة خاصة عن المعنى الذي يؤديه لفظ التجربة في العلم الحديث بلفظ "الاعتبار"، وسمى الشخص الذي يجري التجربة "المعتبر"، وسمى البيان أو التوضيح أو الإثبات بالتجربة الإثبات با"لاعتبار"، تمييزا له عن الإثبات بالقياس القائم على البرهان المنطقي بوجه عام أو البرهان الرياضي بوجه خاص. بل إن ابن الهيثم قد ذهب إلى أبعد من ذلك في إدراك قيمة "الاعتبار" في البحوث العلمية. فهو لا يعتمد على الاعتبار في إثبات القواعد أو القوانين الأساسية فحسب بل يعتمد عليه أيضا في إثبات النتائج التي تستنبط بالقياس بعد ذلك من تلك القواعد أو القوانين. فابن الهيثم عالم اعتباري (تجريبي) بالمعنى المقصود من التعبير. والناحية الاعتبارية (التجريبية) من بحوث ابن الهيثم واضحة الدلالة على أن عمله لم يكن مقصورا على مجرد إجراء التجارب، بل تضمن إنشاء أجهزة أو آلات استعملها في تلك البحوث (أنظر نظيف، 1942، ص 44).

وبالتأكيد نحتاج لمزيد من الدراسات النظرية والتطبيقية اللاحقة لاعتبارات ابن الهيثم والتأكد من سلامة مقابلة المفاهيم السيكولوجية ومقارنتها. ونتيجة للريادة المبكرة لابن الهيثم منذ القرن الحادي عشر الميلادي في صياغة مفاهيم ونظريات ومناهج وأدوات جديدة تستخدم لأول مرة في تاريخ العلم فضلنا أن نطلق على أعظمها ابداعا وتجديدا "الاعتبارات الهيثمية" عرفانا لمبدعها ومجددها.

8- التفسيـــــر الهندســـي الفيزيائـــي لاعتبـــارات لغلـــط البصـــري

قد يصعب تفسير نتائج دراسة ابن الهيثم التي تم وصفها في القرن الحادي عشر الميلادي وتم إحياؤها وتجديدها في بداية الألفية. ولكن سوف نحاول بقدر الإمكان تفسير النتائج من خلال مفهوم "المقاربة" (الخليفة ومانع، 2001) . ويبدو أنه من المناسب النظر لأبعاد متعددة لإيجاد تفسير معقول لنتائج الدراسة الحالية. وسبب التعدد يرجع إلى أن البناء الهيثمي للبصريات هو بناء مركب من عدة علوم منها الفيزياء، والجيوميتريا، والفسيولوجيا، والسيكلوجيا. وإذا اعتمدنا على زاوية واحدة سوف نفشل في إيجاد تفسير مقبول لنتائج الدراسة الحالية عن الغلط البصري (الخداع البصري). وسوف يكون تفسيرنا مركزا على بعدين هما البعد الهندسي البصري والبعد الفيزيائي الفسيولوجي وذلك لأنهما يرتبطان بالأساس البيولوجي للإبصار.

نسبة لعدم وجود دراسة اعتبارية (تجريبية) معاصرة عن اعتبار (تجارب) ابن الهيثم سوى الدراسات التي أجراها الخليفة (1999، 2001، 2003، 2005) سوف نقارب نتائج الدراسة الحالية بأبحاث الخداع البصري من خلال البعد الهندسي البصري. لقد أجريت العديد من الأبحاث عن "الخداع البصري" في علم النفس. ولكن كما ذكرنا نحاول مقاربة المفاهيم لكي تتضح الصورة أكثر في الأذهان، ولكن نحتاج في الدراسات اللاحقة لتحديد أدق للمفاهيم المستخدمة وتكون هناك "مقارنة" بدلا من "مقاربة". لقد فسر ابن الهيثم نتائج دراسته الاعتبارية (التجريبية)، في القرن الحادي عشر، بناء على اختلاف الزوايا للمواقف المختلفة لتحديق البصر. ولقد فسر عدد من الباحثين المعاصرين، في القرن العشرين، الخداعات البصرية حسب الزوايا (جريجوري، 1968؛ سيجال، كامبل وهيرجوفيستز، 1966؛ فينجر واسبيلت، 1947). وإن واحدا من أكثر الجوانب اللافتة للنظر بالنسبة للأشياء النظامية هو وجود الزوايا القائمة في الأشياء التي هي من صنع الإنسان. ولهذا السبب فإن الثقافات التي تسيطر عليها هذه الزوايا يفسر الأفراد فيها الزوايا الأخرى كزوايا قائمة كلما واجهوا زوايا غامضة أو ملتبسة. وإن الأشكال الهندسية التي تحتوي على تمثيل ملتبس للزوايا يمكن استخدامها لبحث آثار هذه المسلمة.

وبالنسبة لهذا البعد الهندسي البصري فقد وظفه ابن الهيثم نفسه لتحليل نتائج دراسته الاعتبارية (التجريبية) عن الغلط البصري (الخداع البصري) من خلال اختلاف الزوايا. وحسب تحليله للمواقف المختلفة للخطوط والزوايا يقول ابن الهيثم يكون خط ح ب أعظم من خط ب ط. وخط ح ك مساو لخط ك ط، فزاوية ط ب ك أعظم من زاوية ك ب ح. و زاوية ط ب ك مساوية لزاوية ح أ ك، فزاوية ح أ ك أعظم من زاوية ح ب ك. فبعد خط أ ح عن سهم ا ك أعظم من بعد خط ب ح عن سهم ب ك، إلا أن الاختلاف الذي بين البعدين يسير لان الاختلاف الذي بين زاويتي ح أ ك ح ب ك يسير. يبدو أن نظرية الزوايا التي تحدث عنها ابن الهيثم في كتاب المناظر هي أكثر النظريات تفسيرا لظاهرة الغلط (الخداع) البصري من خلال الرؤية المزدوجة أي النظر من خلال النظر بعين واحدة.

وفقا لابن الهيثم، فالشخص الذي يكون عند نقطة ح يرى أبدا بالبصرين (العينين) جميعا واحدا إذا كان السهمان متلاقيين على الشخص الذي عند نقطة ك، وخطا أ ح ب ح هما مسامتان للشعاعين الخارجين إلى الشخص الذي يكون عند نقطة ح إذا كان السهمان متلاقيين على الشخص الذي عند نقطة ك. و كذلك حال الشخص الذي عند نقطة ى تكون الشعاعات الخارجة إليه مسامته لخطي أ ى ب ى و هو يرى واحدا. وزاويتا ى أ ك ى ب ك ليس بينهما اختلاف متفاوت أيضا، لأن زاوية ح ب ى ليس لها قدر محسوس إذا كانت نقطة ى قريبة جدا من نقطة ح. فيتبين من هذه الحال أن المبصر الذي وضعه من السهمين وضع واحد في الجهة، وبعد الشعاعات الخارجية إليه من البصرين ليس بينهما اختلاف متفاوت، فإن ذلك المبصر يرى بالبصرين جميعا واحدا.

أما من الناحية الفيزيائية الفسيولوجية فيمكن تحليل ظاهرة ازدواجية الرؤية (رؤية الشيء الواحد اثنين) إنها ترجع إلى الاختلاف بين العينين في تحديد موقع الشيء في الفضاء، وذلك عندما يكون موقع الصورة على الشبكية في العين اليمنى يختلف عن موقعها في العين اليسرى. أو بتعبير آخر، تتفق العينان في تحديد موقع مرئي في الفضاء – وبالتالي رؤية الإنسان لهذا الجسم أنه واحد – إذا كان موقع صورة هذا الجسم الذي أسقطته العين اليمنى على شبكيتها هو نفسه في العينين الاثنتين. ففي الفقرة 28، ص. 358 من "كتاب المناظر" قام ابن الهيثم بوضع شخص في النقطة ك لتركيز النظر فيه ووضع شخصا آخر في النقطة ح أو ط (انظر ملحق، 2) وفي كلتا الحالتين لا يرى هذا الشخص الأخير في (ح أو ط) إلا واحدا. وهذا يتضح سببه حينما ننظر إلى الشكل فنلاحظ أن موقع الصورة (النقطة س) هو نفسه في العين اليسرى والعين اليمنى. أي أن بعد الجهة س عند النقطة ع (مركز الشبكية) هو نفسه وعلى نفس الجهة في العينين اليمنى واليسرى (ملحق، 5 كيفية الرؤية من ناحية فسيولوجية).

أما في الفقرة 31 ، ص. 357 من "كتاب المناظر" فيوضع الشخص في النقطة ك مثل ما هو في التجربة السابقة ويوضع شخص ثان في النقطة ل و ف كما هو موضح في الشكل (2–ب). ونلاحظ على الشكل أن الصورة (س) تتشكل في إحدى العينين على يسار مركز الشبكية وفي العين الثانية على يمينها. وبالتالي في موقعين مختلفين ويترتب عنها رؤية الجسم اثنين. وأما في الفقرة 33 ، ص. 358 من "كتاب المناظر" فقد وضع الشخص في النقطة ق (شكل 2–ج). ونلاحظ أن الصورة (س) في العين اليمنى تقع على نفس الجهة في العين اليسرى ولكن بعدها عن مركز الشبكية (بعد النقطة "س" عن "ع") يختلف اختلافا كبيرا بين العينين وبالتالي يرى هذا الشخص في هذا الموقع شخصين. بوسعنا التساؤل بعد هذا العرض للاعتبارات الهيثمية: ماهي مجالات تطبيقاتها في ذلك الزمن الغابر من تاريخ العلم؟

9- المجـــــالات التطبيقيـــــة للاعتبـــــارات الهيثميـــــة

يعتبر ابن الهيثم أن العين لا تدرك أيا من الأشكال التي تصلها إلا بالخطوط المستقيمة الوهمية الموجودة بين الشيء المرئي ومركز العين، وهي خطوط عمودية على جميع سطوح وأغشية العين. وتلعب حركة العينين بالنسبة لابن الهيثم دورا أساسيا في اندماج أو تراكب عملية التكامل ثنائي العين (رؤية مزدوجة). إن الحركات المتقاربة المتساوية هي ضرورية للحفاظ على التطابق الموضعي الطبولوجي للصورة في كل عين. كما أن الحركات المترافقة للعينين، تحصل عند انتقال النظر من جزء من الجسم إلى جزء آخر أو من جسم لآخر، تملك الوظيفة نفسها. فعلى سبيل المثال، عندما ينظر المراقب إلى جسم مرئي، موجها بؤبؤه في اتجاهه، فإن محوري العينين يتقاربان في نقطة ما من سطح الجسم. وعندما يرفع هذا المراقب عينيه فوق الجسم المرئي، فإن المحورين يتجهان سويا فوق جميع أجزاء سطحه. ويستحيل توجيه عين نحو جسم مرئي وإبقاء العين الأخرى في حالة سكون إلا إذا تم إرغامها على ذلك. ويحصل الشفع أو الرؤية المزدوجة، عندما لا تكون الصورتان متراصتين في الفضاء، أي عندما ينظر المراقب إلى جسم ما بإحدى العينين ويحرف العين الأخرى. في هذه الحالة لا يكون الدافعان على السجل الطوبولوجي نفسه، بسبب تفاوت الصورتين في العين، وبذلك لا يمكن حصول اندماج في التصالب، مما يسبب رؤية مزدوجة (أنظر رسل، 1997).

وحسب نظرية ابن الهيثم في الإدراك البصري هناك اشكالات تتعلق بالغلط البصري (الخداع البصري). وحسب قوله هناك "وهم" في إدراك العين للأشكال. والوهم بمعناه الهيثمي يقابل "الخداع" من خلال المقاربة السابقة كما في علم النفس الحديث. وتحصل الرؤية المزدوجة بمعنى رؤية الشيء الواحد شيئين اثنين كما رأينا في اعتبارات ابن الهيثم من خلال الغلط البصري. وتتضح هذه الرؤية في حالة مراقبة أحد الأجسام بعين واحدة مع انحراف العين الأخرى. إن ما عبر عنه ابن الهيثم من ناحية فسيولوجية وفيزيائية وجيوميترية هل يحيلنا إلى تطبيقات هامة لهذه الرؤية الأحادية أو المزدوجة في علم الفلك والذي يعتمد على الملاحظة أو الرؤية أو المراقبة بالعين. وهل يرتبط ذلك بالجوانب التي يحدث فيها الغلط البصري والتي تحدثنا عنها في هذه الدراسة مثل إدراك الأضواء والمسافات والأبعاد والحجوم والأوضاع والأشكال والحركات والسكون والظلال. ونزعم بأن هناك تطبيقات عملية حية لنظرية ومنهج ابن الهيثم الاعتباري في هذه الادراكات الهامة وخاصة المتعلقة بعلم الفلك وهو واحد من أكثر العلوم تطورا في الحضارة العربي الإسلامية (الخليفة، 1999، 2001، 2003).

لقد جذبت عواصم الحضارة العربية الإسلامية في عصرها الذهبي عددا من علماء الفلك، وإن إدخال الطرق الدقيقة والنماذج الهندسية والصيغ الرياضية أحدثت نموا سريعا لعلم الفلك المبني على المراقبة (أنظر ميشو، 1997). ويشهد على ذلك العدد الكبير من الجداول العددية، المرفقة بتفسيرات وافية تتيح لعالم الفلك أو للمنجم حل مسائل مهنته. وهناك أجهزة استخدمت لهذه الغاية، بفضل المقالات التي تعرض القواعد الدقيقة لإنشائها. ولقد شجع العديد من الخلفاء العظام الأعمال الفلكية، ولقد أشرف الخليفة العبقري المأمون بنفسه على مشاريع فلكية، وكان إحدها في بغداد في حي الشماسية، وآخر في ضواحي دمشق على قمة جبل قاسيون. لقد تجمع على نفقة هذا الخليفة، أكبر علماء الفلك في ذلك العصر، وكانوا مكلفين بإعداد برامج دقيقة للتحقق من معطيات المجسطي وبرصد خاص للشمس والقمر خلال سنة كاملة وهذا ما أوصلهم إلى وضع "الجداول الممتحنة".

وقد طور البويهيون برامج رصد في الري وأصفهان وشيراز. وبسبب ضخامة الأجهزة التي يصعب نقلها فقد تطلبت بعض هذه الأعمال إقامة محطات متخصصة. وقام عبد الرحمن الصوفي بقياس ميل فلك البروج. وتمت هذه العملية في شيراز سنة 359 هـ/969م. كما أعيدت، من دون شك في السنوات اللاحقة، بواسطة حلقة بلغ قطرها عدة أمتار. أما ابنه شرف الدولة فقد شيد مرصدا له في بستان قصره في بغداد. إن سخاء الخليفتين الفاطميين في القاهرة العزيز وخلفه الحاكم سمح للفلكي ابن يونس بإجراء سلسلة أرصاد أدت إلى وضع "الزيج الحاكمي" الشهير. ويرتكز هذا الإنجاز على عمل تم على امتداد سنوات عديدة وعلى قياسات كثيرة أجريت في منزل العالم الخاص وفي أماكن مختلفة من القاهرة (أنظر الخليفة، 2001).

ولقد شيد في مراغة، وهي مدينة في آذربيجان قرب بحيرة أرميا، مرصدا كبيرا وما تزال حتى الوقت الحاضر رؤية جدرانه ممكنة. وترجع المبادرة في بناء هذا المرصد إلى هولاكو، حفيد جنكيز خان، الذي استولى على بغداد ونهبها سنة 656هـ/1258م. وكان هناك اهتمام بالعلوم عند هولاكو فضلا عن اهتماماته الشريرة والمدمرة. وضم لحاشيته نصير الدين الطوسي أحد أكبر الفلكيين والرياضيين الذين عرفتهم الحضارة العربية الإسلامية. وأشارت النصوص التي تصف المركز إلى قبة مثقوبة في رأسها للسماح بدخول الشمس إلى مكتبة المرصد. وقد استخدمت في هذا المرصد بعض الأجهزة التي قام بصنعها العرضي والذي كتب مقالة حول هذا الموضوع. فتم التوصل خلال اثنتي عشرة سنة من الإرصاد والحسابات إلى وضع "الجداول الايلخانية". ولقد استفاد مرصد مراغة، وهو المرصد الأول في العالم العربي الإسلامي، من ريع الأوقاف. ولقد أقام ألغ بك كذلك مرصدا عام 1420 م على رابية في ضواحي مدينة سمرقند. ويحتوي مكان المرصد كما كشفت البعثات الأثرية على تمثيل للكرات السماوية العشر مع الدرجات والدقائق والثواني وأعشار الثواني، وللكرات الدورانية وللكواكب السيارة السبعة، وللنجوم الثابتة وللكرة الأرضية مع المناخات والجبال والصحارى. كما استخدم مرصد سمرقند لتحديد ارتفاع الشمس بواسطة طول الظل (أنظر ميشو، 1997).

إن حساب ارتفاع الشمس في الحضارة العربية الإسلامية عموما كان يشكل محورا أساسيا في اهتمام الفلكيين العرب (ديبارنو، 1997) ويعتمد هذا الحساب على وتر المثلث المحدد بشاخص المزولة وبظل الشاخص أي "قطر الظل". ولقد دخلت دالة الظل بشكل نهائي في الحسابات الفلكية بفضل "الشكل الظلي" الذي ابتكره أبو الوفاء. ونجد في زيج الخوارزمي وفي زيج البتاني جدولا ذا منزلتين بالظلال الخاصة بشاخص مزولة طوله 12 أصبعا. وظهر مصطلح "الظل" في كتاب البيروني "الظلال" الذي يجمع فيه مختلف الايضاحات عن الظلال وقياساتها، لرسم خط الزوال ولتحديد مواقيت الصلاة ولتقدير المسافات. وهكذا أصبح حساب المثلثات يحتل مكانا مهما في المؤلفات الفلكية، على شكل فصول للجيوب والأوتار والظلال وصيغ الحساب الكروي. إن دقة الحساب الفلكي تستند، كلها، إلى صحة جداول جيوب التمام. إن دالة الظل والعلاقات الأولى في المثلث ومفهوم المثلث القطبي، من بين المكتسبات العلمية للحضارة العربية الإسلامية. فقد قام العلماء العرب بقراءة متجددة دون انقطاع ومغتنية بالنصوص السابقة ومصححة لها. وهكذا استطاعوا تكوين علم جديد كانت تلزمه بعض التطورات قبل أن يصبح عنصرا لا غنى عنه في الحساب الرياضي.

إن المساهمات العربية الإسلامية في مجال الفلك والتي قادت لكشف وتطوير الجداول والأزياج كالجداول الممتحنة والزيج الحاكمي والجداول الأيلخانية، وزيج الخوارزمي، وزيج البتاني كانت تستخدم عددا من الأجهزة والأدوات للمراقبة في مراصد بغداد ودمشق والقاهرة ومراغة وسمرقند والري وأصفهان وشيراز وغيرها من المراصد. وقام بإعداد هذه الأزياج عباقرة علم الفلك والرياضيات في التراث العلمي العربي الإسلامي أمثال الطوسي والعرضي والصوفي وابن يونس والخوارزمي والبتاني. ونزعم أنه كان من بين هذه الأدوات المستخدمة تطبيقات الاعتبارات (التجارب أو المقاييس) الهيثمية للغلط البصري. فإن أي أخطاء بالمفهوم السينوي أو أغلاط بالمفهوم الهيثمي في إدراك المسافات أو الأبعاد أو الحركات أو الظلال بالنسبة لحركة الشمس أو الكواكب تؤدي لقياسات فلكية "خاطئة" أو "مغلوطة" . لذلك يجب أن يستخدم اعتبار (مقياس) لتحديد حجم الأخطاء والأغلاط (الخداعات) ولتجاوز هذه الأخطاء والأغلاط القياسية أثناء الرؤية (ملحق 6 زعم تطبيقات الاعتبارات الهيثمية). نخلص إلى أن الهدف التطبيقي لهذه الاسهامات الفلكية هو حساب ارتفاع الشمس ورصد حركة الكواكب ودخول الفصول وذلك لتحديد اتجاه القبلة، ومعرفة مواقيت الصلاة، وبداية شهر رمضان، فضلا عن بداية مواعيد الزراعة من غير غلط أو خداع بصري (الخليفة، 1999، 2001، 2005).

10- الاعتبارات الهيثمية وتأثيرها في المنهج العلمي في أوروبا

قام صبره (1983) بتحقيق ممتاز "لكتاب المناظر" لابن الهيثم والذي تم نشره بواسطة المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت. كما قام كذلك بترجمة إنجليزية رائعة للكتاب نشرها معهد ووربيرج بلندن (ابن الهيثم، 1989). وتحتوي الترجمة على جزأين وهناك أهمية خاصة للجزء

الثاني الذي يتضمن مقدمة وتعليقات تاريخية وغير تاريخية لكتاب المناظر. ولقد كانت هذه الترجمة نقطة تحول كبيرة في محاولات فهم إنجازات الاعتبارات الهيثمية في العالم الغربي. لقد عالج ابن الهيثم (ت 1040 - 1041) موضوع الإدراك البصري في الفصل الثالث من الكتاب وهي بعنوان " في كيفية إدراك كل واحد من المعاني الجزئية التي تدرك بحاسة البصر" والتي تقع في المقالة الثانية من "كتاب المناظر" وهي بعنوان " في تفصيل المعاني التي يدركها البصر و عللها و كيفية إدراكها" . وكانت معالجة ابن الهيثم للإدراك لا تختلف عن معالجته في كتب علم النفس الكلاسيكية والمعاصرة.

ولقد وضح ابن الهيثم أن البصر لا يدرك فقط المبصرات الخاصة بالضوء واللون إنما هناك 20 مبصرات. وبين كذلك "أنّ إدراك البصر للمبصرات ليس يكون في جميع الأوقات ولجميع المبصرات وعلى جميع الأحوال على صفة واحدة، بل تختلف كيفية إحساس البصر بالمبصرات، وتختلف كيفية إحساس البصر بالمبصر الواحد من البعد الواحد ومن الوضع الواحد بحسب قصد الناظر وتعمله لإدراك المبصر وتعمّده لتمييز المعاني التي فيه ". ويقول طه (1990) وهكذا يتسع كتاب المناظر ليشمل شرحا وتدليلا على كل قرائن الادراك المتعلقة بالمعاني التي ذكرها ابن الهيثم في مستهل عرضه للمعاني المدركة. وبعض هذه المعاني التي بحثها ابن الهيثم قصرت عنها همم علماء النفس المعاصرين حاليا مثل إدراك الحسن والقبح وان كانت تركت بصماتها في علوم أخرى تتزايد في أهميتها مع مرور الزمن مثل علم التصميم الصناعي والمعمار.

ويمكن القول بدون تردد بأن ابن الهيثم هو أول من أبطل نظريات الرؤية السابقة بصورة اعتبارية (تجريبية) منذ القرن الحادي عشر الميلادي. وأول من بلور نظرية متكاملة عن الإدراك البصري. ولقد أثرت رؤيته عن الإبصار ونظريته عن الإدراك البصري ليس في تاريخ البصريات فحسب إنما في تاريخ المنهج الاعتباري (التجريبي) عامة وعلم النفس الاعتباري (التجريبي) خاصة. وكان كتاب المناظر معروفا في أوروبا منذ القرن الثالث عشر (أو أواخر القرن الثاني عشر) الميلادي حين ترجم الكتاب كله (عدا الفصول الثلاثة الأولى من المقالة الأولى) إلى اللاتينية سنة 1572 وأعيد نشرها سنة 1972. وترجم الكتاب كذلك من اللاتينية إلى الإيطالية في القرن الرابع عشر الميلادي. وترجم إلى الإنجليزية عام 1989. وقد قرأ كبلر، ومن بعده ديكارت، ترجمة مناظر ابن الهيثم إلى اللاتينية (راشد ، 1985). ويعتبر نيوتن حسب تاريخ برينان أنه عالم الرياضيات الذي صاغ أسس الفيزياء الحديثة، بينما يعتبر ابن الهيثم حسب تاريخ تاتون (1988)، وصبره (1983)، وعمر (1981)، ونظيف (1942-1943) أنه هو الذي صاغ أسس البصريات الوسيطة. ويورد ابن الهيثم أدلة عديدة، منها ما هو مبني على المشاهدات العادية و منها على التجارب، يبين فيها أن الإبصار يحدث بورود أشعة الضوء من المبصر إلى العين (عمر، 1981).

ولقد تمت في الغرب ترجمة لاتينية "لكتاب المناظر" لابن الهيثم في أواخر القرن الثاني عشر، وكان له أثر كبير في عقول الرواد الذين ذكرهم مؤرخ علم النفس التجريبي والأكثر شهرة في الغرب بورنج (1957) بأنهم مهدوا لمجيء علم النفس التجريبي أو العلمي (تاتون ، 1988؛ 1994؛ سويسي، 1985؛ الدوميلي، 1962؛ مرحبا، 1970). وإن كتابات روجر بيكون عن الإبصار هي في أغلبها شروحات لكتاب المناظر (هاوارد، 1996). أما بالنسبة لقول فرنسيس بيكون بأن يتصف العالم بالشك فيبدو أنه تأثر تأثرا مباشرا بابن الهيثم. ولقد درس فرنسيس بيكون اللغة العربية في جامعة اكسفورد، و اطلع من خلالها على إسهامات العلماء العرب والمسلمين. ويقول فرنسيس بيكون نفسه "عجبا ممن ينوي البحث في الفلسفة مع كونه يجهل العربية". وعلى حسب تاريخ برينان (1982)، أكد هلمهولتز في كتاب " فسيولوجيا البصريات" على أهمية الملاحظة العلمية وعلى استخدام المنهج الاعتباري (التجريبي). ويؤكد هيرجنهاهن (1986) بأن أعمال هلمهولتز جعلت كلا من الفيزياء، والفسيولوجيا، والسيكلوجيا قريبة بعضها من بعض. ويبدو أن هلمهولتز والذي كان شيخا لفونت مؤسس علم النفس الحديث (الغربي) قد تأثر بالعلم العربي الإسلامي في القرون الوسيطة وكان له اهتمام خاص بتاريخ العلوم عند العرب والمسلمين. مثلا قام بنشر موضوع عن المقياس الموسيقي العربي الفارسي، وكان لأعماله في البصريات تأثيرها العميق (شولتز،1981).

ولقد أشار هلمهولتز (1896) نفسه إلى الترجمة اللاتينية لكتاب المناظر، وتحتاج إشارته لمعرفة إلى أي مدى قد تأثر بأعمال ابن الهيثم البصرية خاصة الاعتبارات الهيثمية. وعلى حسب تاريخ بورنج (1957) أن أضخم مساهمة لهلمهولتز هي البصريات والتي قادته لمسائل "الإدراك البصري". صحيح جدا بأن هلمهولتز هو عملاق في القرن التاسع عشر من أوروبا، ولكنه تأثر بعملاق في الحضارة العربية الاسلامية هو بلا ريب ابن الهيثم الذي كتب عن "الإدراك البصري" في القرن الحادي عشر الميلادي . ولقد أكد ابن الهيثم كما ناقشنا سابقا على الملاحظة العلمية ، وعلى استخدام المنهج التجريبي والذي يسميه "الاعتبار" ، ويعتبر "كتاب المناظر" بحثا مركبا من الفيزياء، والرياضيات، والسيكولوجيا. ولقد عالج ابن الهيثم موضوع "الإدراك البصري" بتفاصيل علمية: نظرية، ورياضية، خاصة موضوع "الغلط البصري" الذي قاسه بصورة اعتبارية (تجريبية) والتي تركت بدورها أثرا ليس في العالم العربي فحسب إنما في تاريخ العلم كافة وماضي (تاريخ) علم النفس على وجه الخصوص.

11- كيـــف جـــاء ماضـــي علـــم النفـــس التجريبـــي للوجـــود؟

بوسعنا القول بأن المحاولة الهيثمية في وضع مفهوم ونظرية عن "الغلط البصري"، ومن ثم محاولة تصميم اعتبار (تجربة أو مقياس) للبرهنة على سلامة المفهوم ودقة النظرية في القرن الحادي عشر لا يختلف عن قواعد الاعتبار (التجريب) في علم النفس في بداية الألفية. وإذا رجعنا للمقالات الأساسية، والكتب المنهجية لوجدنا روح التشابه القوي بينها وبين ما قام به ابن الهيثم في موسوعته كتاب المناظر انظر مثلا (بارتلي، 1941؛ بينتلي، 1937؛ بيرنز ودوبسون، 1981؛ فيرنبيرجار، 1930؛ مايرز، 1980؛ بيرسون، 1911؛ ثيرستون، 1927؛ وودويرث، 1938). وتحدث ابن الهيثم بصورة عالم النفس الاعتباري (التجريبي) عن مشروع كامل عن علم نفس الإبصار. وهذه المحاولات الهيثمية ، بدون منازع، هي الأكثر اعتبارية (تجريبية أو قياسية) في ماضي بل تاريخ علم النفس وقد يصعب إيجاد تفسير للسر المبكر بتطور الاعتبارية (التجريبية) بهذه الكيفية الصارمة. وإذا رجعنا إلى كتب علم النفس الحديث، و خاصة مدارس علم النفس، سنجد أن ابن الهيثم هو الرائد الحقيقي لعلم النفس الاعتباري (التجريبي) ولهذا السبب يستحق والصف ب "الاعتبارات الهيثمية أو "علم النفس الهيثمي".

ولقد عالج ابن الهيثم الباحث بالدرجة الأولى، والاعتباري (التجريبي) الثقة موضوع "الغلط البصري" الذي يقع في قلب باب السيكوفيزيقا المعاصرة بصورة يمكن وصفها بدون تحفظ بالعبقرية. وبالنسبة للعلماء الذين ذكرهم بورنج بأنهم مهدوا لمجيء علم النفس التجريبي، كان كتاب المناظر ملهما لأعظم بصري بعد ابن الهيثم وهو الألماني كبلر، والذي نشر كتابه عن "الأوبتيك" عام 1610 والذي بدأ علمه من حيث توقف ابن الهيثم. وفقا لطه (1995، 2009) "يمكن القول بثقة كبيرة بأن ابن الهيثم هو مؤسس علم نفس الابصار. لقد اقتطع لهذا العلم ما يخصه من علوم التشريح والفسلجة والفيزياء والهندسة النظرية مشيدا بذلك هذا العلم على غير مثال سابق. لقد استطاع في تشريحته للعين (ملحق 6) أن يميز

طبقاتها المختلفة ويحدد منظومة العدسة الشفافة المكونة من السائل المائي والجسم الزجاجي والرطوبة الجلدية (العدسة). وفضلا عن ذلك قدم بان الهيثم توصيفا للمكونات العصبية من شبكية وممر عصبي وتصالب بصري بمستوى من الدقة تجاوز فيها التقليد اليوناني وارتقى إلى حد الانسجام مع المعارف المعتمدة في الظرف الراهن (ص. 75، 1995).

وقد ألهمت عبقرية ابن الهيثم غيره من العلماء في الغرب أمثال واتيلو، وبيكهام، وبيكون، وديكارت. وبالنسبة لعلماء السيكوفيزياء كان ابن الهيثم ملهما لهلمهولتز والذي يعتبره برينان (1982) بأنه "واحد من أميز العلماء في القرن التاسع عشر" بل يعتبره هيرجنهاهن (1986) بأنه "أعظم عالم في القرن التاسع عشر"، ويضعه بورنج (1957) في قائمة أعظم العلماء في تاريخ علم النفس وهم : "داروين، وهلمهولتز، وجيمس، وفرويد ". إن ابن الهيثم يبدو أنه الأعظم لأنه كان ملهما للعلماء على مدار ستة قرون وبذلك يعد في تاريخ البصريات عملاقا في كل العصور وعبقريا في أي قائمة منتقاة في ماضي علم النفس، وأصبحت بصرياته فيما بعد معلما أساسيا في تاريخ مباحث السيكوفيزيقا التي مهدت لظهور علم النفس الاعتباري (التجريبي).

ابن الهيثم كعبقري عالم وباحث بقدرات متعددة ومتداخلة: تشريحية، وفسيولوجية، وفيزيائية، ورياضية، وتقنية، وسيكولوجية وبذلك كانت البصريات عنده مركبة من هذه العلوم. ولو عاش ابن الهيثم عقودا أخرى ربما كتب مقالة إضافية في نهاية "كتاب المناظر" تسمى "سيكوفيزياء الإبصار" . بلا ريب، وقد قام ابن الهيثم بإبداع مصطلحات جديدة (الغلط البصري)، وصياغة نظريات جديدة (الادراك البصري)، وتطوير مناهج جديدة (الاعتبار)، وتصميم أدوات جديدة (لوح ابن الهيثم أو اللوح الهيثمي)، ومن ثم تأليف كتاب جديد للمناظر كأول كتاب في موضوعه في تاريخ العلم كافة. فتكرار كلمة "جديد" تعني أن ابن الهيثم مبدع وفق تعاريف الإبداع المعاصرة، وأنه عبقري وفق تعاريف العبقرية الكلاسيكية. وفي تقديرنا فإن إبداع وعبقرية ابن الهيثم في علم نفس الإبصار لا يرجعان للمصطلحات التي طورها، ولا للنظريات التي صاغها بقدر ما يرجعان لنوعية المناهج الجديدة التي استخدمها في مجال البصريات وهي (الاعتبارات الهيثمية) (الخليفة، 2001، 2005، Khaleefa, 2003).

إن أصل ابن الهيثم من مدينة "البصرة" وأحد معانيها الظاهرة النظرة أو مفردة "للبصرات"، ومعنى اسم "ابن الهيثم" في اللغة فرخ النسر، وعادة "يبصر" النسر بعينين حداقتين في أي قائمة منتقاة في كل العصور. وإن هذا الارتباط بين عبقرية مكان الأصل، ودلالة الاسم، ومجال الاهتمام ربما كان عاملا جعل ابن الهيثم يبصر بصورة نظرية دقيقة في موضوع "الغلط البصري"، ويستبصر بصورة اعتبارية (تجريبية) استقرائية عن كيفية إثبات نظريته، وكانت كل من النظرية والاعتبار (التجربة) تطبيقا عمليا لعلم النفس في العصر الذهبي للحضارة العربية الإسلامية. وبوسعنا القول في هذا الجزء من الدراسة كان علم النفس جزءا من الفيزياء الوسيطة التي اعتبرت ملكة العلوم مؤخرا، وبعبارة أكثر تحديدا كان علم النفس جزءا من علم الفلك الذي تجلت فيه عبقرية العرب والمسلمون، وأكثر وأكثر تحديدا ، كانت تطبيقات علم النفس جزءا من عمل المراصد وكان مرصد مراغة مثالا رائعا للعلم الاعتباري (التجريبي). ونكرر القول بأن علم النفس كان أولا: نظريا، وثانيا: اعتباريا (تجريبيا)، وثالثا: تطبيقيا. ولقد بحثنا عن النظرية والتطبيق في الدراسة الحالية، ولكن كيف كان التطبيق؟ كان علم نفس الإبصار، وإن شئنا كانت سيكوفيزياء الإبصار كذلك، علما تطبيقيا في المراصد لتحديد مواقيت الفرائض، ولقياس اتجاه القبلة بزوايا دقيقة، وبلا غلط أو خطأ (خداع) في عملية الإدراك، وبلغة سينوية بلا أخطاء في عملية الرؤية، وبلغة هيثمية بلا "غلط بصري" (الخليفة ،1999، 2001، 2003، 2005).

وإذا كان علم النفس بهذه الكيفية: النظرية، والتجريبية، والتطبيقية فكيف يا ترى يمكن إحياؤه وتجديده ؟ وعلى سبيل المقاربة ، أسوة بأوروبا التي أحيت تراثها الإغريقي (الخليفة، 1999). وعلم النفس الهيثمي كان أكثر أصالة من علم النفس الإغريقي لأنه كان قائما على الملاحظة والاعتبار لا على التأمل العقلي والنظرة المسبقة، وكان مهتما بالفيزياء، لا بالميتافيزيقا. وفي تقديرنا ، فإنه بالإضافة للمعاصرة، فإن أي مشروع إحيائي وتجديدي لعلم النفس الاعتباري (التجريبي) في التراث العربي الإسلامي يكون ابن الهيثم، بلا ريب، هو محوره ومركزه الرئيسي. وإلى هذه اللحظة فقد تم تطبيق المقياس المجدد على عينة من البحرين والسعودية والسودان، ولقياس صلاحية المقياس ولدرجة الثبات والصدق من المهم تطبيقه على عينات من بقية الدول العربية الأخرى لمواصلة المشروع الإحيائي والتجديدي للإسهامات الهيثمية.

ويؤكد مؤرخو علم النفس في الغرب بصورة إجماعية وعلماء النفس العرب كذلك على أهمية مساهمة فيبر، وفخنر، وهلمهولتز، في تطور علم نفس الابصار وتبعا لذلك تطور علم النفس التجريبي. ولكن يمكن أن نعيد النظر في كتابة هذا التاريخ، بأن نميز بين مرحلتين من مراحل تطور هذا الفرع من العلم: مرحلة الإبداع ومرحلة الاكتشاف، مرحلة القرن الحادي عشر ومرحلة القرن التاسع عشر. وبوسعنا القول لقد كان ابن الهيثم مبدعا لعلم نفس الإبصار بينما كان فيبر، وفخنر، وهلمهولتز مكتشفين لها. ومهما يكن، هناك أهمية لكل من المبدع ولكل من المكتشف في تاريخ علم النفس. ويمكن القول بأن ابن الهيثم بكتاب المناظر العملاق يقف في قاعدة صلبة لمنارة شاهقة تكشفت أنوارها المتلألئة مع فونت الموسوعي في معمله الشهير بلايبزج العريقة بتاريخها التجريبي العلمي في علم النفس.

ولعل النتائج السابقة التي توصلنا إليها تقودنا إلى أطروحة الدراسة الأساسية وهي أن ابن الهيثم هو القاعدة الأساسية لأول تأسيس لعلم النفس الاعتباري (التجريبي) ، ولعلم النفس مرتبطا بالفيزياء، ولعلم نفس الإبصار في "ماضي" وبلغة أكثر تحفظا في "تاريخ" علم النفس كافة. ومن المناسب أن نرجع في نهاية هذه الدراسة إلى تساؤل بورنج، مؤرخ علم النفس الغربي الأكثر شهرة حينما تساؤل: كيف جاء علم النفس التجريبي أو العلمي للوجود؟ وبوسعنا الاجابة على التساؤل من واقفع نتائج هذه الدراسة الميدانية: أولا كان هناك عصر ابن الهيثم في القرن الحادي عشر، وثانيا عصر النهضة في القرن الخامس عشر، وثالثا عصر العلم التجريبي في القرن السابع عشر، ورابعا عصر علماء السيكوفيزيقا في القرن التاسع عشر. وبذلك تكون محاولة بورنج لتسلق قمة إفرست في مسح تاريخ علم النفس التجريبي بداية بالقرن التاسع عشر في معمل فونت الشهير في مدينة لايبزج بألمانيا 1879 هي محاولة تسلق ناقصة أو مبتورة لأنها لم تبدأ من قاعدة الجبل وهي "الاعتبارات الهيثمية".

12- تطبيقـــــــات مستقبليـــــــة

فقد صاغ ابن الهيثم باعتباراته الحقل المعرفي في علم البصريات كافة بصورة جديدة. ويعرف العبقري في علم النفس بأنه الفرد الذي يعيد صياغة حقله المعرفي (مري، 1996). إن عبقرية ابن الهيثم بإنجازه العملاق في علم البصريات، وخاصة صرامته الاعتبارية (التجريبية القياسية)، ربما يصح القول بأن دوره الريادي في الثقافة العلمية في الغرب يزيد عن المكانة التي حظي بها في الثقافة العربية الإسلامية. وذلك لأن كتاب المناظر أصبح المرجع الأساسي للبصريات في أوروبا طوال القرون الوسطى. ويمكننا أن نكرر القول بصورة استفهامية لماذا لم يجد علم النفس الهيثمي حلفاء من علماء النفس العرب والمسلمين إنما كان الحلفاء له من علماء النفس في ألمانيا؟ كانت أكثر نتيجة بارزة في الدراسات الأربعة هي التحقق من اعتبارات (تجارب) ابن الهيثم عن الغلط

(الخداع) البصري التي وصفها في القرن الحادي عشر الميلادي في نهاية الألفية تحت ظروف الاعتبار الجديدة. نتيجة لهذا الاتفاق الذي تم في نتائج الدراسات البحرينة (78%) والسعودية (82,6%) والسودانية (86,4%) توصي وتقترح الدراسة ببعض التطبيقات المستقبلية لكي يكون هناك حلفاء للاعتبارات الهيثمية في العالم العربي الاسلامي.

(1) تطبيق اعتبارات (تجارب) ابن الهيثم في الدول العربية ضمن مقرر علم النفس التجريبي، أو علم النفس العام، أو علم النفس في التراث العربي الاسلامي، أو تاريخ علم النفس، أو علم النفس المعرفي، أو على الأقل في باب الادراك.

(2) تصميم اعتبارات (تجارب) ابن الهيثم بمعامل أقسام علم النفس بالجامعات العربية.

(3) بحث متغيرات أخرى لم يتم بحثها في الدراسة الحالية مثل تفاعل العمر والتعليم والنوع فضلا عن بحث مصداقية وثبات اعتبارات ابن الهيثم للغلط (الخداع) البصري في الدول العربية.

(4) التفكير في انشاء وتأسيس جائزة معتبرة تقدمها مؤسسة علمنفسية أو طبنفسية باسم جائزة ابن الهيثم في علم نفس الابصار أو السيكوفيزياء أو الاعتبارات الهيثمية . وتقدم لأفضل البحوث في التراث العربي الاسلامي: بوسعنا التساؤل: هل ياترى تقوم شبكة العلوم النفسية بتبني هذه المبادرة التي تعطي الباحثين ثقة قوية في النفس؟ وربما تكون الاجابة عند مؤسسها المبدع د. جمال التركي وعند هيئتها الاستشارية.

(5) مقارنة نتائج اعتبارات ابن الهيثم بنتائج اختبارات الخداع البصري خاصة خداع بنزو، وخداع مللر–لاير، فضلا عن ذلك مقارنة الخداعات البصرية من خلال الرؤية الأحادية بعين واحد ة والرؤية المزدوجة.

(6) البحث والتقيب في كنوز ودرر التراث السيكولوجي لكشف المزيد من الاعتبارات (التجارب) في مجال علم النفس عامة وعلم النفس الاعتباري (التجريبي) بصورة خاصة.

(7) تحقيق النصوص السيكولوجية في المخطوطات العربية الاسلامية في مكتبات التراث العربي الاسلامي حول العالم، والاستفادة من حفريات الزبير بشير طه (1995، 2009) فضلا عن حفريات مالك بدري ومصطفى عشوي (البلخي، 1424) في كيفية التنقيب في التراث العربي الاسلامي وابرازه بلغة حديثة ومقاربته مع مفاهيم ونظريات ومناهج علم النفس المعاصر.

(8) محاولة تطبيق اعتبارات (تجارب) أخرى من اعتبارات التراث العربي الاسلامي وتبادل الخبرات بين المجموعات البحثية في أقسام علم النفس في العالمين العربي والاسلامي.

(9) مجموعة طائر السمبر البحثية في السودان والتي استلهمت الاعتبارات الهيثمية والمهتمة أساسا بمشروع توطين علم النفس (التوطين الداخلي والتوطين الخارجي) مهيأة تماما بتقديم أي استشارة في كيفية تصميم وتطبيق وتقدير درجات الغلط البصري في اعتبارات ابن الهيثم. ولهذه المجموعة حلقة ذكر علمي اسبوعية بدار أساتذة جامعة الخرطوم يومي الثنين والخميس من الساعة الواحدة وحتى الثالثة ظهرا.

(10) إن تطبيق النقاط أعلاه من المتوقع أن تعطي قوة دفع قوية بالنسبة للباحث العربي وكما أبدع وتجدد ابن الهيثم في القرن الحادي عشر الميلادي في العصر الذهبي للحضارة العربية الاسلامية يمكن أن يبدع ويتجدد علماء النفس العرب في بداية الألفية بكل ثقة في الذات فضلا عن قوة الارادة.

13- المراجـــــع

- ابن سينا، أبو علي (980 - 1037). **الشفاء: النفس.** تحقيق ومراجعة جورج قنواتي وسعيد زايد (1975). القاهرة: الهيئة المصرية للكتاب.
- ابن الهيثم، الحسن (ت 1040-1041). **كتاب المناظر.** تحقيق ومراجعة عبد الحميد صبره (1983). الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.
- البلخي، أبي زيد (1424هـ). **مصالح الأبدان والأنفس.** تقديم ودراسة مالك بدري ومصطفى عشوي. الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية.
- تاتون، رينيه (1988). **تاريخ العلوم العام: العلم القديم والوسيط.** بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر.
- تاتون، رينيه (1994). **تاريخ العلوم العام: العلم المعاصر.** بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر.
- الخليفة، عمر (1999). مناظر ابن الهيثم: الدور الرائد لابن الهيثم في تطور السيكوفيزيقا. **المجلة التربوية، 14**، 151-203
- الخليفة، عمر (2001). **علم النفس التجريبي في التراث العربي الاسلامي.** عمان: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- الخليفة، عمر (2005). **علم النفس التجريبي في التراث العربي الاسلامي.** الخرطوم: منشورات الخرطوم عاصمة الثقافة العربية.
- الخليفة، عمر (2009). علماء نفس الأمة بالشارقة. **مجلة شبكة العلوم النفسية العربية، 21-22**، 285 -295
- الدوميلي (1962). **العلم عند العرب وأثره في تطور العلم العالمي.** ترجمة عبد الحليم النجار ومحمد يوسف موسى. الطبعة الأولى، القاهرة.
- ديبانو، ماري (1997). علم المثلثات: من الهندسة إلى علم المثلثات. في **موسوعة تاريخ العلوم العربية.** إشراف رشدي راشد بمعاونة ريجيس مورلون. الجزء الثاني (ص. 627-667). بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية ومؤسسة عبد الحميد شومان.
- راشد، رشدي (1985). تاريخ العلم والعطاء العلمي في الوطن العربي. **المستقبل العربي، 11**، 32-46.
- رسل، غول (1997). نشأة علم البصريات الفسيولوجي. في **موسوعة تاريخ العلوم العربية.** إشراف رشدي راشد بمعاونة ريجيس مورلون. الجزء الثاني (ص. 859-927). بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية ومؤسسة عبد الحميد شومان.
- سويسي، محمد (1985). **أدب العلماء: الرازي، الحسن بن الهيثم، ابن سينا.** تونس: الدار العربية للكتاب. المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.
- صبره، عبد الحميد (1983). مقدمة التحقيق. الحسن بن الهيثم. **كتاب المناظر** (ص 21 - 55). الكويت: المجلس الأعلى لرعاية الآداب والفنون.

- طه ، الزبير بشير (1990). سايكوفيزياء الإبصار عند ابن الهيثم. **المجلة العربية للطب النفسي، 1**، 256- 273.
- طه، الزبير بشير (1995). **علم النفس في التراث العربي الاسلامي**. الخرطوم: دار جامعة الخرطوم للنشر.
- طه، الزبير بشير (2009). **علم النفس في التراث العربي الاسلامي**. عمان: ديبونو للنشر.
- عبد المحمود، نجوي.، زمراوي، هاجر.، والشيخ، هيبات (2009). **الغلط (الخداع) البصري وسط طلاب جامعة الخرطوم**. بحث تكميلي غير منشور مقدم إلى كلية الآداب ، جامعة الخرطوم، قسم علم النفس، تمهيدي ماجستير.
- عمر ، صالح (1981) . الاستقراء عند ابن الهيثم . **مجلة تاريخ العلوم العربية ، 5** ، 75 - 89 .
- غلمان، محمود.، العنقري، محمد.، عامر، صهيب.، باناعمة، سعيد.، الحبوبي، علي.، فتة، أحمد.، القرشي، شاكر.، الصايغ، مهند (2008). **مقياس ابن الهيثم للغلط البصري: دراسة ميدانية لمقارنة متوسط أداء طلاب مدارس دار الذكر للبنين بمحافظة جدة مع نتائج ابن الهيثم في مقياس الغلط البصري**. ورقة مقدمة لفعاليات المؤتمر الثاني للرابطة العالمية لعلماء النفس المسلمين والمنعقدة بالشارقة، فبراير 2009.
- مرحبا ، محمد (1970) . **الموجز في تاريخ العلوم عند العرب** . بيروت : دار الكتاب اللبناني. العربية. إشراف رشدي راشد بمعاونة ريجيس مورلون. الجزء الثالث (ص. 1257-1282). بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية ومؤسسة عبد الحميد شومان.
- مري، بنيلي (1996). **العبقرية: تاريخ الفكرة**. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.
- ميشو، فرانسواز (1997). المؤسسات العلمية في الشرق الأدنى في القرون الوسطى. في **موسوعة تاريخ العلوم**. إشراف رشدي راشد بمعاونة ريجيس مورلون. الجزء الثاني (ص. 627-667). بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية ومؤسسة عبد الحميد شومان.
- نظيف، مصطفى (1942و1943). **الحسن بن الهيثم: بحوثه وكشوفه البصرية**. القاهرة: جامعة فؤاد الأول.
- Bartley, S. (1941). **Vision: A study of its basis**. New York: Van Nostrand.
- Bentley, M. (1937). The nature and uses of experiment psychology. **American Journal of Psychology, 50,** 452-469.
- Boring, E. (1957). **A history of experimental psychology**. New York: Appleton-Century Crofts.
- Brennan, J. (1982). **History and systems of psychology**. New Jersey: Prentice-Hall,INC.
- Burns, R., & Dobson, C. (1981). Experimental psychology. Lancaster: MTP.
- Davis, C. (1970). Education and susceptibility of the Muller-lyer illusion among the Banyakole. **Journal of Social Psychology, 82**, 25-34.
- Fernberger, S. (1930). The use of equality judgments in psychophysical procedures. **Psychological Review, 37**, 107-112.
- Finger, F., & Spelt (1947). The illustration of horizontal-vertical illusion . **Journal of Experimental Psychology, 37**, 243-250.
- Gregory, R. (1968). **Eye and brain**. London: World University Library.
- Helmholtz, H. (1896). **Il ya trois references a Opticae Thesaurus d'Alhazen edite par F. Risnero, Bale, 1572** (duree de la sensation lumineuse variation de la sesibilite la perception profonde.
- Hergenhahn, B. (1986). An introduction to the history of psychology. Belmont: Wadsworth: Publishing Company.
- Howard, I. (1996). Alhazen's neglected discoveries of visual phenomena. Perception, 25, 1203-1217.
- Ibn al-Haytham (1989). The Optics of Ibn al-Haytham, Books 1-111, Trans. with introduction and commentary by A. Sabra. London: The Warburg Institute.
- Khaleefa, O. (2003). Ibn Al-Haytham 11th century test of visual llusions. Tafakkur, 5, (1) 1-30.
- Khaleefa, O., & Manaa, H. (2001). Ibn Al-Haytham studies of visual illusions: New discoveries in the history of experimental psychology. **Umm Al-Qura University Journal, 13**, 19-48.
- Myers, A. (1980). Experimental psychology. New York: D. Van Nostrand.
- Pearson, K. (1911). The Grammar of Science. London: Adam & Charles Black.
- Schultz, D. (1981). A history of modern psychology, 3ed. Orland: Academic Press.
- Segall, M., Campbell, D., & Herskovits, M. (1966). Influence of culture on visual perception. Indianapolis: Bobbs-Merill.
- Thurstone , L. (1927). A law of comparative judgment. Psychological Review, 34, 273-286.
- Woodworth, R. (1938). Experimental psychology. New York: Henry Holt.

أثـــر العقيـــدة الإسلاميـــة وشعائرهـــا فـــي تعزيـــز الصحـــة النفسيـــة للمسلـــم

(دراسة تجريبية لفعالية برنامج نفسي إسلامي مُقترح في تخفيض درجة قلق ما قبل العملية الجراحية)

أ. نـــــورالديـــــن زعتـــــر - أستـــاذ علـــــم النفـــس – الجزائـــــر

Zaatar_n@Yahoo.fr

Abstract: In this research paper, the researcher tries to shed light on the psychological effects that religious practices could have on anxiety that precedes surgical operations. The researcher suggests a programme of psychological therapy that is rooted in the tenets of Islam (the doctrine, and worships be them verbal or per formative).this therapy would take the form of sessions of therapy.

The researcher dedicates an introductory chapter in theorizing for psychology end religion. Then, he uses the experimental method in research, which is deemed by most of the scholars one of the most accurate and reliable. He chooses ,then, an appropriate plan of tow homogeneous groups (the experimental and the control)the number of each was eighteen member. He uses then Anxiety test of "Spielperger" and Death Anxiety test of "Donald Templer" to measure the Results. After wards, comes the analysis of the results using test "T" to measure the significance of the discrepancy. The problematic that lead to this research was: - Is the Islamic therapy programme effective in anxiety reduction ?

Peripheral questions: 1- Is there a significant difference between the mean of the tow groups (the experimental and the control) that is going to undertake a surgical operation in "spielberger scale" after applying the Islamic programme of psychological therapy . suggested into the favour of the control group?

2- Is there a significant difference between the mean of the tow groups (the experimental and the control) that is going to undertake a surgical operation in scale of Death anxiety of "Donald Templer" after applying the Islamic programme of psychological therapy . suggested into the favour of the control group?

The researcher coms to the conclusion that "T" test has the value of (5,012) in templer scale between the tow groups(experimental and the control).That value of "T" test between the mean of the tow groups reaches (14,219) in spielberger scale.Returning back to statistic table concerning "T" test we find out the value of "T" in the first and the second counted is more then the value of "T" in the freedom grade (34) and the significance (0.01) of both. thus, the discrepancy between the mean of the experimental and the control treated apart is highly significant that the experimental is less anxious according to the scale of the study this means the variable (the suggested Islamic psychological therapy is very effective in lessening the anxiety that precedes surgical operation).

تمهيـــــــــد

لقد ظهرت حديثاً اتجاهات في علم النفس الحديث وخاصة المسلمين منهم تنادي بأهمية الدين في الصحة النفسية وفي علاج الأمراض النفسية ، وترى أن عقيدة الإيمان بالله قوة خارقة تُمد الإنسان المتدين بطاقة روحية تعينه على تحمل مشاق الحياة وتُجنبُه القلق الذي يتعرض له كثير من الناس الذين يعيشون في هذا العصر الحديث المُشبع بالمادية والتنافس الشديد والمُفتقر في الوقت نفسه لمقومات الحياة الروحية وللمبادئ الأخلاقية لذا فان التمسك بالإيمان بالله وترسيخه وإتباع منهجه هو السبيل الأساسي لإحتمال معاناة الحياة بهمها وقلقها وهو الطريق الرئيسي الذي يؤدي إلى تحقيق أمن الإنسان وسعادته: ﴿ قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى، ومن أعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى﴾(سورة طه،آية 123-124)، وهذه الآية فيها دلالة واضحة على حتمية الصراع بين البشر في هذه الحياة ، وأن الحياة مع هذا الصراع تصير ضلالاً وشقاءاً إن لم يتبع الناس المنهج الرباني في حياتهم، فالله سبحانه وتعالى خلق الإنسان و يعلم خلقه ، قال الله تعالى:﴿ ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ﴾(سورة الملك أية 14)، والخالق هو الذي يعرف كيف يكون الإنسان سوياً ،ويعرف أسباب فساده وانحراف سلوكه لذا فعلى علماء العلاج النفسي أن يستفيدوا من الدين في وضع خططهم العلاجية ، وان يلتزموا هدي الخالق جل وعلا، لأنهم ليسوا أعلم بالإنسان من الله الذي خلقه .

لقد اقترح الباحث برنامج علاج نفسي مستوحى من أصول الدين الإسلامي(العقيدة ،العبادات الأدائية،الذكر) من أجل تبيان أهمية العقيدة وشعائرها الدينية في تخفيض درجة أصل وجوهر الاضطرابات النفسية الذي هو القلق وجعل من قلق العملية الجراحية نموذجا في التطبيق الميداني.

1- تســـــــاؤلات الدراســـــــة

*-التساؤل العام:

- هل لبرنامج العلاج النفسي الإسلامي المقترح فعالية في تخفيض درجة قلق ما قبل العملية الجراحية؟

*- التساؤلات الفرعية التالية :

1- هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطي درجات المجموعتين التجريبية والضابطة المقبلتين على عملية جراحية على مقياس القلق لسبيلبرجر بعد تطبيق برنامج العلاج النفسي الإسلامي المقترح ؟

2- هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطي درجات المجموعتين التجريبية والضابطة المقبلتين على عملية جراحية على مقياس قلق الموت لدونالد تمبلر بعد تطبيق برنامج العلاج النفسي الإسلامي المقترح ؟ .

2- فرضيـــــــات الدراســـــــة

من خلال الملاحظات الميدانية واعتماداً على ما توصلت إليه الدراسات التي تناولت متغيرات هذا الموضوع فإنه تمت صياغة الفرضيات التالية :

- الفرضية العامة :

إن لبرنامج العلاج النفسي الإسلامي المقترح فعالية في تخفيض درجة قلق ما قبل العملية الجراحية .

- الفرضيات الفرعية :

1- توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطي درجات المجموعتين التجريبية والضابطة المقبلتين على عملية جراحية على مقياس القلق لسبيلبرجر بعد تطبيق برنامج العلاج النفسي الإسلامي المقترح لحساب المجموعة الضابطة. 2- توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطي درجات المجموعتين التجريبية والضابطة المقبلتين على عملية جراحية على مقياس قلق الموت لدونالد تمبلر بعد تطبيق برنامج العلاج النفسي الإسلامي المقترح لحساب المجموعة الضابطة .

3- المفاهيـــــم الأساسيـــــة للدراســـــة

أ- القلـــــــق

يُعرفه احمد عكاشة على أنه: (شعورٌ عام غامض غير سار بالتوجس والخوف والتحفز والتوتر مصحوب عادة ببعض الأحاسيس الجسمية خاصة زيادة نشاط الجهاز العصبي الإرادي)(ص 134).

أما راجح أحمد عزت فيعرفه :(القلق حالة من الانفعال يشير إلى وجود خطر داخلي أو خارجي شعوري أو لاشعوري يهدد الذات وجوهره فيه الانتظار والتوقع والعجز عن الهرب،والقلق انفعال مُركب من الخوف والألم وتوقع الشر)(1993ص18)، و التعريف الإجرائي للقلق هو أنه حالة انفعالية غير سارة ثابتة نسبيا, تتشكل لدى الفرد نتيجة للتهديد,قد يكون داخليا,وقد يكون خارجيا,ويتميز بالتوتر نتيجة الشعور بذاك التهديد, وان توقع الخطر قد يكون له مُبرراته في الواقع الموضوعي كما يمكن أن يكون ذاتياً مُتوهماً, وترافق هذه الحالة أعراض جسمية مزعجة وسلوكات سلبية والقلق هنا كما يقيسه اختبار القلق لـــسبيلبرجر.

ب- قلـــــــق المـــــــوت

ان القلق الذي يسبق العملية الجراحية هو قلق يسيطر عليه حالة قلق الموت ولا يمكن الفصل بينهما فهما وجهان لعملة واحدة وقلق ما قبل العملية الجراحية إجرائيا هو(حالة من الاضطراب الفكري والوجداني أمام الخطر المحدق بالجسد، وربما بالحياة نتيجة للعملية الجراحية، ويتضخم هذا الاضطراب عندما تكون الجراحة بمثابة الخيار الوحيد أمام المريض لكي يتجنب خطر حالة مرضية يعانيها، ولكن بعد أن تكون معاناته من قلق الموت خلال الفترة الفاصلة بين معرفته بإصابته وبين قراره الخضوع للجراحة)(كبريال، السبع،1995،ص51) وقلق الموت (نوع من القلق العام يشير إلى حالة انفعالية مكدرة ومشاعر شك وعجز وضيق تتركز حول كل ما يتصل بالموت أو الاحتضار لدى الشخص نفسه أو ذويه ،ومن الممكن أن تثير أحداث الحياة هذه الحالة الانفعالية غير السارة وترفع من درجتها)(عبد الخالق، أحمد،1987،ص23). وتعريف قلق الموت إجرائيا : هو الخوف المتعلق بالتفكير في الموت سواءاً موت الشخص ذاته أو موت الآخرين وكذلك في الموضوعات ذات الصلة بالموت مثل الفناء ،الاحتضار ،الدفن ،تحلل الجسم وغيرها ويُقصد به في بحثنا هذا كما يقيسه اختبار قلق الموت لـــدونالد تمبلر.

جـ- العـــــلاج النفســـــي الإسلامـــــي

هو شكل من أشكال العلاج يستهدف إصلاح باطن وظاهر الفرد ،وذلك بتصحيح منظومته المعرفية وفق أسس عقائدية عن طريق ترسيخ الإيمان وإكسابه سلوكيات إسلامية في التعامل، والقيام بمختلف أنواع ذكر الله والشعائر الدينية، وذلك ما ينعكس ايجابيا على استقراره النفسي واطمئنانه وتعريف العلاج إجرائيا في هذا البحث هو أسلوب من التعامل الإنساني في شكل جلسات علاجية إرشادية تعتمد أساساً على الدين في التفكير و التطبيق، الهدف منه القضاء على الأمراض النفسية المختلفة أو تخفيفها أو مساندة من يعانيها، وهو يقوم أساسا على معرفة الفرد لربه ودينه ونفسه وهدف وجوده في الحياة،(ويقوم على أساليب ومبادئ دينية روحية أخلاقية) (زهران،حامد عبد السلام،1997،ص360)،وذلك بالاعتماد على أصول الدين الثلاثة:1- المعتقد (الإيمان بالله ، الإيمان باليوم الآخر، الإيمان بالقضاء والقدر، التوبة ، الصبر والتفويض

والاحتساب، التأسي بالأنبياء والصالحين) 2- العبادات الأدائية (الصلاة ،الصدقة)، 3-الذكر الديني (تلاوة القرآن،الدعاء والاستغفار).

4- أساليـــــب العـــــلاج النفســـــي الإسلامـــــي:

أ- العـــلاج النفســـــي الإسلامـــــي الاعتقـــادي

أنه لمن المعروف لدى من مارس العلاج النفسي أن الانفعال تسبقه فكرة فإذا استطعنا أن نُغير فكرة شخص ما فإننا نستطيع أن نغير مشاعره وانفعالاته وسلوكاته، لذلك فإن العلاج النفسي يهدف أساسا إلى التغيير في أفكار المرضى النفسيين عن أنفسهم وعن الناس والحياة والمشكلات التي عجزوا عن مواجهتها من قبل وكانت سبباً في قلقهم ,وحينما تتغير تلك الأفكار نتيجة للعلاج فإن المريض يصبح قادراً على مواجهة مشكلاته وأقدر على حلها بل أنه غالبا ما يرى أن مشكلاته التي كانت تقلقه في الماضي والتي أدت إلى مرضه لم تكن في الحقيقة بالضخامة التي كان يتوهمها ولم يكن هناك مبررا يدعو لقلقه الشديد, إن تغيير الأفكار خطوة أولى وضرورية لتغيير شخصية الإنسان وسلوكه ولقد إتّبع الدين في تربيته لشخصيات الناس وفي تغيير سلوكهم تغيير الأفكار والعقائد والتصورات،لأن الدين عقيدة قوية واضحة ومتماسكة وصحية للإنسان.

من خلال أبحاث علماء المناعة النفسية ورواد المدرسة المعرفية ومن خلال ما هو مُلاحظ في الواقع العيادي فإنه ليست المصائب أو المشكلات هي المسئولة عما يصيبنا من أمراض نفسية وحسية بل نظرتنا إلى تلك المصائب وتفسيرنا لتلك المشاكل .

- الإيمـــــان باللـــــه والصحـــــة النفسيـــــة

(المسلم يؤمن بالله تعالى ويصدق بوجوده وأنه هو المستحق وحده بالعبادة وأنه عز وجل فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة رب كل شيء ومليكه موصوف بكل كمال منزه من كل نقصان ، والإيمان له مفهومان : مفهوم لغوي وهو الإقرار بالشيء والتصديق به ، ومفهوم شرعي وهو الإقرار المستلزم للقبول والإذعان لله المتضمن لأربعة أمور : الإيمان بوجوده ،والإيمان بربوبيته ، والإيمان بألوهيته، والإيمان بأسمائه وصفاته)(العثيمين بدون سنة نشر،ص 29) ، وأركانه هي في قوله عليه الصلاة والسلام في جوابه لجبريل عليه السلام: ((الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره))(صحيح أخرجه مسلم) ، والإيمان عند أهل السنة والجماعة هو الإقرار بالقلب والنطق باللسان والعمل بالجوارح وهو يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية .

وللإيمان بالله تأثير ايجابي على الصحة النفسية للفرد ذلك أن الإيمان الصحيح يمنح الإنسان أعظم وأروع علاقة ،فالإنسان المتدين يشعر بعلاقة حب قوية لله ،وحب الله للمسلم يجعل الملائكة تحبه والناس كذلك ،بحيث يشعر الإنسان بالانتماء ويتخلص من الشعور بالوحدة والخوف اللذان يكمُنان وراء الكثير من الاضطرابات النفسية .

(إن الإيمان بالله يوصل المسلم إلى درجة عالية من القوة الروحية والتي تسمى في علم النفس بـــ "القوة النفسية " والتي تحافظ على تماسك الشخصية وتناسق عمل مكوناتها وتجعلها أكثر فاعلية وتأثيراً وإنتاجاً، وعلى العكس فإن ضعف الطاقة الروحية التي هي مكافئة لما يسمى في علم النفس بـــ "ضعف الطاقة النفسية " يكون سبباً لمعظم الاضطرابات النفسية حسب مفهوم نظرية جانيت"Theory Janet"(المهدي ،محمد،1989 ،ص 99).

والإيمان يعطي الفرد إحساساً باحترام الذات وذلك لما للدين من قيمة عليا لدى الفرد ولدى المجتمع، فيشعر الإنسان بتقبل واحترام ذاته وفي نفس الوقت بتقبل واحترام الآخرين من المؤمنين لأنهم في نظره إخوة في الله ،وكذلك يؤدي بالمؤمن إلى عدم التردد وسرعة اتخاذ القرار وهو ما يُطلق عليه"العزم" ﴿ فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين ﴾(سورة آل عمران آية 159)، وذلك لأن المؤمن عنده إطارٌ مرجعي وهو الدين يقيس به الأمور فيساعده ذلك على سرعة وحسن اتخاذ القرار ويساعده أيضا على الصبر والمثابرة في تنفيذ ما عزم عليه ،والإيمان يجعل المسلم يحس بالقرّب من الله وإمكانية مناجاته بالدعاء والقرآن والاستغفار والتوبة إليه عند الذنب واستجلاب رضاه بالأعمال الصالحة ،كل هذا يحمي المؤمن من التأثيرات النفسية الضارة لتقلبات الحياة ومصائبها وعقباتها لأن هذه المعاني والشعائر تمتص قوة الصدمات وتجعل سلوك الشخص اتجاهها ايجابياً، فبدلاً من اليأس والقنوط والإحساس بالعجز والمرارة نجد المؤمن صابراً محتسباً وفي نفس الوقت صامداً وعاملاً على مواجهة الموقف بإيمانٍ وإصرار .

(تتفق جميع مدارس العلاج النفسي على أن القلق هو السبب الرئيسي في نشوء أعراض الأمراض النفسية ولكنها تختلف فيما بينها في تحديد العوامل التي تسبب القلق وتتفق هذه المدارس أيضا على أن الهدف الرئيسي للعلاج النفسي هو التخلص من القلق وبث الشعور بالأمن في نفس الإنسان ولكنها تتبع لتحقيق هذا الهدف أساليب علاجية مختلفة وهذه الأساليب لا تنجح دائما في تحقيق الشفاء التام من الأمراض النفسية أما الإيمان بالله إذا ما بث في نفس الإنسان منذ الصغر فإنه يكسبه مناعة ووقاية من الإصابة بالأمراض النفسية)(نجاتي،محمد، 1987ص 249). ولقد وصف القرآن ما يُحدثه الإيمان من أمن وطمأنينة في نفس المؤمن في قوله عز وجل:﴿ الذين أمنوا ولم يُلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون ﴾(سورة الأنعام آية 82)، وفي قوله تعالى:﴿ الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب ﴾(سورة الرعد آية28).

إن الإيمان بالله يوقظ الأمل وروح التفاؤل نتيجة الإيمان بعدل الله والقناعة بعطائه والرضا بأقدار حاضره ،واتجاه المستقبل نتيجة الإيمان بما أعده الله من خير ورحمة وجنات للمتقين، أما الماضي بما فيه من أحداث وأخطاء مقلقة فان المؤمن على يقين من سعة رحمة الله ومغفرته وهذا يريحه من أثقال الماضي ويعطيه فرصة دائمة لبداياتٍ جديدة .

إن النفس البشرية مطبوعة بدافع العبودية لله بالفطرة فهي تؤمن في أعماقها بأن الله ربها ،وما انحرافها عن عبوديته إلا نتيجة عوامل الإفساد على وجه الأرض قال عز وجل :﴿ فأقم وجهك للدين حنيفا فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾(سورة الروم آية 30) ، لذلك قال ابن القيم الجوزية (691-715 هـ): أن(في القلب شعثٌ لا يلمه إلا الإقبال على الله وفيه وحشة لا يزيلها إلا الأنس بالله وفيه حزن لا يذهبه إلا السرور بمعرفته وصدق معاملته وفيه قلق لا يُسكنه إلا الاجتماع عليه والفرار إليه وفيه فاقة لا يسدها إلا محبته والإنابة إليه ودوام ذكره وصدق الإخلاص له ولو أعطي الدنيا وما فيها لم تسد تلك الفاقة أبدا) (2003 ص 45) ،و(إن الفاقة والحاجة لمعرفته تبقى قائمة ولن تجد أي إشباع آخر غير عبوديته ولو عمد الإنسان إلى تحقيق كل دوافعه الأخرى الأساسية منها والثانوية ، وإلا بقي عرضة للتوتر الدائم والقلق المزمن)(عبد العزيز،حدار،1995ص 76)،وفي نفس الفكرة نجد قول ابن القيم الجوزية بأسلوبه الشيق يصل إلى صميم الفكرة وجوهرها فيقول: (فأعلم أن حاجة العبد إلى أن يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا أعظم من حاجة الجسد إلى روحه والعين إلى نورها بل ليس لهذه الحاجة نظيرٌ تقاس به فإن حقيقة العبد روحه ولا صلاح لها إلا بإلهها الذي لا إله إلا هو،فلا تطمئن في الدنيا إلا بذكره وهي كادحة إليه كدحا فملاقيه ولا بدلها من لقائه ولا صلاح لها إلا بمحبتها وعبوديتها له ورضاه وإكرامه لها ولو حصل للعبد من الملذات والسرور بغير الله ما حصل لم يدم له ذلك)(1992 ص61)، وإن الإيمان بالله وحده لا شريك له يجمع

عناصر النفس ويوحد اتجاهها ومشاعرها نحو مصدر واحد للتلقي ،فيؤدي بذلك إلى أثر تركيبي بنائي في الشخصية ،بعكس تعدد الآلهة وتعدد مصادر الخوف والنفع والضرر فإنه يؤدي إلى توزيع المشاعر وانقسام النفس وتشتت الانتباه إلى العديد من الاتجاهات ويؤدي إلى تفكيك رباط الشخصية (عبد العزيز،حدار،1995ص78).

وبما أن الدين يقضي على حالة الغموض والتيه حول الأسئلة الملحة والمحيرة والألغاز الوجودية للانسان من مثل: من الذي خلق الإنسان؟...ولماذا خلقه ؟...وما هي وظيفته ؟...وما هو هدفه ؟ وما هي البداية ؟...وما هي النهاية ؟ ،بإعطاء التصور الإسلامي الصحيح والمعتقد الراسخ الذي يُشفي به الإنسان، لذا فإن الدين إحتل مكانة عالية في طريقة فرانكل Victor E.frank(1905) الذي يعزو سبب عدم الارتياح والتعاسة لعدم قدرة الفرد على إيجاد معنى ومغزى لحياته وهو ما سماه "الفراغ الوجودي"،ولقد قال الفيلسوف وعالم النفس الأمريكي وليام جيمس(1910) James،william:(إن أعظم علاج للقلق ولا شك هو الإيمان...والإيمان من القوى التي لا بد من توفرها لمعاونة المرء على العيش،وفقده نذير بالعجز عن تحمل معاناة الحياة...إن بيننا وبين الله رابطة لا تنفصم فإذا نحن أخضعنا أنفسنا لإشرافه تعالى تحققت كل أمنياتنا وأمانينا)وقال أيضا:(إن أمواج المحيط المصطخبة المنقلبة لا تعكر قط هدوء القاع العميق ولا تقلق أمنه)(كارينجي،دايل،1956،ص 282)

ولقد لاحظ شريف محمد وهو طبيب نفساني باكستاني انخفاض حالات الاكتئاب في شهر رمضان عندما عالج أربعة وستين مريضا بالاكتئاب علاجاً طبياً وقسمهم إلى مجموعتين اثنان وثلاثون مريضا أعطاهم العلاج الطبي فقط واثنان وثلاثون مريضا أعطاهم العلاج الطبي وطلب منهم قيام الليل من الساعة الثانية على الرابعة صباحا لصلاة الفجر وذكر الله تعالى وقراءة القرآن والدعاء والاستغفار وبعد أربعة أسابيع وجد أن ثمانية وسبعين بالمائة من المجموعة الثانية وخمسة عشر بالمائة من المجموعة الأولى قد تخلصوا من الاكتئاب، وفي دراسة ثانية أشرف عليها جمال ماضي أبو العزم وهو طبيب نفسي مصري لعلاج 218 مدمن أفيون عالج منها 138حالة علاجا طبيا فقط و80 حالة علاجاً نفسي اجتماعي ديني في "مسجد أبو العزائم"، ومن متابعة هذه الحالات لمدة خمس سنوات تبين أن نسبة من أقلعوا عن تعاطي الأفيون وعادوا إلى ممارسة الحياة العادية في العمل والأسرة ومع الناس هي مجموعة المسجد وذلك أعلى بكثير من المجموعة التي عولجت طبيا فقط ،وقد أرجع أبو العزائم هذا إلى تنمية الإيمان عند مجموعة المسجد عن طريق اعتيادهم الذهاب إليه وكثرة قراءة القرآن والصلاة والدعاء (توفيق عز الدين 1998 ص338).

قال كارل جوستاف يونغ (1961):(استشارني خلال أعوم الثلاثين الماضية أشخاص من مختلق شعوب العالم المتحضر وعالجت مئات كثيرة من المرضى، فلم أجد مريضا واحدا من مرضاي من لم تكن مشكلته في أساسها هي افتقاره إلى وجهة نظرة دينية في الحياة، وأستطيع القول إن كل واحد منهم قد وقع فريسة المرض لأنه فقد ذلك الشيء الذي تمنحه الأديان القائمة في كل عصر لأتباعها،وأنه لم يتم شفاء أحدٍ منهم حقيقة إلا بعد أن استعاد نظرته الدينية في الحياة)،وقال أيضا المحلل النفسي أبريل A.abrill :(المرء المتدين حقا لا يعاني قط مرضا نفسيا)(نقلا عن المهدي 1989ص 85)،لذا فإننا من كل ما سبق نُدرك التأثير النفسي المهم الوقائي والعلاجي للإيمان .

- الإيمـــان باليـــوم الآخـــر والصحـــة النفسيـــــة

الإيمان باليوم الآخر يعني الإيمان بقيام الساعة ،وسمي يوماً آخر لأنه ليس بعده يوم ،فإن الإنسان كان عدما ثم وجد في بطن أمه ثم وجد في الدنيا ثم ينتقل إلى البرزخ ثم يوم القيامة، فهذه أحوال خمس للإنسان)(العثيمين بدون تاريخ نشر ص 39)، ويؤمن المسلم بما يكون بعد الموت، فيؤمن بأحوال القبور وقيام الساعة وبالنفخ في الصور وبالحساب في الميزان وبالحوض المورود و بكل ما أثر في الكتاب والسنة ،لذا فالمسلم قوي الإيمان لا تراه يحزن على شيء فاته أو شهوات لم يصبها، وتراه محصناً من بعض الاضطرابات النفسية التي تتخذ من فكرة أن الدنيا هي آخر المآل والمطاف ،ولقد لاحظ جل علماء النفس من خلال الحالات المرضية التي عرضت عليهم أن سبب القلق يعود إلى الخوف من الموت و من المصير المجهول الذي يجعل الحياة لا مغزى لها، فيتخبطون في مشاعر الإحباط والتشاؤم والقلق من المجهول والخوف منه وبالتالي لا يطمئنون في حياتهم ولا يجدون لها طعما، وبالتالي فإن الخوف من الموت والمصير المجهول هو أصل الاضطرابات النفسية، إذ يرى "مايرMaier" أن الخوف من الموت هو أساس العصاب كما يرى "براون Brawn" أن الصراع مع الموت هو مصدر القلق الإنساني"وميلاني كلاين M.Klaine " وكذلك يرى "فيفلFifel " أن معظم أنواع القلق الأخرى ما هي إلا مظهر خادع لقلق الموت ،و"كارل يونغ K.Yong"،وكذلك"أرسيث بيكر A. Becker" و"ألفرد أدلر.A.Adler "(عبد العزيز،حدار،2005ص85).

والمسلم الذي يؤمن باليوم الآخر يكون القلق عنده منخفضاً جداً لاعتقاده بوجود حياة ما بعد الموت ،ومفهوم الموت عند المسلم ليس ذاك المجهول الذي يبثُ الخوف والرهبة في النفوس ولكنه قضاء الله وحكمته في أن يعيش الإنسان عمراً زائلاً في الدنيا ثم يعيش عمراً خالداً في الآخرة فالمسلم يعلم أن الدنيا سجن المؤمن جنة الكافر وأن الدنيا مزرعة الآخرة لذا لا يقلق من الموت بشكل مرضي شاذ، ولا يتحسر على فوات محبوب في الدنيا ،ولقد أكدت دراسات ميدانية هذه الأفكار إذ (كشفت دراسة مصرية أجريت على طلبة ذكور من جامع الإسكندرية عن ارتباط جوهري بين قلق الموت والتدين أي أنه كلما زاد التدين انخفض قلق الموت وتؤكد دراسة أخرى لـــ"وليام رنكول william rinkol" (1968) أن المفحوصين (شديدي) التدين كشفوا عن أقل درجة من القلق على حين حصل أفراد المجموعة المنخفضة التدين على أعلى درجة من عدم الأمان)(حدار عبد العزيز،2005ص86).

والإيمان بالآخرة يحقق التوازن الداخلي للشخصية بنحو لا يمكن البتة أن يتم لدى الشخصية غير المؤمنة وفي مقدمة ذلك التعويض الذي يهبه الله للمسلم، بحيث تطمئن الشخصية إلى أن أي تأجيل تمارسه حيال حاجاتها سوف لن يكون خسرانا بل هو مجرد تأجيل إشباع سوف يُعوض بإشباع أكبر حجماً وأدوم ،على عكس غير المؤمن الذي يتخبط في أي خسارة أو فوات لذة أو مصلحة أو حصول مصيبة ،لأنه لا يملك يقيناً واعتقاداً بالتعويض بقدر ما يملك يقينياً واعتقاداً بالموت الذي يقضي على كل تطلعاته وهو ما يؤدي به إلى الاضطراب وللإستقرار النفسي ،قال تعالى مخاطباً نفساً تؤمن باليوم الآخر:﴿يأيتها النفس المطمئنة أرجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وأدخلي جنتي﴾ (الفجر آية 27).

- الإيمـــان بالقضـــاء والقـــدر والصحـــة النفسيـــة

الإيمان بالقدر معناه أن تؤمن بالله سبحانه وتعالى قد قدّر كل شيء:﴿وخلق كل شيء فقدره تقديرا﴾(سورة الفرقان،آية 02)، وهذا التقدير الذي قدره الله عز وجل تابع لحكمته وما تقتضيه هذه الحكمة من غايات حميدة وعواقب نافعة للعباد في معاشهم ومعادهم (العثيمين بدون تاريخ نشر،ص 41)، وفي الحديث الذي رواه الترمذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((يا غلام إني أعلمك كلمات إحفظ الله يحفظك ،إحفظ الله تجده اتجاهك ، إذا سألت فاسأل الله وإذا إستعنت فاستعن بالله وأعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك

رفعت الأقلام وجفت الصحف)) ،لذا فالمؤمن قوي الإيمان لا يخاف من شيء في هذه الحياة الدنيا،فهو يعلم أنه لا يمكن أن يصيبه شرٌ أو أذى إلا بمشيئته تعالى:﴿ بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾(سورة البقرة آية 112) ، والمؤمن يعلم أن الموت واقع لا مفر منه، لذا فهو ينظر إليه نظرة واقعية فلا يخاف منه خوفاً مرضياً فلكل إنسان أجلاً محددا:﴿ولن يؤخر الله نفسا إذا جاء اجلها﴾ (سورة المنافقون آية 11)،(كل نفس ذائقة الموت ﴾ (سورة آل عمران آية 185) .

والمؤمن قوي الإيمان لا يخاف مصائب الحياة ومشكلاتها ذاك الخوف اللاسوي، فهو لا يجزع إذا أصابه شر بل يتحمل ويصبر ويحمد الله على كل حال ،والمؤمن كذلك لا يضيق ذرعا من قلة الرزق فهو يعلم أن رزقه بيد الله وأنه سبحانه وتعالى قد قسم الأرزاق، لذا تراه راضياً بما قُدر له:﴿ الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ﴾(سورة الرعد آية 26) ، والمؤمن بالقضاء والقدر لا يجتّر أحزانه ولا يعيش مهموما بذكريات الماضي ولا يتأسف على ما مضى لذا فهو لا يشعر بالهم الذي يُثقل كاهل الكثير من الناس الذين يعيشون في أحزان الماضي وآلامه ،كما أنه كذلك إذا نال خيراً لا يبطر ولا يستكبر ولا يطغى بل يحمد الله تعالى على ما أنعم عليه من خير:﴿ما أصابكم من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير ، لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما أتاكم والله لا يحب كل مختال فخور﴾(سورة الحديد آية 22-23) .

ومما سبق يتبين لنا أن (المؤمن لا يخاف من الأشياء التي يخاف منها معظم الناس وهي الموت ،الفقر والمرض كما أنه لا يخاف الناس ولا مصائب الدهر وهو ذو قدرة على تحمل المصائب لأنه يرى فيها ابتلاءاً من الله تعالى يجب أن يصبر عليه ،وهو لا يكبت شعوره بالذنب بل يعترف بذنوبه ويستغفر الله منها، فلا غرابة بعد ذلك كله أن يكون المؤمن آمن النفس مطمئن القلب يغمره شعورٌ بالرضا وراحة البال)(المهدي 1989 ص 102).

(كما أن الاستسلام للقضاء والقدر يساعد الفرد على اجتناب الحزن على الخبرات الماضية وفي هذا الصدد تجدر الإشارة إلى أنه جاء في التقرير السنوي لجمعية الطب النفسي بالولايات المتحدة الأمريكية سنة (1952) أن الأمراض النفسية هي اضطراب وظيفي في الشخصية يرجع أساسا إلى الخبرات المؤلمة والصدمات الانفعالية وإلى الاضطرابات في العلاقات الاجتماعية والخبرات المؤلمة التي تعرض لها الفرد في ماضي حياته وخاصة في طفولته المبكرة)(عزيزة عنو 2005 ص 101).

إن الإيمان بالقضاء والقدر يضمن للإنسان تلك السكينة والأمان، لأنه قد فوض أمره ومستقبله لله تعالى، لا يحمل هما ولا غما لوقائع لم تحدث بعد ،وبذلك ينعكس الإيمان بالقدر ايجابياً على نفسية الإنسان حيث يكون اليقين بأن المقدور الذي كتب له يأتي و إن لم يقدر لا يأتي، فمن أيقن بذلك أورث الله قلبه خصلتين إحداهما أن يؤمن بفوات ما قدر له، والثانية أن ييأس من أن ينال ما لم يقدر له، وبذلك يقل غمه وهمه وخضوعه للخلق والمداراة لهم إذ ليس بيدهم المنفعة ولا المضرة .

- التوبـــــة والصحـــــة النفسيـــــة

عن أبي موسى عبد الله بن قيس الأشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إن الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها)) (رواه مسلم 2759).

إن المسلم يشعر بالقلق والحزن ينتابه عندما يرتكب المعاصي والآثام ، والتوبة النصوح (تحرره من هذا الشعور ،ويلعب اعتراف المؤمن بذنبه دورا رئيسياً في تمتعه بالصحة النفسية والعقلية ،وحتى إذا حاول الإنسان شعورياً نسيان ذنوبه فإنها لا تموت وإنما تكبت في اللاشعور وتظل الأفكار المكبوتة في اللاشعور حية تتصارع مع غيرها من الأفكار والقيم حتى تؤدي بالإنسان إلى الشعور بالقلق والتوتر ومن ثم إصابته بالأمراض النفسية والعقلية)(العيسوي،عبد الرحمان،بدون سنة النشر،ص 184)،والتوبة أسلوبٌ فريد وناجح في علاج الشعور بالذنب لأنها تجلب غفران الذنوب وتقوي في الإنسان الأمل في رضوان الله ورحمته قال تعالى:﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم ﴾(سورة الزمر آية 53) ، وقال أيضا :﴿ ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً ﴾ (سورة النساء آية 110),(إن الشعور بالذنب يسبب للإنسان الشعور بالنقص والقلق مما يؤدي إلى نشوء أعراض الأمراض النفسية ، ويهتم العلاج النفسي في مثل هذه الحالات بتغيير وجهة نظر المريض عن خبراته السابقة التي سببت له الشعور بالذنب فيراها في ضوءٍ جديد بحيث لا يرى فيها ما يبرر الاستمرار في شعوره بالذنب وشعوره بالنقص فيخف تأنيبه لنفسه ويصبح أكثر تقبلا لذاته فيزول قلقه وأعراض مرضه النفسي) (المهدي،محمد 1989 ص 91).

و إن التوبة كعملية نفسية تفتح للإنسان باب أملٍ في تطهير النفس عندما يشعر أن ذنوبه وآثامه قد حطمته وأصبحت عبئاً ثقيلا لا يستطيع أن يتحمله وينظر إلى الحياة نظرةً مختلفة فيها أمل وتفاؤل بعدما كانت نظرة كلها تشاؤم ومرارة وخوفٌ من المصير ، والإنسان مجبولٌ على الخطأ قال عليه الصلاة والسلام: ((كل بن آدم خطاء وخير الخاطئين التوابون))، فلو لم تكن سعة الرحمة والتوبة لكان تراكم الذنوب والأخطاء كفيل بتصديع كيان الإنسان وإغراقه في دوامة الذنوب والقنوط من رحمة الله لكن لا يكون ذلك في مقابل حلاوة دعاء التائب المنيب قائلا:(أسألك بعزك وذلي إلا رحمتني ، أسألك بقوتك وضعفي وغناك وفقري إليك، هذه ناصيتي الكاذبة الخاطئة بين يديك، عبيدك سواي كثير وليس لي سيد سواك لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك، أسألك مسألة المسكين وأبتهل إليك ابتهال الخاضع الذليل وأدعوك دعاء الخائف الضرير سؤال من خضعت له رقبته ورغم لك أنفه وفاضت لك عيناه وذل لك قلبه)، ومما زاد من جميل رحمة الله أنه سبحانه يفرح بعبده المنيب إليه العائد إلى جنان طاعته، عن أبي حمزة عن أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره وقد أضله في أرض فلاة)) (متفق عليه خ 6309).

التوبة كعملية نفسية تتضمن جوانب كثيرة تساعد على إعادة بناء الشخصية منها أن:

(1- التوبة تفتح أمام الإنسان الذي حطمته ذنوبه وآثامه وأصبحت عبئا ثقيلا لا يستطيع تحمله في معترك الحياة تفتح أمامه باب الأمل في تطهير النفس وفي تصفية حسابه مع ربه، إن هذا الأمل يجعله يشعر بالراحة النفسية والنظر إلى الحياة نظرة مختلفة يسودها التفاؤل بعد أن كانت نظرته كلها تشاؤم وخوف ومرارة .

2- تؤدي التوبة بصاحبها إلى احترام ذاته وهذا الاحترام يقوي شعوره بذاته وبعبارة أخرى نستطيع القول أن التوبة تؤدي إلى تأكيد الذات ،وهذا دافع هام في تكوين الشخصية التي تتمتع بقدر كاف من الصحة النفسية .

3- تؤدي التوبة إلى أن يتقبل الفرد ذاته بعد أن كان دوما يعلن الحرب عليها ويحتقرها ويحط من شأنها بسبب الآثام والذنوب التي يرتكبها .

4- تدفع التوبة إلى التحرر من الشعور بالذنب والخوف ، ذلك أن الفرد المذنب يشعر بالتعاسة ويحس بالتوتر الذي يعوق نجاحه في أي مجال من المجالات التي يتحرك فيها نتيجة لخوفه الشديد من الأذى الذي قد يصيبه بسبب الشعور المؤلم بالذنب عما يعتقد انه عمل خاطئ قام به (مصطفى،فهمي 1976ص378).

ومما سبق كله ندرك التأثير النفسي الايجابي الذي تلعبه التوبة قال تعالى: ﴿وتوبوا إلى الله جميعا أيه المؤمنون لعلكم تفلحون ﴾(سورة النور آية 31).

- التفويـــض والاحتســـاب والصحـــة النفسيـــة

إن المعالج النفسي المسلم في علاجه يسعى لتغيير نظرة الفرد إلىالمشاكل والمصائب التي تصيبه فلا يجب النظر إليها نظرة سوداوية بشكل مطلق، فإن لكل شيء جانب إيجابي حتى في الأمراض، وإن كشف هذا الجانب الايجابي يعتبر من أهم خطوات العلاج الإسلامي لأنه يستغل جانباً مهم في الدين الإسلامي هو تفويض الأمر لله واحتساب الأجر في حال الإصابة بمرض أو هم أو فقر.

وألخص أهم تلك الجوانب الايجابية فيما يلي:

1 - التطهر من الذنوب والسيئات: قال صلى الله عليه وسلم: (إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا،وإذا أراد الله بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافيه يوم القيامة) (رواه الترمذي) وقال أيضاً :(ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله حتى يلقى الله وما عليه خطيئة) وقال أيضا: (ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم، حتى الشوكة يشاكها،إلا كفر الله بها من خطاياه) (رواه البخاري) .

2 - استخراج عبودية الضراء (الصبر): فالله عز وجل يبتلي عباده بالسراء والضراء فيستخرج منهم عبودية السراء وهي الشكر وعبودية الضراء وهي الصبر ،فإذا كان العبد قوي الإيمان ظهرت عبوديته واضحة جلية في كل الأحوال كما قال صلى الله عليه وسلم :(عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله خير وليس ذلك لأحد إلا المؤمن ،إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له وان أصابته ضراء صبر فكان خيراً له)(أخرجه مسلم)،والبلاء ليس علامة على هوان العبد فلقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن أشد الناس بلاءاً الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل.

3 - إيقاظ العبد من غفلته : فكم من عبدٍ كان تائهاً شارداً لم يسجد لله سجدةً واحدة ،وإذا به لما مرض تذكر ربه ومولاه فترك الذنوب والمعاصي وأقبل على ربه بالتوبة والاستغفار والندم على عمره الذي مضى وفتح صفحة جديدة كلها طاعة لله عز وجل ، وكما قيل (مصيبة تقبل بها على الله خير لك من نعمة تنسيك ذكر الله).

4 - صحة وطهارة القلوب والأرواح: قال ابن القيم:(وانتفاع القلب والروح بالآلام والأمراض أمر لا يحس به إلا من فيه حياة، فصحة القلوب والأرواح موقوفة على آلام الأبدان ومشاقها) ، وقال أيضا :(لولا محن الدنيا ومصائبها لأصاب العبد من أدواء الكبر والعجب والفرعنة وقسوةِ القلب ما هو سبب هلاكهِ عاجلا و آجلا،فمن رحمة أرحم الراحمين أن يتفقده في الأحيان بأنواع من المصائب تكون حامية له من هذه الأدواء وحفظاً لصحة عبوديته واستفراغاً للمواد الفاسدة الرديئة المهلكةِ منه،فسبحان من يرحم ببلائه ويبتلي بنعمائه).(2005 ص 161)

5 - أن يعلم العبد قدر النعمة : لأن كثيراً من الناس لا يقدرون النعم التي هم فيها من صحة ومال وفراغ إلا بعد أن تذهب عنهم ، فيكون البلاء بذلك داعيا له لتقدير نعم الله واستغلالها في طاعة الله وكما يقال: (الصحة تاج على رؤوس الأصحاء لا يراه إلا المرضى).

وقال أيضا :(إن العبد إذا سبقت له من الله منزلة لم يبلغها بعمله، ابتلاه الله في جسده أو في ماله أو في ولده ،ثم صبّره على ذلك حتى يُبلغهُ المنزلة التي سبقت له من الله تعالى)(صحيح أبي داود 2/597) لذا قال عليه الصلاة والسلام:((من يرد الله به خيراً يُصب منه))(رواه البخاري 5645).

ولكون المرض والبلاء فيه نعمة كان الصالحون يفرحون به كما يفرح الواحد منا بالرخاء ،فقد ذكر النبي صلي الله عليه وسلم ابتلاء الأنبياء والصالحين بالمرض والفقر وغيرهما ثم قال :(وان كان أحدهم ليفرح بالبلاء كما يفرح أحدكم بالرخاء) (الصحيحة 144)، وقال بعضهم (إرضى عن الله في جميع ما يفعله بك ، فإنه ما منعك إلا ليعطيك ،ولا ابتلاك إلا ليعافيك ،ولا أمرضك إلا ليشفيك ولا أماتك إلا ليحييك ، فإياك أن تفارق الرضا عنه طرفة عين فتسقط من عينه)(الجوزية،ابن القيم 2003،ص216)، ((دخل أعرابي على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم :((هل أخذتك أم ملدم قط ؟ قال: وما أم ملدم ؟ قال:(حر يكون بين الجلد واللحم) قال: ما وجدت هذا قط ، قال: (فهل أخذك هذا الصداع قط؟)قال: وما الصداع ؟ قال:(عرق يضرب على الإنسان في رأسه) قال:ما وجدت هذا قط ،فلما ولى قال:(من أحب أن ينظر إلى رجل من أهل النار فلينظر إلى هذا)) (رواه أحمد والنسائي)، لذا قال بعض الحكماء (رب محسودٍ على رخاء هو شقاؤه ،ومرحوم من سقم هو شفاؤه ، ومغبوطٍ بنعمة هي بلاؤه).

8 – البلاء علامة على محبة الله : ومن أسباب الصبر على المرض أن يعلم أن البلاء علامة على محبة الله إذا كان صابراً محتسباً فلقد قال عليه الصلاة والسلام :((إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وان الله إذا أحب قوما إبتلاهم فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط))(صحيح الجامع 2110).

9 – قد يكون الخير كله في هذا المرض: قال تعالى:﴿وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم ﴾ (سورة البقرة آية 216)،قال ابن القيم :(في هذه الآية عدة حكم وأسرار ومصالح للعبد، فان العبد إذا علم أن المكروه قد يأتي بالمحبوب والمحبوب قد يأتي بالمكروه لم يأمن أن توافيه المضرة من جانب المسرة ولم ييأس أن تأتيه المسرة من جانب المضرة لعدم علمه بالعواقب ،فان الله يعلم منها ما لا يعلمه العبد) (1999 ص200).

- الصبـــــر والصحـــــة النفسيـــــة

(أصل كلمة (الصبر) هو المنع والحبس ، فالصبر حبس النفس عن الجزع واللسان عن التشكي والتسخط ،والجوارح عن لطم الخدود وشق الثياب ونحوهما ، وأما حقيقته فهو خلقٌ فاضل من أخلاق النفس يمتنع به عن فعل ما لا يحسن ولا يحمد وهو قوة من قوى النفس التي بها صلاح شأنها وقوام أمرها)(الجوزية،2005ص17)، إن المسلم قوي الإيمان لا يجزع عندما تلم به المصائب ولا ينهار، فهو صابر على أقدار الله غير متسخطٍ ولا متجهم لأنه يعلم أن ما من مصيبة ألمت به هي ابتلاء من الله يقول تعالى:﴿ ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا أخباركم ﴾(سورة محمد آية 31)، والصبر يمنح الإنسان قوة الإرادة والصلابة للاحتمال والمثابرة على العمل والثبات أمام الصعاب والإصرار على تحقيق الآمال والأهداف،وهو بذلك يحقق أهم صفة تعينه على أن يكون بها من الناجحين في الحياة والناجين في الآخرة.

ويُعمق محمد عبد الفتاح المهدي (1990) فهمنا للصبر فيقول أنه :(مفهوم إسلامي لا يعرفه علم النفس الغربي الذي لم يعرف غير الكبت ،والصبر يختلف كثيراً عن الكبت)(ص 119) ،فالكبت هو عملية لا شعورية تدفع بالذكريات المؤلمة والرغبات الغريزية المرفوضة إلى

غياهب اللاشعور محملة بطاقة تظل تقلق الإنسان في محاولتها للخروج إلى مستوى الشعور ومحاولة الجهاز النفسي كتمانها ،وأما الموقف في التصور الإسلامي فهو جد مختلف حيث أن المؤمن بتصوراته الصحيحة ونظام عباداته ومعاملاته وأخلاقه يتناول معظم الأفكار والمشاعر والمؤثرات بادراك واع منطقي واقعي وما لا يقدر عليه لا يكبته كارها بل يصبر عليه، فهو يعرف أن له الثواب على هذا الصبر يفوق لذة تحقيق رغباته ولقد أوصانا الله تعالى في كثير من الآيات القرآنية بالصبر قال تعالى:﴿ واستعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين ﴾(سورة البقرة آية45) وقوله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين ﴾(سورة البقرة آية153)،وقوله:﴿ولأن صبرتم لهو خير للصابرين واصبر وما صبرك إلا بالله ﴾(سورة النحل آية 126-127) ،وفي قوله صلى الله عليه وسلم:((عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير وليس ذلك لأحد إلا المؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له وان أصابته ضراء صبر فكان خيراً له))(رواه مسلم 2999) ، وأكثر أسقام البدن والقلب إنما تنشأ من عدم الصبر فما حُفظت صحة القلوب والأبدان والأرواح بمثل الصبر، فهو الترياق الشافي والبلسم المعافي، (وبهذا المعنى يكون الصبر بما يأمر به العقل وما تهدف إليه الحكمة ،وهذه نظرة عميقة لمفهوم الصبر غير النظرة الساذجة التي يراها أصحاب التحليل النفسي الحديث من أن الصبر نوع من الكبت وأن جوهر الكبت يكمن في تجنب ما هو مؤلم وأن مصدره صراع بين رغبات وأهواء متضاربة تؤدي إلى الكبت،كما أنه لا يتحمل شيئاً لأنه كالوتر المشدود مرتاباً قلقاً خائفاً يحي في الهم والغم)(نفس المؤلف،1990 ص120).

ونفس الكابت نفسٌ مضطربة تخاف دائما أن تقع في قلب الفضيحة، لذا فإنها من النزاعات والصراعات تكون دائمة الهروب فراراً من الوعي إلى اللاوعي على عكس المؤمن الصابر فهو واعي لما يفعل مُدركاً لماذا يصبر ،فهو إذن قويٌ بالله صابراً ليس بمستذلٍ ولا كابتٍ، إنما متوكلاً على الله راضياً بما يأتيه من خير أو شر

مما سبق ندرك أن الصبر من المؤشرات الهامة للصحة النفسية لأنه به يمتلك الفرد القدرة على تحمل مشاق الحياة فلا يضعف أمامها ولا ينهار ولا يتملكه اليأس﴿ ولئن صبرتم لهو خيرٌ للصابرين﴾(سورة النحل آية 126).

- التأســـي بالأنبيـــاء والصالحيـــن والصحـة النفسيـــة

قال تعالى:﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الأخر﴾(سورة الأحزاب الآية21) ،ولقد وصفت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها النبي عليه الصلاة والسلام:((كان خلقه القرآن))(رواه مسلم)، وكان قرآناً يمشي وكذلك كان خلقٌ الأنبياء والمرسلين ، فالمسلم يؤمن بأن الله اصطفى من الناس رسلا وأوحى إليهم شرعه وعهد إليهم بإبلاغه ، ابتدأهم بنبيه نوح وختمهم بمحمد عليهما الصلاة والسلام ،وهذا الإيمان يجعل المسلم يطلعُ على سيرهم وقصصهم فيأخذ منهم العبرة والأخلاق والسير ، فيأخذ من أيوب عليه السلام الصبر،ومن يوسف عليه السلام الثبات أما الفتن، ومن داوود حرصه على الأكل من كسب يده، ومن يونس تسبيحه لربه وغيرهم من أنبياء الله الصالحين فكلهم يختص بخلقٍ أو سجية ، وإيمان المسلم بالرسل يكون أولاً بإيمانه برسالة محمد خاتم النبيين وبسنته التي يُستدلُ بها على الطريق المستقيم ، وإننا نجد في السيرة النبوية القولية منها والعملية ما يدلنا على كيفية مواجهة الحالات النفسية من خوفٍ وحزنٍ وقلق لذلك يمكن أن نقول أن إتباع السنة النبوية تحقق الصحة النفسية ، وعليه فإن تحقيق التوازن النفسي لدى الفرد يقتضي الإقتداء بشخصية الرسول عليه الصلاة والسلام ،(وإذا كان التقمص عملية يسعى فيها الفرد إلى أن يتوحد مع شخصية أخرى وينتحل صفاتها فهو يفعل ذلك لتخفيض الشعور بالتوتر النفسي ،وهو بالنسبة للمؤمن عملية شعورية واعية يقصد من ورائها إتباع الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم كشرط من شروط الإيمان ولإشباع خاصية نفسية لحب محمد صلى الله عليه وسلم)(العيسوي عبد الرحمان،1984 ص 83).

فكلما كان الفرد محباً له كان ذلك أدعى للإقتداء به و إقتفاء أثره وسيرته وجوانب شخصيته عليه الصلاة والسلام، (ولقد كانت السنة النبوية شارحة ومفصلة للقرآن الكريم وكان النبي صلى الله عليه وسلم يترجم معطيات القرآن الكريم وتوجيهاته في شخصه حالاً وأقوالاً وأفعالاً يحدد مقاييس الحق والباطل ومعايير السوء والشذوذ بوحي من الله وبذلك تجلت بكل وضوح صورة العبادة وأهدافها في ذهن المؤمن مدركاً من خلاله أصله وحقيقته ومصيره) (عزيزة عنو 2005 ص106).

لذا فإن من ثمرات الإيمان بالرسول الكريم أن المسلم يتخذه نموذجاً مثالياً حياً للإنسان المتوازن الذي يتمتع بالصحة القلبية والنفسية في أعلى درجات الكمال الإنساني، عكس غير المسلمين الذين ليس لهم نموذج إنساني مثالي متفق عليه الذي سينعكس في أن تختلف عندهم معايير السواء والشذوذ وهذا ما نراه جلياً في المجتمعات الغربية وتصور علماءها النفسانيين لمفهوم السواء النفسي .

ب- العـلاج النفســي الإسلامـــي بالعبـــادات

(إن أوامر المحبوب (الله) قرة العيون وسرور القلوب ونعيم الأرواح ولذات النفوس وبها كمال النعيم، فقرة عين المحب في الصلاة والحج وفرحه وسروره في ذلك وفي الصيام والذكر والتلاوة أما الصدقة فعجبٌ من العجب وأما الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله والصبر على أعداء الله سبحانه وتعالى فلذة بذلك أمر آخر لا يناله الوصف ولا يدركه من ليس له نصيب منه وكل من كان به أقوى كان نصيبهُ من الالتذاذ به أعظم)(الجوزية،ابن القيم،2005، ص74).

إن التقرب بالعبادات إلى الله يبعث في الإنسان قوة روحية عظيمة والشعور بالسعادة والأمن النفسي فهو يعلم أنه بذلك في رعاية الله تعالى وحمايته وأن الله يمده بعونه وتأييده فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال مُحدثا عن ربه :((قال تعالى:من عادى لي ولياً فقد آذنته بحرب ،وما تقرب لي عبدي بشيء أحب إلي من أداء ما افترضته عليه ،وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ،وأن سألني لأعطينه وإن استعاذني لأعيذنه))

- الصـــــلاة والصحـــــة النفسيـــــة

(الصلاة عمود الإسلام قد فرضها الله عز وجل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم في أعلى مكان وصل إليه البشر وفي أفضل ليلة لنبيه وبدون واسطة أحد ،وهذا يدل على أهميتها ومحبة الله لها وأنها جديرة بأن يصرف الإنسان شيئاً كثيراً من وقته فيها ولهذا دل على فرضيتها :الكتاب والسنة وإجماع المسلمين)(العثيمين،محمد،بدون تاريخ نشر،ص 109).

الصلاة حقيقة أفضل الوسائل لتهذيب النفوس وتجديد طاقة الأرواح وتزكية الأخلاق ،وهي للمصلي ملجأ وأمان وبلسم للجراح وقوة الضعيف وسلاح الأعزل يستعين بها على نوائب الدهر وقهر الرجال وظلم الظالمين قال الله تعالى:﴿ يأيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الظالمين ﴾ (سورة البقرة آية 45) .

وكان النبي عليها الصلاة والسلام إذا حزّ به أمر فزع إلى الصلاة وكان ينادي بها ويقول : ((أرحنا بها يا بلال)) وقال:((جعلت قرة عيني في الصلاة))، (الصلاة صلةٌ بين العبد وخالقه فهي حافظة للصحة، دافعة للأذى ،مُطردةٌ للأدواء، مُقويةٌ للقلب، مُفرحةٌ للنفس، مُذهبة للكسل، مُنشطة للجوارح،مُمدة للقوى، شارحة للصدر، مُغذية للروح، مُنورة للقلب، حافظة للنعم دافعة للنقم، مُبعدة من الشيطان، مُقربةٌ للرحمن، وبالجملة منها تأثير عجيب في حفظ صحة البدن والقلب ودفع المواد الرديئة عنها وما أبتلى رجُلان بعاهةٍ أو داءٍ أو محنةٍ أو بلية إلا وكان حظ المُصلي منها أقل وعاقبتهُ أسلم،تفتح عليه من الخيرات أبوابها وتقطع عنه من الشرور أسبابها وتفيض عليه مواد التوفيق من ربه عز شأنه العافية والصحة والراحة والنعيم والأفراح والمسرات)(الجوزية،ابن القيم،2006،ص 32).

وليقوم المسلم بالصلاة عليه أن يتطهر بالوضوء وهذا الأخير له (تأثير فسيولوجي إذ أنه يساعد على استرخاء العضلات وتخفيف حدة التوتر البدني والنفسي ولذلك أوصى النبي عليه الصلاة والسلام بالوضوء إذ غضب الإنسان فقال: ((إن الغضب من الشيطان و الشيطان خلق من النار وإنما تُطفأ النار بالماء فإذا غضب أحدكم فليتوضأ)).) (الراضي،أسامة،1993، ص 69).

والصلاة مطهرةٌ للنفس وزكاةٌ لها من صفاتها المذمومة، وخاصة تلك التي غلبت على الذين يعيشون حياة مادية وصارت الدنيا أكبر همهم ومبلغ علمهم وأهملوا تغذية أرواحهم قال تعالى:﴿ إن الإنسان خُلق هلوعا إذا مسه الشر جزوعا وإذا مسه الخير منوعا إلا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم ﴾ (سورة المعارج آية 19-25)

والصلاة وقاية من الانحرافات والرذائل قال تعالى:﴿ وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ﴾(سورة العنكبوت آية 45) ،والصلوات بمثابة محطاتِ شحن بالطاقة الروحية أو جرعات طب النفوس من لدن حكيم خبير ،يَلزُم تناولها في وقتها لحماية النفس من الفتن، حيث أن المصلي كما يقول عفيف طبارة (1983):(إن لم تتصل روحه بمبدعها ظهرت عليه عوارض القلق و الاكتئاب بسبب ما علقته من مصائب وخيبة أمل فيحاول التغلب على ما يعانيه من قلق بتعاطي المخدرات وشرب الخمر،بينما الصلاة تتيح للمرء أن يسأل بارئه كل ما يريد، الأمر الذي يُنفس عن مشاعره)(ص28)،ونقل أيضا طبارة خلاصة بحث أجراه "هنري لانكH.lanek "حول أهمية الصلاة وفائدتها على شخصية الإنسان فقال:(إن كل من يعتنق ديناً أو يتردد على دار عبادة يتمتع بشخصية أقوى وأفضل مما لا دين له ولا يزاول أية عبادة)(ص 29)،(ولقد ثبُت علمياً أن الصلاة بحركاتها للجسم والضغط على الجبهة تزيد من حافزية استعارة خلايا الدماغ لتزداد إفرازاتها الأمينية، تلك الإفرازات التي تساعد على الانشراح والانبساط النفسي إثر التفاعلات الخلوية الدماغية)(القبانجي 2003ص09) ، وأهم العناصر التي يراها الباحث تساهم في تحقيق الصحة النفسية في الصلاة هي :

أ- تحقيق التزام الوجهة الواحدة بتوجيه الإنسان ذهنه وقلبه إلى واحدٍ هو الله لا شريك له فتسلم نفسه من الصراعات والمتناقضات وتعدد وجهات الإرضاء، وكذلك من خلال قبلةٍ واحدة للصلاة يشترك فيها كل المسلمين .

ب- الخشوع والذي يُعتبر إنقطاعٌ شعوري مؤقت عن الدنيا ومشاغلها إلى التسامي بحالة روحية نفسية عالية وصافية يتدبر فيها آيات القرآن بما فيها التوحيد والوعد والوعيد والأحكام والأخبار والقصص والآداب والأخلاق، كذلك لما فيه من الدعاء ومناجاة رب العالمين.

ج-الاسترخاء والذي تُصبغه الصلاة على المقيم لها والتي لها أثرٌ علاجي هام كما يقول "توماس هايسلب H.Tomas":(وان أهم مقومات النوم التي عرفتها في خلال سنين طويلة قضيتها في الخبرة والتجارب هو الصلاة أهم أداة عُرفت حتى الآن لبث الطمأنينة في النفوس وبث الهدوء في الأعصاب) (نقلا عن الخراشي،ناهد،1999ص 127)،وقد بلغ من فائدة وأهمية "الاسترخاء relaxation" أن جعله علماء النفس المعاصرين من أهم تقنيات العلاج النفسي لبث الطمأنينة وإزالة القلق ،وكان حظ المسلم منها سباقاً بخمس مرات في اليوم من خلال صلواته الخمس .

د- وفيما يخص مواقيت الصلاة، يقول جمال أبو العزائم (1985)(أن المسلم يؤدي صلاة الفجر،وقد اتضح من دراسة نشاط المخ بواسطة جهاز رسم المخ الكهربائي أن كمية النوم الحالم تزيد في الجزء الآخر من الليل، وأن هناك علاقة بين زيادة كمية النوم الحالم و الاكتئاب،وهناك وسيلة لعلاج الاكتئاب بإيقاظ المريض في فترة النوم الحالم ، إذن فالمسلم حين يصحوا في ذلك الوقت فإنه يتفادى التعرض لكثرة النوم، ولذلك يلاحظ أن من يقومون لصلاة الفجر أنهم يظلون طوال يومهم نشيطين مستبشرين)، أما فيما يخص التوقيت الزمني لأداء الصلوات فإن لله حكما في ذلك منها أننا(نجد أن الوقت الفاصل بين الفجر وصلاة الظهر 07 ساعات وهذه أطول فترة لأنها تأتي بعد راحة النوم في الليل ثم تأتي صلاة الظهر لتريح الشخص من عناء العمل والإرهاق النفسي والجسمي ثم تأتي صلاة العصر بعد نصف الفترة السابقة حيث إن الإنسان يكون مرهقاً أكثر فيحتاج إلى راحةٍ أقرب ثم تأتي صلاة المغرب بعد فترة أقصر من سابقتها وتأتي صلاة العشاء بعد فترة أقصر وأقصر،وهكذا نجد أن مواعيد الصلاة تمشي مع احتياج الإنسان للراحة النفسية والجسمية طوال اليوم)،(وقد ثبت أيضاً أن كمية الأدرينالين تزداد في وقت صلاة العصر بالذات ولقد أكد الإسلام على أهمية صلاة الوسطى)(نقلا عن المهدي،محمد 1990ص103) .

و- في المسجد تسوى الصفوف فتتلاشى الفوارق الاجتماعية وتتربى في النفوس الشعور بالوحدة العامة بين المسلمين حتى في أنحاء العالم، حيث يتجه المسلمون في صلاتهم إلى مكانٍ واحد وإلى ربٍ واحد، لذا فهو يقضي على الإحساسات النفسية المرضية من شعور بالوحدة أو العزلة وعدم الانتماء وعدم تقبل الغير، وإن ارتياد المسلم للمسجد يجعله يكتسب صداقاتٍ ويُنشأ علاقاتٍ اجتماعية متماسكة ليست مبنية على أمورٍ مادية هشة ، وكذلك يكسبه ما يسمى بالمهارات الاجتماعية .

ولصلاة الجُمعة دوراً وقائياً ودوراً علاجياً، فالدور الوقائي هو ما يستمده المصلي من معلوماتٍ دينية وإرشاداتٍ عملية توجه حياته توجيهاً سليماً ،أما الدور العلاجي فيرجع إلى التأثير الذي تحدثه الصلوات الخمس اليومية وخطب الجمعة والأعياد فيما يشبه العلاج النفسي الجماعي التعليمي.

هـ - الشفاء من عقدة الذنب،(أن الذنب أو الإثم والإحساس به من طرف الفرد يؤدي إلى تكوين العُصاب وأن الأعراض النفسية ومظاهر سوء التوافق هي أمراض الضمير أو هي حيل هروبية من تأنيب الضمير ،وهكذا فان الذنوب التي يرتكبها الإنسان تتحول إلى عقدة نفسية تتركه عرضة للقلق والتوتر، ولا يمكن التخلص من هذه العقدة إلا باللجوء إلى العبادة مثل الصلاة)(عبد العزيز،حدار،1995ص 98)،وكما جاء في الحديث الشريف:((أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شيء ،قالوا: لا يبقى من درنه شيء قال: فذلك مثل الصلوات الخمس يمحوا الله بهن الخطايا))(متفق عليه)، وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:((الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة كفارة لما بينهن ما لم تغش

الكبائر)) ، مما سبق نُدرك أن الصلاة بحق أعظم علاج رباني للنفس وهي مُجمعٌ لأنواع العلاجات النفسية المختلفة ،وفوق ذاك أنها وقاية قبل أن تكون علاج.

2- الصدقـــة والصحـــة النفسيـــة

قال تعالى:﴿ وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه ﴾(سورة سبأ آية 39) ،وقال تعالى: ﴿وما تنفقوا من خير فلنفسكم وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله وما تنفقوا من خير يُوف إليكم وأنتم لا تظلمون ﴾ (البقرة آية 27)، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:((قال الله تعالى: أنفق يا ابن آدم يُنفق عليك))(رواه البخاري ومسلم).

(الصدقة بذلٌ وعطاء تدل على الجود والسخاء فكم تدخل السرور إلى قلب آخذها وكم تُولد في نفسه محبة لباذلها؟ ولا يخلوا أن ينطلق من قلبه دعاء له، والدعاء بحق لا يرد، وفي هذا المعنى قوله عليه الصلاة والسلام :((حصنوا أموالكم بالزكاة وداووا مرضاكم بالصدقة واستقبلوا أماج البلاء بالدعاء والتضرع)(الراضي،أسامة، 1993ص7).

ويُلخص المهدي،محمد عبد الفتاح (1990) التأثيرات النفسية للتصدق فيما يلي:يشعر الفرد بعدم الملكية المطلقة للمال وإنما المال مال الله وهذا ما قد يخفف من تعلق الإنسان بالمال وما تبعه من قلق على تحصيليه وخوفاً عليه حتى يحصل وحجزه عن النفع العام وعن الفقراء ،تخفيف حدة الصراع داخل النفس وداخل المجتمع ،فحين يتعلق الإنسان بالمال ويحبسه عن الناس يعيش حالة من القلق والتوجس خشية انقضاض الناس على ماله أو سلبه أو نهبه أما حين ينفق منه ويفيد به مجتمعه فإن الصراع الداخلي الناتج عن الخوف والحرص يخفت (ص 108بتصرف).

والصدقة تدريب على عاداتٍ سلوكية ايجابية ومع تكرارية التدريب تصبح هذه العادات جزءاً لا يتجزأ من سلوك الإنسان وهو الذي يتصف بجملة من المفاهيم والصفات أهمها :

1-قيمة المال ليست قيمة مادية نهائية متناهية وإنما قيمته فيما يؤديه من وظائف وأعمال دنيوية ودينية فالصدقة طهارة للمال .

2- قيمة التكامل الاجتماعي من أفراد المجتمع غنيهم و فقيرهم في مقابل القيمة السلبية للفردية على إطلاقها .

3 - قيمة الإيثار في مقابل قيمة الأثرة.

4- التعود على الأخذ والعطاء في حركة ديناميكية ايجابية تمتد لتشمل كل إمكانات الحياة وليس المال فقط .

5- الإنفاق في السر خير من العلن ،وذلك ليربي في النفس الدافع الداخلي للخير فهو يربي المشاعر النبيلة بعيداً عن الرياء والقيم النفعية ،وإخراج الصدقة يُطفأ غضب الرب، ضف إلى ذلك أن التصدق يُحسّن الأخلاق قال الله تعالى:﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلواتك سكن لهم والله سميع عليم ﴾ (سورة التوبة آية 102-103)، وقال السعدي في تفسيره للآية:(أي تطهرهم من الذنوب والأخلاق الرذيلة وتزكيهم أي تنميهم وتزيد في أخلاقهم الحسنة وأعمالهم الصالحة وتزيد في ثوابهم الدنيوي والأخروي وتنمي أموالهم) (2003،ص 328).

جـ- العـــــلاج النفســـــي بالذكـــــر

يقول الله تعالى:﴿ الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾(سورة الرعد، آية 28)،ويقول أيضا:﴿ فاصبر على ما يقولون وسبّح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها،ومن أناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى﴾(سورة طه ،آية130)،ويقول عليه الصلاة والسلام :(ذكر الله شفاء القلوب)(رواه الترمذي) .

إن ذكر الله من تسبيح وتكبير واستغفار ودعاءٍ وتلاوةٍ تؤدي إلى تزكية نفس الذاكر وصفائها بالأمن والطمأنينة ،وهو بلا شك علاجٌ للقلق الذي يعتري الإنسان حينما يشعر أنه ضعيفٌ عاجز أمام ضغوط الحياة وأخطارها، أما المُعرض عن ذكر الله﴿ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى﴾،(سورة طه ،آية 124)،يقول الحسن الشرقاوي (1976) عن أثر ذكر الله في العلاج النفسي: (من أفضل طرق العلاج النفسي الإسلامي" الذكر" لأنه يصقل القلوب إذ أنه يـبدل الخوف أمناً والعداوة محبة،ويحول القلق والجزع والاضطراب إلى سكينة،والرعب إلى طمأنينة،ويغلب بالذكر على الذاكر روحانيته على تُرابيتِه ،فيعرف أن الريبة هواجس شيطانية والتوتر وساوس،فإذا أخلص الإنسان في عبوديته وأطاع ربه وافتقر إلى ربه تعالى رفع عنه الهم والحزن وبذا يكون الذاكر أبدا مع الله)(نقلا عن المهدي،محمد، 1990،ص116), قال عليه الصلاة والسلام أن الله تعالى قال:((أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني،فإذا ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي،وإن ذكرني في ملأٍ ذكرته في ملأ خير منه،وإن تقرب إلي شبراً تقربت منه ذراعاً،وإن تقرب إلي ذراعاً تقربت منه باعاً وإن أتاني يمشي أتيته هرولة))(أخرجه الشيخان والترمذي) ،وعنه أيضاً صلى الله عليه وسلم:((أن الله تعالى يقول:أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت شفتاه بي)(رواه أبو هريرة).

1- تـــــلاوة القـــــرآن والصحـــــة النفسيـــــة

قال الله تعالى : ﴿ وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ﴾(سورة الإسراء آية 82) وقد قال المفسرون إن "شفاء" هنا تعني شفاء من الأمراض في الدنيا، ورحمة تعني رحمة من الله يوم القيامة، و(من) هنا لبيان الجنس لا للتبعيض وقال الله تعالى:﴿ يأيها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور ﴾(سورة يونس آية 57) والآية الأخيرة هذه ركزت أكثر على شفاء أمراض القلوب والنفوس، يقول ابن القيم:(فالقرآن هو الشفاء التام من جميع الأدواء القلبية والبدنية وأدواء الدنيا والآخرة وما كل أحد يُؤهل ولا يُوفق للاستشفاء به وإذا أحسن العليل التداوي به ووضعه على دائه بصدق وإيمان وقبولٍ تام واعتقادٍ جازم واستيفاء شروطه لم يقاومه الداء أبداً، وكيف تقاوم الأدواء كلام رب السماوات والأرض الذي لو نزل على الجبال لصدعها أو على الأرض لقطعها)(2006 ص 352)، وعن أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:((كتاب الله فيه نبأ من قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله،ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله وهو الحبل المتين والنور المبين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم هو الذي لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة ولا يشبع منه العلماء ولا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه،هو الذي لم تنتهي الجن إذ سمعته حتى قالوا إنا سمعنا قرآناً عجباً يهدي إلى الرشد، من علم به عِلمه سبق، ومن قال به صدق ومن عمل به اجر،ومن حكم به عدل،ومن دعا إليه هُدى إلى الصراط المستقيم))، وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:((وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه فيما بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده))(أخرجه مسلم99-26).

(وقد أُحدثت في (بنما سيتي) بولاية فلوريدا تجارب من طرف مؤسسة العلوم الطبية الإسلامية الهدف منها الكشف عن القوة الشفائية للقرآن الكريم وقد أُستخدمت أجهزة الكترونية مُزودة بالكمبيوتر لدراسة ما إذا كان للقرآن أي أثر على وظائف أعضاء الجسم البشري وليقاس هذا الأثر إن وجد،وقد توصلوا وتأكدوا أن للقرآن الكريم القدرة على تخفيف درجة توتر الجهاز العصبي) (عزيزة عنو 2005 ص 70).

ولقد شبه النبي عليه الصلاة والسلام الذي يقرأ القرآن والذي لا يقرأ القرآن مثل الحي والميت،وإن المؤمنين أثناء تلاوتهم لكتاب الله وتدبره تنتاب قلوبهم انتعاشة وجدانية وقشعريرة ثم تلين جلودهم وقلوبهم لذكر الله ، إنه حال قلب المؤمن عندما يذكر ربه ويقرأ كتابه فينتهي إلى ترك المعاصي وإلى فعل الأوامر مخافة وتقوى لله فتستريح النفس وتشفى من أمراضها .

ومن التأثير العلاجي للقرآن استعماله فيما يسمى بالرُقية ،والرُقية هي"العوذة" التي يرقي بها صاحب الآفة أو المرض، من ذاك قراءة "القلاقل الثلاث":﴿قل هو الله أحد..﴾،﴿قل أعوذ برب الفلق..﴾،﴿قل أعوذ برب الناس ..﴾، عن عائشة رضي الله عنها:((أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات وينفث،فلما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه ،وأمسح بيده رجاء بركتها))(متفق عليه)،وكذلك قراءة سورة الفاتحة فلقد ثبت في الصحيحين أن صحابيا رقى رجلا بها فشُفي بإذن الله .

2- الدعـــــاء والصحـــــة النفسيـــــة

قال الله تعالى:﴿ وقال ربكم ادعوني أستجيب لكم ﴾(سورة غافر آية 60) ،وقال أيضا:﴿ وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعاني﴾(سورة البقرة آية 18) ، وعن نعمان بن بشير رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :((الدعاء هو العبادة))(رواه أبو داود 1479)، لذلك فإن المسلم يجد في الدعاء راحة النفس وشفاء لها، والداعي يؤمن باستجابة الله له وأنه قريب مجيب الدعوات ويجب الملحين في الدعاء،قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((إن ربكم تبارك وتعالى يستحي من عبده إذا رفع يديه أن يردهما صفرا))(أخرجه أبو داود عن سليمان).

الإنسان في دعائه إلى الله يعترف بذنوبه وخطاياه وهي خطوة مهمة في العلاج الديني لأنه يخفف من الشعور بالذنب قال الله تعالى:﴿ ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما ﴾(سورة النساء آية 110)، وإن تذكر المؤمن لذنوبه واعترافه بها واستغفاره الله سبحانه وتعالى عن ارتكابه لها وتوبته إليه إنما يعمل على وقاية نفسه من كبت الإحساس بالذنب الذي هو أساس كثير من الاضطرابات النفسية ، (وفي الدعاء يقوم الإنسان بمناجاة ربه ويبث إليه ما يشكوه وما يعانيه في حياته من مشكلات تزعجه وتقلقه وهو في هذه الحالة من الاسترخاء والهدوء النفسي يؤدي به أيضا إلى التخلص من القلق وهو تكوين ارتباطي شرطي جديد بين هذه المشكلات وحالة الاسترخاء والهدوء النفسي فتفقد هذه المشكلات قدرتها على إثارة القلق تدريجيا وترتبط ارتباطا شرطيا بحالة الاسترخاء والهدوء النفسي وهي حالة معارضة للقلق)(المهدي،محمد، 1990،ص 118)، وانه لمن المعروف في علم النفس أن مجرد إفضاء المريض بمشكلاته إلى المختص النفساني يؤدي به هذا إلى الشعور بالراحة ،علما أنه مُجردُ بشر مثله لا حول له ولا قوة، وأغلب لقاءه به هو لقاء أسبوعي فما بالك بمقدار التحسن لو أفضى الإنسان بمشكلاته إلى الله العلي الكبير القادر على كل شيء وتوقيتُ دعاء الله يكون في أي لحظة يريدها فمجرد ما يرفع العبد يديه ويقول:(يا أله..) إلا ويجد الله قريب مجيب الدعاء، ضف إلى أن إيمانه بقدرته على تفريج همه قوي بقدر ما يستحق رب السماوات والأرض لذلك كله كان لدعاء الله تأثير عجيب في طب النفوس، وهذا ما يحسه خاصة من ألمت به مصيبة أو هم أو كانت له حاجة أو أنه ظلم، لأنه يعلم أن هناك ربا عادلا يقتص للعباد سميع الدعاء رءوف رحيم يقول للشيء كن فيكون .

ولقد أثر عن النبي صلى الله عليه وسلم أدعية تُخفف وتُزيل القلق والحزن،من ذاك قوله:((ما أصاب أحد قط هم ولا حزن فقال:اللهم إني عبدك ابن عبدك ابن أمتك ناصيتي بيدك ماض في حكمك عدل في قضاؤك أسالك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي))(رواه الإمام أحمد1/391) ،وأثر عنه أيضا قوله عند الكرب:((لا إله إلا الله العظيم الحليم،لا إله إلا الله رب العرش العظيم،لا إله إلا الله رب السماوات ورب الأرض ورب العرش الكريم))(البخاري 154/7)، وعن أبي سعيد الخذري قال:((دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فإذا هو برجل من الأنصار يقال له أبو أمامه فقال: يا أبا أمامه مالي أراك جالسا في المسجد في غير وقت صلاة ؟ قال:همومٌ لازمتني وديون يا رسول الله ، قال عليه الصلاة والسلام :(أفلا أعلمك كلاما إذا قلته أذهب الله همك وقضى عنك دينك ؟ ،قال: بلى يا رسول الله قال:(قل: إذا أصبحت وأمسيت اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن والعجز والكسل والبخل والجبن وضلع الدين وغلبة الرجال))(رواه البخاري 158/7).

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يعالج نفسه بالدعاء والقرآن وينفث في يديه ويُمررهما على جسمه،وكذلك كان يعالج الحسن والحسين رضي الله عنهما وكذلك فِعل الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، ففي الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعوذ بعض أهله يمسح بيده اليمنى ويقول: ((اللهم رب الناس أذهب البأس وأشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاءك شفاء لا يغادر سقما))،ومما ورد في صحيح مسلم كذلك عن أبي سعيد الخذري أن جبريل عليه السلام أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال:((يا محمد اشتكيت ؟ فقال: نعم، فقال جبريل عليه السلام: بسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك من شر كل نفس أو عين حاسد الله يشفيك،بسم الله أرقيك)) .

قال ابن القيم الجوزية: (واعلم أن الأدوية الإلهية تنفع من الداء بعد حصوله وتمنع من وقوعه،وان وقع لم يقع وقوعا مضرا وان كان مؤذيا، والأدوية الطبيعية إنما تنفع بعد حصول الداء، فالتعوذات والأذكار إما أن تمنع وقوع هذه الأسباب وإما أن تحول بينها وبين كمال تأثيرها بحسب كمال التعوذ وقوته وضعفه فالرقى والعوذ تستعمل لحفظ الصحة ولإزالة المرض)(1998،ص182) وفي صحيح مسلم عن عثمان ابن أبى العاص رضي الله عنه أنه شكا إلى رسول الله صلى الله عليه الصلاة والسلام وجعا يجده في جسده منذ أسلم، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم:((ضع يدك على الذي تألم من جسدك وقل: بسم الله ثلاثا ثم قل: أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر)) وفي رواية قال عثمان:(فقلت ذلك،فأذهب الله ما كان بي فلم أزل آمر به أهلي وغيرهم)

3- الاستغفـــــار والصحـــــة النفسيـــــة

قال الله تعالى:﴿واستغفر لذنبك﴾(سورة محمد آية 19)،وقال تعالى:﴿ واستغفر الله إن الله كان غفوراً رحيماً﴾(سورة النساء آية 106)،وقال:﴿ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً﴾ (سورة النساء آية 110)، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :((من قال: أستغفر الله الذي لا اله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه، غفرت ذنوبه وان كان قد فر من الزحف)) (رواه أبوداود 1517)، وفي حديث أبى هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يحكيه عن ربه عز و جل قال: ((أذنب عبدٌ ذنباً، فقال: اللهم اغفر لي ذنبي، فقال تبارك و تعالى:أذنب عبدي ذنباً فعلِم أن له ربا يغفر الذنب و يأخذ بالذنب، ثم عاد فأذنب، فقال :أي ربي اغفر لي ذنبي، فذكر مثله مرتين و في آخره اعمل ما شئت فقد غفرت لك))(أخرجه مسلم).

من خلال ما سبق يتبين لنا فائدة الاعتراف بالذنب و الاستغفار منه قال صلى الله عليه وسلم:((إن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب إلى الله تاب الله عليه))(أخرجاه في الصحيحين)، وان الإنسان لا محالة واقعٌ في الخطأ والإثم،لذا فمن رحمة الله أن جعل لنا سعة رحمته و غفرانه لئلا نهلك هماً وأسا من ذنوبٍ إقترفناها, قال عليه الصلاة و السلام:((والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا،لذهب الله بكم وجاء بقوم يذنبون و يستغفرون إليه,فيغفر لهم))(الصحيحة 1950).

فالاستغفار أمان للإنسان يحفظه كما قال عز وجل:﴿ وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون ﴾ (سورة الأنفال آية 33)،و إن استغفار العبد المنيب إلى الله هو بمثابة تجديدٍ لطاقة النفس من براثن الذنوب وثقل تراكمها على النفس ,لذا فهي حياة للقلب وحماية له من أن يصيبه "الران" والقسوة اللذان يصيبان قلوب غير المستغفرين.

إن مما يضيف تأثيراً ايجابياً للاستغفار علمُ العبد أن من ثمرات استغفاره المتاع الحسن و الرزق الطيب,كما قال عز و جل ﴿وان استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يمتعكم متاعاً حسناً إلى اجلٍ مسمى ويؤتِ كل ذي فضل فضله,وإن تولوا فاني أخاف عليكم عذاب يوم كبير﴾(سورة هود آية 03)، وفي وصية النبي هود لقومه حين قال﴿ ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدراراً ويزدكم قوة إلى قوتكم ولا تتولوا مجرمين﴾(سورة هود آية 52) ،ووصية نوح عليه السلام لقومه تفصل لنا كذلك فوائد أخرى للاستغفار حين قال:﴿فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا, ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات و يجعل لكم أنهارا﴾(سورة نوح آية10-12)، وهذا عدا تفريج الهموم فقد روى أبو داوود عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :((من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجا،و من كل هم فرجا،ويرزقه من حيث لا يحتسب))، وفي الترمذي عن سعد بن أبي وقاص قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((دعوة ذي النون إذ دعا ربه وهو في بطن الحوت:(لا اله سبحانك إني كنت من الظالمين)،لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا أستجيب له))، وفي رواية:((إني لأعلم كلمة لا يقولها مكروب إلا فرج الله عنه: كلمة أخي يونس))، ولِعظم فضل الاستغفار أن النبي عليه الصلاة والسلام كان يُكثر من الاستغفار ولا يتركه على أي حال ,قال عليه الصلاة والسلام :((إنه ليُغان على قلبي،واني لأستغفر الله))(رواه مسلم 42/2702) وقال :((والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة))(رواه البخاري 101/11).

***- إجـــــراءات الدراســـــة الميدانيـــــة**

أ- منهـــــج الدراســـــة والتصميـــــم

لقد اعتمد في دراسة فعالية البرنامج المُقترح المنهج التجريبي، لأنه المناسب في دراسة أثر أو فعالية ظاهرة أو متغير ما، وكذلك لما له من قيمة علمية ولأنه يسمح بالمقارنة مع عينات لم تخضع للمتغير المستقل محل الدراسة .

اعتمد الباحث على تصميم مناسب و أكثر دقة في النتائج وهو القياس بعد التجربة فقط للمجموعتين التجريبية والضابطة بحيث (تُنتقى المفردات عشوائياً من مجتمع الظاهرة أو توزع عشوائياً على المجموعتين، هذه العشوائية تسمح بافتراض أن المجموعتين لا تختلفان اختلافاً جوهرياً أي أن الفرق بينهما يكون في حدود الخطأ المرتقب الذي لا تكون له دلالة إحصائية يُدخل المتغير المستقل على المجموعة التجريبية وحدها دون الضابطة، وفي النهاية يُحسب الفرق بين المجموعتين في المتغير التابع ويخضع هذا الفرق للدراسة الإحصائية للتعرف عما إذا كان له دلالة أي يرجع للصدفة أم لا، أي للتعرف على مدى الثقة التي تضعها فيه باعتباره فرقاً حقيقياً يمكن أن نحصل عليه لو كررنا التجربة عدة مرات على عينات جديدة من نفس المجتمع .

– المجموعة التجريبية (عينة ـــــــ متغير مستقل ـــــــ قياس)

– المجموعة الضابطة (عينة ـــــــــــــــــــــــ قياس)

يمتاز هذا التصميم بأنه يسمح بالمقارنة بين المجموعتين، كما أن الاختيار أو التوزيع العشوائي يسمح بتعميم نتائج الدراسة و فضلاً عن هذا فإن هذا التصميم يضبط تأثير التاريخ و تعدد القياسات و تأثير تغيير الأدوات و إنحدار الدرجات نحو المتوسط و هذه كلها عوامل تأثر في الصدق الداخلي للتجربة، أما بالنسبة للصدق الخارجي، فإن هذا التصميم يضبطُ تأثير التفاعل بين القياس و المتغير المستقل أما بقية العوامل المؤثرة فإنها تكون موضعا للاعتبار)(محمد عبد الظاهر الطيب و آخرون2000ص205)

ب – العينـــــة:

اعتمد الباحث على" العينة القصدية " كنوع لعينته والتي هي تعمدٌ في اختيار فئة معينة ،ويكون هذا الاختيار مبنياً على اعتبارات منطقية ومقبولة تؤكد تمثيلها للمجتمع الأصلي، وكان ذلك في ضوء ما لوحظ في الدراسة الاستطلاعية و النظرة الشاملة للحالات الموجودة بالمستشفى وسجلاتها ،وخاصة إن كان المعيار الأساسي في اختيار الحالات هو إجرائهم لعملية جراحية، و لقد أعتمد على عينة قوامها (36) مريضاً مقبلاً على عملية جراحية من مرضى مصلحتي الجراحة نساء والجراحة رجال، و قد تم تقسيمهم بطريقة عشوائية إلى مجموعتين بالتساوي هما :

– المجـــموعة التـــجريبية (Expérimental group) وعدد أفرادها (18) .

– المجمـــوعة الضـــابطة (Control group) وعدد أفرادها (18) .

ولقد تمت المُجانسة بين المجموعتين عن طريق فرز البيانات عامة و الملفات الطبية المرضى وأهم عناصر المجانسة: السن، الجنس، المستوى الاقتصادي ،المستوى التعليمي، درجة خطورة العملية الجراحية، التاريخ المرضي والجراحي.

جـ- ضبـــــط متغيـــــرات الدراســـــة

المتغير عبارة عن موقف ، مشكلة ، ظاهرة أو سلوك مشاهد و هذه المتغيرات غير مستقرة أي بمعنى متغيرة في درجتها ،وإن كانت ثابتة فإن ثباتها يكاد يكون نسبياً، وإنه قبل التجربة تم تحديد متغيرات التجربة قدر الإمكان ،وتحديد مدى العلاقة بينا المتغيرين الأساسيين من خلال صياغة الفروض، وحاول الوقوف عند حدود المتغيرات الأخرى التي قد تلعب دورا فاعلا في إفساد تلك العلاقة بين المتغير المستقل و المتغير التابع وهما أساسا عملية البرنامج التجريبي،وهناك متغيرات أخرى متوقعة لكنها غير معلومة وغير مقصودة لكن عزلها مقصود و تحييد أثرها مطلوب ، لذا فإنه تم ضبط المتغيرات أي تثبيت تلك العوامل و تحييدها، ما عدا العامل الذي يرادُ معرفة أثره قدر الإمكان،وهناك أربعة عوامل حاول الطالب ضبطها :

1- العوامل التي تنشأ من المجتمع الأصلي للعينة 2–العوامل التي تنبع من إجراءات الاختبار التجريبي 3–العوامل التي ترجع إلى مؤثرات من مصادر خارجية

4- العوامل التي ترجع إلى تأثير المجُرب .

د- أدوات الدراســـــــــــــــة

ولقد أستعملت المقاييس التالية:

– مقياس القلق لـــ"سبيلبرجر" لأنه المناسب لقياس الأعراض الإكلينيكية الآنية لقلق ما قبل العملية الجراحية وهو المعروف بـــ: State– trait Anxiety inventory (STAI)

– مقياس قلق الموت لـــ"دونالد تمبلر" وذلك لأن الخضوع لعملية جراحية يجعل فكرة "الموت " حاضرةً بإلحاح، والمقياس معروف بـــ:(D.A.S)(Death anxiety Scale)

هـ- عـــــرض البرنامـــــج على مجموعـــة محكميـــــن

بعد أن صمّم الطالب محتوى البرنامج المقترح قام بعرضه على تسعة (09) من أعضاء هيئة تدريس في قسمي علم النفس و العلوم الشرعية بالجامعات التالية: محمد خيضر بسكرة ،جامعة الجزائر جامعة الإمام محمد بن سعود ،جامعة البترول والمعادن (الظهران) بالسعودية و قطر لتحكيم البرنامج ومعرفة آرائهم خاصة فيما يلي من العناصر:

– خطوات البرنامج التي تم تحديدها – محتوى البرنامج وتوافر عناصر الترابط فيه .

– مناسبة كل جلسة وزمنه للمرضى المقبلين على عملية جراحية – مناسبة إجراءات كل جلسة لأهدافها – مناسبة التصميم التجريبي لدراسة فعالية البرنامج – مناسبة المقاييس النفسية المعتمدة لاستخلاص النتائج .

وقد تمت مراجعة الجلسات وعمل التعديلات اللازمة على البرنامج في ضوء آراء ومقترحات المحكمين.

- عـــــرض ومناقشـــــة نتائـــــج الدراســـــــــة

1- عـــــرض النتائـــــــج

بعد القيام بالمعالجة الإحصائية كانت النتائج للمجموعتين على مقياس القلق "سبيلبرجر" ومقياس قلق الموت "دونالد تمبلر" كالتالي:

جدول يوضح النتائج الإحصائية للمجموعتين على مقياس "سبيلبرجر"و"دونالد تمبلر"

المقياس	المجموعة	العدد	المتوسط	الإنحراف المعياري	قيمة "ت"	درجة الحرية	مستوى الدلالة
مقياس قلق الموت لتمبلر	التجريبية	18	7.33	1.572	5.012	34	0.01
	الضابطة	18	10.56	2.229			
مقياس القلق لسبيلبرجر	التجريبية	18	32.75	2.545	14.219	34	0.01
	الضابطة	18	51.91	5.120			

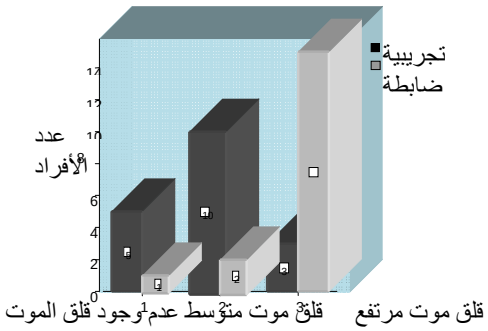

مستويات نتائج قلق الموت للمجموعتين

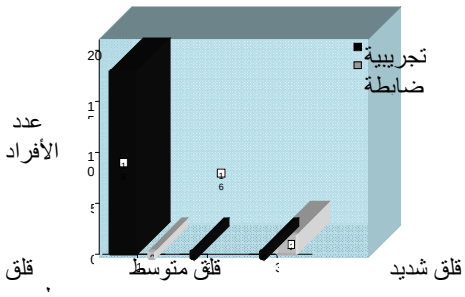

مستويات القلق للمجموعتين على مقياس"سبيلبرجر "

من خلال الجدول السابق نجد أن قيمة (ت) بين متوسطي درجات القلق للمجموعة التجريبية والمجموعة الضابطة على قلق الموت لـــ"دونالد تمبلر" بلغت (5.012)، وقيمة (ت) بين متوسطي درجات القلق للمجموعة التجريبية والمجموعة الضابطة على مقياس القلق لـــ"سبيلبرجر" بلغت (14.219)،وبالرجوع إلى الجدول الإحصائي الخاص باختبار (ت)، نجد أن قيمتي (ت) الأولى والثانية المحسوبتين أكبر من قيمتي (ت) المجدولتين عند درجة حرية (34) ومستوى دلالة (0.01)، وهذا يعني أن الفروق بين متوسطات المجموعة التجريبية والمجموعة الضابطة للاختبارين كلٌ على حدة دالة إحصائياً عند هذا المستوى لصالح المجموعة الضابطة أي أن المجموعة التجريبية أقل قلقاً على مقياسي الدراسة ، مما يعني أن المتغير المستقل المُدخل على المجموعة التجريبية المقبلة على عملية جراحية له فعالية في تخفيض"قلق ما قبل العملية الجراحية",ومنه نستطيع أن نقول أن الفرضية العامة قد تحققت.

2-مناقشـــــــة النتـائـــــــج

بعد خضوع أفراد المجموعة التجريبية لبرنامج العلاج النفسي الإسلامي المُقترح، مرّر الطالب مقياسي القلق لـــ"سبيلبرجر"و قلق الموت لـــ"دونالد تمبلر" على أفراد المجموعتين قبل ذهابهم إلى قاعة العمليات الجراحية على الأقل بحوالي ساعة ، وبعد الحصول على إجابات المرضى وتنقيطها ودراستها إحصائياً وجد فيما يخص نتائج القلق على مقياس "سبيلبرجر" أن قيمة (ت) بين متوسطي درجات القلق للمجموعة التجريبية والمجموعة الضابطة (14.219) ،وبالرجوع إلى الجدول الإحصائي الخاص باختبار(ت) وجد أن قيمة (ت) المحسوبة أكبر من قيمة (ت) المجدولة عند درجة حرية (34) ومستوى دلالة (0.01)، وهذا يعني أن الفرق بين المتوسطين دال إحصائياً عند هذا المستوى لصالح المجموعة الضابطة أي أن المجموعة التجريبية أقل قلقاً، ووجد فيما يخص نتائج قلق الموت على مقياس "دونالد تمبلر" أن قيمة (ت) بين متوسطي درجات القلق للمجموعة التجريبية والمجموعة الضابطة (5.012) وبالرجوع إلى

الجدول الإحصائي الخاص باختبار (ت) وجد أن قيمة (ت) المحسوبة أكبر من قيمة (ت) المجدولة عند درجة حرية (34) ومستوى دلالة (0.01)، وهذا يعني أن الفرق بين المتوسطين دال إحصائيا عند هذا المستوى لصالح المجموعة الضابطة أي أن المجموعة التجريبية أقل قلقا وكل هذا يعنى أن المجموعة التي خضعت لبرنامج العلاج النفسي الإسلامي قد انخفض القلق عندها قبل خضوعها لعملية جراحية، وهذا يجعل الفرضية العامة التي تقول:(إن لبرنامج العلاج النفسي الإسلامي المقترح فعالية في تخفيض درجة قلق ما قبل العملية الجراحية) قد تحققت.

وتتفق هذه النتائج مع دراسات تناولت برامج نفسية دينية في علاج الأمراض النفسية ،وما يُفسر النتائج التي توصل إليها الباحث في تخفيض القلق اعتماده العلاج الديني كأساس للعلاج النفسي وهو ما دعت إليه الكثير منة المدارس والكثير من المختصين بعدما رأوا التأثير النفسي العجيب الذي يمنحه الدين لمعتنقيه، لذا تضمن البرنامج الذي اقترحه أهم الشعائر الدينية الذي اختيرت عناصره من أصول الدين الإسلامي (العقائد ، العبادات، الذكر)، ولقد اتفقت(جميع مدارس العلاج النفسي على أن القلق هو السبب الرئيسي في نشوء أعراض الأمراض النفسية ولكنها تختلف فيما بينها في تحديد العوامل التي تسبب القلق وتتفق هذه المدارس أيضا على أن الهدف الرئيسي للعلاج النفسي هو التخلص من القلق وبث الشعور بالأمن في نفس الإنسان ولكنها تتبع لتحقيق هذا الهدف أساليب علاجية مختلفة وهذه الأساليب لا تنجح دائما في تحقيق الشفاء التام من الأمراض النفسية أما الإيمان بالله إذا ما بُثّ في نفس الإنسان منذ الصغر فإنه يُكسبه مناعة ووقاية من الإصابة بالأمراض النفسية)(نجاتي1987ص249)، ولقد وصف القرآن ما يحدثه الإيمان من أمن وطمأنينة في نفس المؤمن في قوله عز وجل:﴿ الذين أمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون﴾(سورة الأنعام،آية82).وفي قوله تعالى:﴿الذين امنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾(سورة الرعد،آية28).

المراجـــــــع

الكتب:

01-اريك فروم، **الدين والتحليل النفسي**، (ترجمة فؤاد كامل) ، القاهرة، مكتبة غريب، 1977

02- توفيق، محمد عز الدين، **التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية**، دار السلام، القاهرة ،ط1، 1988

03- الجوزية ،ابن القيم، **مدا رج السالكين**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2،2003

04- الدباغ ،فخري، **أصول الطب النفساني**،دار الطليعة، بيروت،ط3،1983 عمار، عمان، ط1، 2001

05- راجح ، أحمد عزت، **أصول علم النفس**، دار المعارف ، القاهرة، 1993

06- زهران،حامد عبد السلام، **الصحة النفسية والعلاج النفسي**،عالم الكتاب، القاهرة،ط 2 ط4، 2003

07- سليمان عبد الرحمان سيد، **السواء والشذوذ في النظريات النفسية والآيات القرآنية** مكتبة زهراء الشرق، القاهرة،1996

08- الشرقاوي ،حسن،**نحو علم النفس الإسلامي**،مؤسسة شباب الجامعة،الإسكندرية ط 3 ،2003

09- طبارة ،عفيف عبد الفتاح، **روح الصلاة في الإسلام**، دار العلم للملايين،بيروت،1983

10- عبد الخالق، أحمد محمد، **قلق الموت**، عالم المعرفة ، الكويت،1987

11 - عبد الظاهر ،محمد الطيب وآخرون، **مناهج البحث في العلوم التربوية والنفسية**، مكتبة الأنجلومصرية ، القاهرة،ط1، 2000

12- العيسوي ، عبد الرحمن، **الإسلام والعلاج النفسي**،دار النهضة العربية،بيروت،1982

13- كارينجي،دايل ، **دع القلق وابدأ الحياة**، مكتبة الآفاق ،المنصورة، 1988

14- المهدي، محمد عبد الفتاح،**العلاج النفسي في ضوء الإسلام**، دار الوفاء،ط 1، 1990

15- محمد جاسم محمد، **علم النفس التجريبي**، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان ،ط 1 2004

16- نجاتي ، محمد عثمان، **القرآن وعلم النفس**، دار الشروق ، ط3، سنة 1987

المجلات العلمية:

17- كبريال السبع، ،**قلق العملية الجراحية** ، الثقافة النفسية المتخصصة،عدد 22،المجلد السادس، دار النهضة العربية العربية، بيروت،1995

18- القبانجي،علاء الدين،**النفس المطمئنة**،عدد58، 2003، دار النهضة العربية العربية، بيروت

مرجع باللغة الأجنبية:

19- Sillamy, Norbert,**decetionnaire de psychologie**, éditions France loisiers ,paris,2000

ملحـــــــــــق

أنمـــــوذج برنامـــج العـــــلاج النفســـــي الإسلامـــي المُقتـــــرح

أ- مصـــــــدر برنامـــــج العـــــــلاج

لقد أعتمد في بناء البرنامج على: – القرآن الكريم – السنة النبوية – تراث العلماء المسلمين – دراسات نفسية سابقة

ب- هـــدف البرنامـــج العلاجـــي المُقتـــرح

1- الهـــــدف العـــــام

* تخفيض درجة القلق لدى المريض المقبل على عملية جراحية .

2- أهـــــــداف جزئيـــــة

– تغيير الأفكار السلبية نحو المشكل المعاش (المرض والإقدام على العملية الجراحية) بأفكار إيجابية سليمة ذات طابع ديني.

– النظر إلى الموت نظرة واقعية غير مرضية وأنها حتمية لا مفر منها عند بلوغ الأجل.

– اكتساب سلوكات وتعاملات ايجابية اتجاه مصدر القلق .

د- مراحـــــل تطبيـــــق البرنامـــــج

1- المرحلة الأولى

القيام بتجربة استطلاعية من أجل :

– معرفة متوسط بقاء المريض في مصلحة لجراحة انتظاراً للعملية .

– معرفة الوقت الذي يلزم لتطبيق كل شعيرة على حدة والشعائر كلها.

– اكتشاف المتغيرات المتنوعة المعلومة والدخيلة من أجل ضبطها.

– مراجعة خطوات البرنامج برنامج العلاج و تقويمها.

– الوقوف عن قرب من (عينة البحث , مكان التجربة ,الصعوبات التي قد تقف في وجه السير الحسن للبحث ...)

2-المرحلة الثانية

الاطلاع على برنامج المرضى المقرر إجراؤهم لعملية جراحية وعلى سجل المعلومات لكل مريض , و الاتفاق مع الأعضاء المشاركين على كيفية الشروع في تنفيذ تجربة البرنامج .

3- المرحلة الثالثة

ويتم فيها إجراءات اختيار العينة وتوزيعها على المجموعتين الضابطة والتجريبية بالاستعانة بالمعلومات العامة والسجلات الطبية للمرضى وبرنامج المصلحة لإجراء العمليات الجراحية.

4- المرحلة الرابعة

– تعارف المعالج و المريض لإتاحة الفرصة لبناء علاقة علاجية إرشادية– جعل المريض يستبصر قلقه وأثاره والأعراض المُصاحبة، وفهم تأثير بعض الظروف والأسباب المؤدية لنشوئه .

– اقتراح برنامج العلاج على المريض ثم تهيئته للتنفيذ.

5- المرحلة الخامسة

الانطلاق في تنفيذ جلسات المحاور في شكل البرامج الموضحة في الجداول التالية:

جدول رقم (1م) يوضح الجلسة الأولى من البرنامج العلاجي :

جلسة	عناصر الجلسة	محتوى العنصر	هدف العنصر
العلاج	-الإيمان بالله	- تعريف الأيمان بالله -الفوائد الشرعية والروحية	- ترسيخ الاعتقاد بوجود الله وبرعايته لنا وقربه منا وأنه يرعانا وإمكانية مناجاته - الإيمان بعدل الله- معرفة الله والحرص على استجلاب رضاه
	- الإيمان بالقضاء والقدر	- التعريف بالقضاء والقدر - الفوائد الشرعية والروحية	- تسليم الأمر لله في كل الأحوال - الاعتقاد أن النفع والضر بيد الله وأن كل شيء مُقدر- الاعتقاد بأن الآجال والأرزاق وكل شيء مكتوب بقدر وأن أمر المسلم كله خير
	- الإيمان باليوم الآخر	- التعريف باليوم الآخر - الفوائد الشرعية والروحية	- تعزيز الاعتقاد بوجود حياة ما بعد الموت- وبالمفهوم الايجابي والواقعي للموت وأنه ليس آخر مطاف الإنسان - الاعتقاد بالعدل والتعويض والرحمة من الله

جدول رقم (2م)يوضح الجلسة الثانية من البرنامج العلاجي :

جلسة	عناصر الجلسة	محتوى العنصر	هدف العنصر
العلاج	-التوبة	- تعريف التوبة -الفوائد الشرعية والروحية	- التوبة من الذنوب - الاعتقاد بغفران الله للذنوب مهما بلغت - حسن الظن بالله - فتح باب الأمل في استجلاب رضا الله- عدم اليأس والقنوط من رحمة الله- الاعتقاد بأن خير الخطاءين التوابين
	- الصبر والتفويض والاحتساب	-تعريف الصبر والتفويض والاحتساب -الفوائد الشرعية والروحية	- الاحتساب وتفويض الأمر لله والصبر - اكتشاف الجوانب الايجابية للأمراض - الاعتقاد أن المصائب ابتلاءات من الله - عدم التجهم و والتسخط- الاعتقاد أن أمر المؤمن كله خير
	-التأسي بالأنبياء والصالحين	- تعريف التأسي	- اتخاذ الرسول نموذجا مثاليا للإنسان المتوازن - أخذ العبرة والأخلاق من سير الأنبياء - الاستعانة بسيرهم في كيفية التعامل مع المشاكل و الحالات النفسية

جدول رقم (3م) يوضح محتوى وهدف زيارة الدعم والمتابعة رقم (01):

المحتوى	الهدف
- الوقوف على مدى تطبيق برامج اليوم السابق	- ضمان تطبيق البرنامج وتكامله - التأكد من تحقق قدر كبير من الأهداف -التأكد من الفهم والتطبيق الصحيح لعناصر البرنامج

جدول (4م) يوضح الجلسة الثالثة من البرنامج العلاجي :

جلسة	عناصر الجلسة	محتوى العنصر	هدف العنصر
العلاج الإسلامي بالأدائ	- شعيرة الصلاة	- تعريف الصلاة - الفوائد الشرعية والروحية	-السعي نحو "إقامة الصلاة" على أكمل وجه وإقامة بعض النوافل-الاستعانة بالصلاة لتخفيف الهموم والأحزان والشكوى إلى الله - اتخاذها محطات للتزود الروحي والتطهر من الذنوب
	- شعيرة الصدقة	- تعريف الصدقة - الفوائد الشرعية والروحية	- الإنفاق والتصدق لوجه الله- اكتساب عادة ايجابية غير مادية -اتخاذ الصدقة وسيلة لتطهير النفس واستجلاب رضا الله- اتخاذها كأحد وسائل العلاج من الأمراض

جدول رقم (5م)يوضح الجلسة الرابعة من البرنامج العلاجي :

جلسة	عناصر الجلسة	محتوى العنصر	هدف العنصر
العلاج	-القرآن الكريم	- تعريف القرآن الكريم- الفوائد الشرعية والروحية	- اتخاذ ورد يومي من القرآن الكريم وتدبر معانيه - الاعتقاد بأن القرآن شفاء من الأمراض النفسية و البدنية واتخاذه وسيلة وقاية وعلاج
	-الأدعية والاستغفار	- تعريف الأدعية والاستغفار - الفوائد الشرعية والروحية	- الحرص على ذكر الأدعية والاستغفار في كل حال وفي أي زمان - اتخاذ الدعاء والرقى وسيلة من وسائل الشفاء والتخفيف من الهموم والشكوى إلى الله - الاعتقاد أن الله قريب مجيب للدعوات يغفر الذنوب مهما كبرت - اتخاذ الاستغفار والأدعية وقاية وعلاج من الأمراض والمشاكل وكذلك وقاية من عقدة الذنب

جدول رقم (6م) يوضح محتوى وهدف زيارة الدعم والمتابعة رقم (02) :

المحتوى	الهدف
- الوقوف على مدى تطبيق برامج اليوم السابق	- ضمان تطبيق البرنامج وتكامله - التأكد من تحقق قدر كبير من الأهداف -التأكد من الفهم و التطبيق الصحيح لعناصر البرنامج

الجدول الزمني للجلسات:

نموذج زمني مجموعه(170) دقيقة لكل مريض كما هو مبين في الجدول:

الجدول رقم (7م) يوضح **الرزنامة الزمنية لليوم الأول** من البرنامج العلاجي:

الجلسات	العناصر	الحجم الزمني		الفترة الزمنية
	عنصر الإيمان بالله	15د		
	عنصر الإيمان بالقضاء والقدر	15د		
	عنصر الإيمان باليوم الآخر	15د		
	عنصر التوبة	15د		
	عنصر الصبر والتفويض والاحتساب	15د		
	عنصر التأسي والعلاج بالقدوة	15د		
زيارة الدعم والمتابعة	دعم ومتابعة	10د		آخر المساء

الجدول رقم (8م) يوضح الرزنامة الزمنية لليوم الثاني من البرنامج العلاجي:

الجلسات	العناصر	الحجم الزمني		الفترة الزمنية
[illegible]	شعيرة الصلاة	15د	[illegible]	[illegible]
	شعيرة الصدقة	15د		
[illegible]	شعيرة الذكر بالقرآن	15د	[illegible]	[illegible]
	شعيرة الأدعية والاستغفار	15د		
زيارة الدعم والمتابعة	دعم ومتابعة	10د		آخر المساء

المشاركون في تطبيق البرنامج :

يقوم الطالب بتجريب برنامج العلاج ويساعده في ذلك وتحت إشرافه الأعضاء الآتون ،كلٌ حسب اختصاصه من أجل إنجاح تطبيق البرنامج:

1- أخصائي نفساني مساعد (مكلف بجمع وتوثيق البيانات الشخصية وتمرير المقاييس النفسية

2- طبيبان مختصان في الجراحة العامة (من أجل إخضاع مصلحتي الجراحة و برنامج العمليات لمقتضيات برنامج العلاج النفسي).

6- المرحلـــــة السادســـة

- القيام بالقياس البعدي (بمقياس القلق لسبيلبرجر ومقياس قلق الموت لدونالد تمبلر) قبل ذهاب المرضى إلى قاعة العمليات على الأقل بحوالي ساعة من الزمن.
- تقييم شامل لمدى تطبيق البرنامج وتكامله وتحقيقه لأكبر قدر من الأهداف .
- إنهاء تطبيق البرنامج العلاجي بعد تحقيق أهم الأهداف وانتهاء الفترة الزمنية .

ابحث في قاعدة بيانات الشبكة
ARABPSYNET PAPERS SEARCH
(BY ARABIC, ENGLISH & FRENCH WORDS)
www.arabpsynet.com/paper/default.asp

أضف بحثك الى قاعدة البيانات
PAPERS FORM
http://localhost/paper/PapForm.htm

الإســـــــلام والصحـــــــة النفسيـــــــة

أ.د. عمـــــر شاهيـــــن - مصـــــر

الحاجة إلى العقيدة

الإنسان مخلوق ضعيف وخلق الإنسان ضعيفا ويرتد ضعفه إلى خصائص فيه وإلى خصائص في البيئة التي تؤويه فمهما تعاظم الإنسان فلن يخرق الأرض ولن يبلغ الجبال طولا.. ومهما تزايدت قوته فلن يكون أقوى من الريح التي تعصف الرعد الذي يبرق أو البحر الذي يزبد أو غيرها من قوى الطبيعة التي تغلبه لا محالة ورغم هذا فهو في حاجة إليها في طعامه وشرابه وملبسه ومسكنه وموطنه وملعبه وغير ذلك مما يميزه عن الطبيعة من حوله . والخلاصة أن الإنسان ضعيف ضعف التكوين... وضعيف ضعف الاحتياج.. وضعيف ضعف المقارنة والمجالدة... وضعيف ضعف الجبل بتسبيب الكون وأسبابه وظواهره وبواطنه موتا وحياة بمستقبله وبعلمه بقواعده وقوانينه... وضعيف بالجهل بالمستقبل وما يجري فيه.

ومن منطلق هذا الضعف بدأ اتجاه الإنسان إلى القوة والسيطرة على الدنيا بمخلوقاتها وبدأت رحلته في بحثه عن القوة إلى الالتجاء إلى غيره من البشر فكانت الجماعات والقبائل غير أن هذه القوة المضافة لم تؤثر كثيرا على قدرته في مواجهة الطبيعة بقسوتها وشراستها.. واستمر ضعفه كما هو فاتجه إلى محاولة استرضاء هذه الطبيعة بما يتصور أنه علاقة بينه وبينها يستطيع أن ينميها فيخضعها... وفشلت هذه المحاولة في الوصول إلى غرضها في الوصول إلى القوة ومن ثم الطمأنينة والأمان.. وفي بحثه الكوني اتجه إلى تصور القوة الأكبر لله التي تسيطر على كل هذه القوى الأصغر المناوئة له والتي تثير خشيته وخوفه.. وكما حدث في رواية القرآن عن إبراهيم (وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين) (75) . فكانت الملاحظة التي وجهه إليها الله. ملاحظة الكون سماء وأرضا ليصل في النهاية إلى اليقين. (فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الآفلين (76) فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين (77) فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال يقوم إني بريء مما تشركون (78) إني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين (79) وحاجه قومه قال أتحاجوني في الله وقد هدان ولا أخاف ما تشركون به. إلا أن يشاء ربي شيئا وسع ربي كل شيء علما أفلا تتذكرون (80) " سورة الأنعام."

وأخيرا اهتدي الإنسان بخبرته إلى وجود خالقه وخالق الكون الرازق القادر القاهر المصور لكل ظاهره الباري لأسبابها وهكذا بدأت محاولات الإنسان في البحث عن العقيدة من خلال البحث عن الله أملا في طمأنينة وأمن ، وتحقيقا لاحتياجات ورغبات وهكذا بدا أن الاحتياج إلى العقيدة احتياج أساسي ملازم للحياة.

ومع الإحساس الفطري للإنسان بوجود الله الخالق نزلت الديانات السماوية تترى لتنتهي بالعقيدة الكاملة (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا). سورة المائدة/ 3 .

1- العقيـــــدة والعلـــــوم النفسيـــــة

وكما قدمنا فإن العقيدة تشمل البشر جميعا حتى إننا نستطيع أن نعرف الإنسان بأنه الحيوان صاحب العقيدة فلا يوجد إنسان بلا عقيدة بمعنى أنه لا يوجد إنسان بلا مفهوم ينظم العلاقة بينه وبين القوى الحاكمة في الكون والحياة أي قوة الله، وهذه العقيدة نجدها في البشر الذين يؤمنون بالديانات السماوية كما نجدها في غيرهم من البشر الذين لا يؤمون بالديانات السماوية.

ومن هنا فالعقيدة فطرة فطر الله الناس عليها ومن هنا كان الحديث الشريف الذي معناه كل مولود يولد على الفطرة، أي وجود الاستعداد للعقيدة ، وإنما أبواه يهودانه أو يمجسانه أو ينصرانه.

أي أن نوعية العقيدة هي التي تحدد بالظروف الاجتماعية التي تحكم الإنسان أما الأصل والعقيدة والاتجاه إليها ففطرة إنسانية.

والدراسة النفسية للعقيدة لا تضيف إليها شيئا بينما هي تضيف الكثير إلى العلوم النفسية إذ إنها تبحث في أسباب التدين ولزومه وهو حقيقة ثابتة ثبات الشمس لا تحتاج لكثير من جهد لإثبات وجودها. ونلاحظ أن اهتمام العقيدة والعلوم النفسية بالإنسان اهتمام متبادل وقديم، ففي المرحلة الأولى من حياة البشرية كانت ترد بعض الأمراض النفسية إلى أسباب دينية كما كانت ترد أحيانا إلى أسباب طبيعية وهكذا نشأت ، دراسات علم النفس الديني والطب النفسي الديني في محاولة لفهم الإنسان من خلال معطيات الدين فالمرض في ضوء هذه المفاهيم سواء كان جسمانيا أو نفسيا ما هو إلا نتيجة للخطيئة أو التلبس بالشيطان وعلم النفس في علاقته مع العقيدة والدين اتجه اتجاهين الاتجاه الأول إلى دراسة فلسفة الدين والاجتماع البشري للدين وتطبيقاته العملية في مجال الوقاية والعلاج وهذه تعرفنا على تسميته علم النفس الديني . والاتجاه الثاني درس قضية التدين أي انتماء الفرد إلى عقيدة وكيف يتم ذلك وأسباب ذلك الانتماء وتأثيره على سلوك الفرد والجماعة... وهذا الاتجاه أصبح يعرف بعلم نفس التدين.

ويمكن أن يرد ظهور هذين الاتجاهين العلميين إلى أواخر القرن الماضي.

2- الديناميكيـــات والوظائـــف النفسيـــة للديـــن

من المؤكد أن الطقوس الدينية تقوى القدرة على التحكم في الغرائز والدوافع وخاصة تلك الدوافع التي تكسر الحدود الاجتماعية للسلوك.

وقد يصل "فرويد" إلى الرأي بأن الدين يقلل من إحساس الفرد بالقلق كما يحمي من القلق الناتج عن الإحساس بعدم القدرة في مواجهة قوى الطبيعة والدين يشبع احتياجات الإنسان. كما إنه يتصور أن مصير الإنسان يحدده سلوكه في الدنيا وعلى هذا الرأي فإننا نستطيع أن نفترض أن الدين يؤكد اختيار الإنسان لسلوكه وبالتالي لمصيره وهكذا يدفع الإنسان إلى تأكيد اجتماعية وتعديل سلوكه الاجتماعي لمزيد من التكيف وذلك من أجل تحقيق المكاسب لذاته سواء في الدنيا أو الآخرة.

كما يعتقد فرويد أن العقيدة تحمي الإنسان من اليأس بإعطائه الفرصة لتأكيد علاقته بالله واعتماده عليه . وإن كان قد صور هذا الاعتماد بأنه اعتمادية الطفل على والديه تعاد إليه في الكبر بشكل اعتمادية الفرد على الله– وبصرف النظر عن هذا الوصف المبين فالحقيقة أن الدين يدعوه إلى مزيد من الاعتماد على الله.

كما أن الدين بتأكيده على الحياة الأخرى يقلل الخوف من الموت كما يقدم الوسائل للتكفير عن الخطيئة كما يعطي الإنسان المهرب التأملي المتسامي من متاعب الحياة.

ومن الواضح أن الدين الإسلامي بالإضافة إلى هذه الميزات التي يحققها الدين للبشر يؤدي إلى نوع من التنظيم الاجتماعي فالمجتمع هو الأصل والأفراد من مكونات المجتمع "مثل المسلمين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر" وإذا كان فرويد قد افترض وجود العواطف لتربط المجتمع وأن المجتمع لا يعمل ولا يؤدي وظائفه بمجرد وجوب العواطف وإنما كما يفترض الإسلام لابد من وجود القدوة في شخص القائد الاجتماعي (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الأخر). سورة الأحزاب/ 21.

والافتراض بأن الإيثار في الإسلام هو سمة الفرد في مواجهة مجتمعه فإن المجتمع الإسلامي يكون أكثر ترابطا وأقدر على التلاحم والعمل .

ومن المؤكد أن التنظيم الإنساني للمجتمع في الوقت الحاضر قد زاد تعقدا عن التنظيم الذي بدأ به الإسلام غير أن هذه الرؤية لم تكن غائبة عن الإسلام فالرسول المعصوم هو الذي يقول "أنتم أعلم بشئون دنياكم وعلى قاعدة المنافع المرسلة فإن تنظيم المجتمع بصورة أكبر يقبله الإسلام ورسوله.

كما أن عدم الفصل في الإسلام بين الدين والحكم إذ أن الرسول هو أول حاكم مسلم وخلفاؤه أمراء المسلمين– عدم الفصل هذا أكد على قوة التنظيم الذي يدعو إليه الإسلام للمجتمع وأعطاه نوعا من القدسية التي انتشرت في سلوكيات المجتمع.

من تنظيم المجتمع الذي يدعو إليه الإسلام تنظيم الأسرة والزواج والطلاق وحماية المجتمع من الجريمة من خلال الحدود وتطبيقها ليأمن الإنسان على نفسه وعرضه وماله. وهكذا تزداد الطمأنينة النفسية للفرد في المجتمع الإسلامي.

ومن النقاط الأساسية في التنظيم الإسلامي للمجتمع رفضه لمبدأ الرهبانية التي تترك الدنيا بما فيها في تصور أن هذا هو طريق الخلاص فرسول الله يصوم ويفطر ويقوم وينام ويعاشر النساء ويقرر "فمن رغب عن سنتي فليس مني " ورفض الإسلام للرهبانية ينبني على الأسس الآتية:

1– إن للإنسان دوافع بيولوجية ونفسية واجتماعية والإسلام باعتباره دين الفطرة لا يمكن أن يمنع إشباع هذه الدوافع مادامت في الإطار الاجتماعي الذي وضعه الإسلام لتنظيم المجتمع.

2-أن الرهبانية ابتعاد عن العمل الإيجابي تحت افتراض أنه إيجابية في اتجاه العبادة والإسلام يفترض أن المشاركة في بناء المجتمع أكثر فائدة في غير ترك للاتجاه إلى العبادة "اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا.

ولهذا فقد اتخذ الموقف المتوسط (وكذلك جعلناكم أمة وسطا) سورة البقرة / 143. لأن التوسط أقرب إلى غالبية البشر من التطرف. والإسلام دين الجميع.

إن الرهبانية تطرف في العمل الأخروي وكما قدمنا فإن الإسلام دين الجميع وليس دين التطرف (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) سورة البقرة / 143. وإن كان الإسلام باعتباره دين الأبد أن يتميز وأن يميز أبناءه والتمايز صفة لازمة لكل "جماعة ولكل مجتمع ولكل منظومة، وعدم التميز يفقد المؤسسة الاجتماعية أيا كان مستواها علوا إلى الدين أو انخفاضا إلى الأسرة باعتبارها اللبنة الاجتماعية الأولى بفقد المؤسسة الاجتماعية حقيقيا وكيانها وتكوينها. والتمايز الإسلامي بالعبادة (سيماهم في وجوههم من أثر السجود) سورة الفتح / 29. والتميز بالتقوى (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) سورة الحجرات / 13.

والدين والدولة يطالب كل منهما المنتمون إليهما بالولاء والانتماء فعندما تتعرض الدولة للاعتداء أو للكوارث الكونية فإن المواطنين فيها يتجمعون للدفاع عنها.. أما في حالة حدوث الكوارث الطاغية مقدما تكون الدولة قد أخطأت في حق نفسها وفي حق مواطنيها بصورة أو أخرى أدت إلى الكارثة فإن المواطنين قد يهجرون هذه الدولة بطريقة غير أخلاقية لا يرعون في ذلك حقها عندهم في الدفاع عنها. أما عندما تكون الدولة في حالة رخاء والمواطنون مستريحون فيها فإن سلطانها على المواطنين يقل وكأن انعدام التحدي أو قوة التحدي كذلك تفقد الدولة ولاء مواطنيها لها.. وعند فقد التحدي وانعدام الانتماء والجحود فإن الدولة من جانبها توقف تقديم خدماتها لأبنائها.

والجحود في الجماعة للدولة تتعدد أنماطه ومظاهره. فقد يفقد الفرد اهتمامه بالجماعة ويتجه كلية إلى الاهتمام بمصالحه وحياته الخاصة أي أنه يجري وراء متعه الخاصة وقد يكفر بالمجتمع وقيمه وقوانينه.. وهكذا يأخذ اتجاها مضادا للقانون. وقد يترك جماعته وتنتظم في جماعة أخرى. وقد يشارك في جماعات الرفض التي تهدف الى تغيير نظام الحكم.. ومثل هذه الاتجاهات تساعد على انتشار القلق النفسي في المجتمع وخاصة في أوساط الشباب.

أي إذا اتزن العطاء العاطفي والمادي للأفراد في المجتمع مع العائد الذي يقدمه المجتمع فإن المجتمع يستمر ويقل القلق النفسي بالتالي.

وفي الدين الإسلامي فإن الاتزان بين معطيات الأفراد للدين ومعطيات الدين للفرد يقع تماما بشكل مستمر وكأنه قاعدة مضطردة الأمر الذي يخفض تأثيرات القلق في الجماعة المسلمة. ويحدث ذلك فيما يلي :-

ا- الاتزان في ا العلاقة بين الفرد المسلم والله : (وقال ربكم ادعوني.. أستجب لكم) سورة غافر/ 60. وفي الصلاة لا يحل الله من الصلة بالإنسان حتى يحل الإنسان نفسه. وفي الآيات الله يساند الإنسان عن قرب (ونحن أقرب إليه من حبل الوريد) غير أن التعامل له جانبيه التقويميين السلبي والإيجابي (نبىء عبادي أني أنا الغفور الرحيم وأن عذابي هو العذاب الأليم) سورة الحجر/ 49.

-2الاتزان بين الفرد والحاكم المسلم هذا الاتزان قائم على أساس أن مسئولية الحاكم عن كل فرد تحتم أن يحقق له حقه ولو كان في أبعد بلاد المسلمين وحتى بدون طلب ولا ننسى العربية التي خلعت قلب عمر بتذكيره مسئوليته (يتولى أمرنا ويغفل عنا" فعلى قدر السلطة يكون البذل والعدل ولنذكر الشعار الإسلامي (إن رأيتم في اعوجاجا فقوموني) يقوله الحاكم.. فيرد المحكومون " لو رأينا فيك اعوجاجا لقومناه بسيوفنا."

-3الاتزان في العلاقة بين المسلم والمسلم: إن تعامل المسلم في مجتمعه يلزم أن يرعى فيه وجه الله سواء كان هذا التعامل في التعامل العملي في المعاملات أو في التعامل الإيثاري "الزكاة.. وغيرها" (فأينما تولوا فثم وجه الله) سورة البقرة/ 115. والله مطلع على عباده، ولا يرضى من عباده الكفر.

-4الاتزان في العلاقة بين المسلمين وغيرهم من الطوائف : ويعتمد هذا الاتزان على النصوص (لا إكراه في الدين) سورة البقرة/ 256، (ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى) سورة المائدة/82.

كما يعتمد على العدل معهم حتى من المنتسب إلى السلطة ويكفي أن نتذكر قصة عمر مع ابن عمرو بن العاص وموقفه من الذمي وقوله اضرب ابن الأكرمين ، وأمره عندما اشتكى له ذمي عجوز الفاقه فأمر للذمي بما يكفيه من مال المسلمين ويقول ما معناه ما عدلنا إذا أكلنا شبابه ولم نرحم شيخوخته.

3- الإســـــــلام والصحـــــــــة النفسيـــــــــة

1.3- تعاريـــــــــف

-1الإسلام: هو ذلك الدين القيم الذي ينظم العلاقة بين العبد والرب وبين الفرد والفرد مهما اختلفت المستويات، والمفاهيم ولهذا فإننا نجد ركيزتين في الإسلام الركيزة الأولى هي العقائد والركيزة الثانية هي المعاملات التي تنظمها الحدود.

-2الصحة النفسية : ومع وضوح تعريف الإسلام وبساطته فإننا إذا أردنا تعريف الصحة النفسية لوجدنا اختلافا كبيرا.. ونورد هنا بعض التعاريف التي توضح مفهوم الصحة النفسية.

2.3- الصحـــــــــة النفسيـــــــــة

ا– الصحة النفسية هي انعدام المرض النفسي والاتجاه إلى السلوك السوي.

وعلى بساطة هذا التعريف إلا أننا نواجه فيه بعض الصعوبات وهي :

ا– أن السلوك السوي يصعب تحديده فهو يختلف من جماعة لجماعة حسب التقاليد السلوكية السائدة كما تختلف من فرد إلى فرد.

-2إن الأطباء النفسيين يتدربون على اكتشاف السلوك غير السوي وليس على تقدير السلوك السوي الأمر الذي يصعب معه تحديدهم السلوك السوي نتيجة لقلة التدريب فسلوك شرب الخمر ترفضه بعض الجماعات وتقبله الجماعات الأخرى فأي السلوكين يكون سويا بالنسبة لجماعة وغير عادي بالنسبة لجماعة أخرى. وحتى في الجماعات التي تقبل سلوك شرب الخمر فإنها تميز بين سلوك شرب الخمر الاجتماعي . الذي يقبله المجتمع وسلوك شرب الخمر الذي لا يقبله المجتمع ويعتبره سيئة أو مرضا يعالج.

كل هذا يجعل من الصعب تحديد أنماط السلوك السوي بشكل نهائي ولعل هذا النقص هو الذي دفع الأطباء النفسيين في هذه الآونة إلى محاولة الدراسة المقارنة للسلوك القوي للجماعات المختلفة.

وفي هذا التعريف فإن الصحة النفسية هي أن يكون الإنسان طبيعيا. ويفترض أن الإنسان في العادة يكون سويا وأن السواء بهذا ظاهرة عامة وعلى هذا فإن السلوك يكون في حدود الطبيعي عندما لا توجد مؤشرات على سلوك شاذ والصحة لهذه الصورة هي الممارسة الطبيعية للحياة (رومانو 1950- لودوج 1975- ورومن 1978). ويعتبر المرض هو الانحراف عن مسار الصحة.

-2الصحة النفسية هي التكامل بين الوظائف النفسية إلى حد الكفاءة :

وهكذا فإن هذا التعريف يلزم أن يتم أداء الوظائف النفسية بنوع من المثالية والكفاءة لتحقيق حالة الصحة أو السواء– ونظرا لهذه النظرة المثالية في هذا التعريف فقد افترض فرويد (1937) أن الصحة النفسية أو السواء النفسي نوع من الأسطورة.

وفي هذا التعريف نعتبر الصحة النفسية غاية لا تدرك، ونلاحظ أيضا في هذا التعريف أن هذه الغاية المفترضة ستختلف من مجتمع لمجتمع حسب تصور المجتمع للصورة المثالية للفرد الصحيح.

-3الصحة النفسية هي متوسط سلوك المجموع أو الجماعة:

وهذا التعريف يعتمد بالدرجة الأولى على القيم الإحصائية فالسلوك الذي يقوم به غالبية الناس هو السلوك المتوسط الذي يحدد مجال الصحة النفسية وحدودها ويعتبر المقدم عليه سويا والمقدم على غيره غير صحيح.

ومن هذا التعريف فإن الالتزام بسلوك الغالبية يصبح هو السلوك النفسي السوي الذي يسعى كل الأفراد لتحقيقه لأنفسهم. ويصبح التطرف والبعد عن سلوك الغالبية سلوكا غير سليم. بمقياس الصحة النفسية وهكذا يعتبر هذا التعريف أي سلوك تقويمي أو تعديلي يدعو إليه مصلح سلوكا غير سوي.

-4الصحة النفسية هي التفاعل المتزن والمتكامل بين مكونات الإنسان:

في هذا التعريف يصور السلوك السوي بأنه تفاعل متغير ومتزن على مدى الزمن. والتغير المتطابق مع الزمن أساس في تحديد السلوك السوي.

وبعبارة أخرى ففي هذا المفهوم يهتم الدارس بالتغيرات والعمليات الناشئة عنها والتي تصل بالفرد إلى السواء أكثر من اهتمامه بالتحديد الاستاتيكي الجامد لحالة السواء كما هو الحال في التعريفات الثلاثة السابقة وعلى هذا فلفهم الصحة النفسية لشخص لابد من متابعة المتغيرات المختلفة المؤثرة في سلوكه على أساس التطور الناشيء من خلال مرور الزمن وهذه المتغيرات هي الجوانب البيولوجية والنفسية والاجتماعية. ثم متابعة مدى الاتزان في سلوكه نتيجة لحدوث أي من المتغيرات.

ويرد هذا المفهوم إلى كثير من الباحثين مثل "جرنكر وأنجل." وتصوري أن المفهوم الإسلامي للصحة النفسية هو أقرب إلى هذا المفهوم الذي يلزم النظر إلى التفاعل المتزن بين المؤثرات المختلفة فالإسلام يهتم-:

ا- بالصحة الجسمية "المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف "، "علموا أولادكم الرماية والسباحة وركوب الخيل."

-2بالصحة الروحية : من خلال تصحيح العقيدة ومن خلال التفاعل من مكونات النفس (النفس الأمارة – النفس اللوامة.(

-3بالمجتمع وسلامته فالإسلام يهتم بالتربية بالتركيبات الاجتماعية المختلفة كالأسرة والجماعة.

وبالتالي فالتفاعل بين هذه المكونات هو المفهوم الإسلامي الذي يؤدي في النهاية إلى صحة نفسية للفرد المسلم.

وهكذا يمكن أن نصل إلى تعريف للصحة النفسية بأنها تفاعل متزن بين العوامل الاجتماعية والنفسية بما في ذلك التوجيهات الروحية تؤدي إلى مزيد من القدرة على الوصول إلى المعرفة، والإدراك الصحيح لكل ما يجري داخل الإنسان وخارجه، كما تعطي الإنسان القدرة على تصحيح الأخطاء سواء كانت هذه الأخطاء في المعلومات التي تصل إليه أو في الأفعال والأقوال التي تصدر عنه، كما يساعده في اتخاذ القرارات واستخدام كل هذه المعطيات في العمل والتصرف والتعبير عن الذات والاستجابة للآخرين.

3.3- العلاقـــــــة بين الإســـــلام والصحـــــة النفسيـــــــة

أ- هي علاقة الكل بالجزء .

-2هي علاقة الثابت بالمتغير.

وعلى هذا فحدود الإسلام تشمل الصحة النفسية وحدود الصحة النفسية لا تشمل الإسلام.

والإسلام دين خالد باق... والصحة النفسية قواعدها متغيرة تختلف مع تقدم العلم والمعرفة وتختلف مع العمر من مرحلة إلى مرحلة وتختلف مع الزمن من جيل إلى جيل.. ومن مفهوم او مدرسة إلى مفهوم ومدرسة.

الإسلام عقيدة والصحة النفسية علم والعقيدة دين لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والصحة النفسية كعلم معرض للخطأ والصواب تحكيما وطريقا وتعديلا.

4. الإســـــلام والنفـــــــس

ابتداء ينبغي أن نقرر أن القرآن كتاب عقيدة وليس كتاب علم وأن ما ورد به من معارف علمية كانت على سبيل ضرب الأمثال (ويضرب الله الأمثال للناس) سورة النور / 35.

وعلى هذا فلا نتصور أن الإسلام بالتالي علم يتصدى للقضايا العلمية. وإنما هو منهج حياة وأنه في هذا المنهج يعتمد على جملة قضايا يحددها سبيلا واضحا. (وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه) آخر سورة الأنعام/ 153 . ونورد هنا نظرة الإسلام إلى بعض المفاهيم النفسية كما نتصور... وهي محاولة للاجتهاد فنعرض للصواب والخطأ. ونرجو من الله أن ننال ثواب المجتهد إن أخطأ وإن أصاب.

1.4- مفهـــــــوم النفـــــــس

النفس كما يتحدث عنها علم النفس مشكلة موضع خلاف فبعض الباحثين يعرفون النفس على أساس تركيبي وبعضهم يعرفها على أساس وظيفي.

ا- الأساس التركيبي :

أكثر التوصيفات التركيبية شيوعا للنفس هي ما أشارت إليه مدرسة التحليل النفسي أن اعتبار النفس تركيب من أجزاء هي :

إلهيID

الأناEgo

الأنا الأعلىSuperego

وأن هذا التركيب بمكوناته هو ما يمكن أن نعتبره النفس ومن الطبيعي أن يكون لهذا التركيب البسيط جزئيات وتفريعات وتطويرات تشمل الكثير من الأفكار والمدارس.

-2الأساس الوظيفي:

وبعض لباحثين يسقطون الجانب التركيبي للنفس نظرا للاختلاف البين في مجاله حيث أنه يضيف تركيبا مجردا لا جسم له.. ويلجأون إلى تعريف النفس باعتبارها التركيب الذي يؤدي الوظائف النفسية الأساسية وهي:

أ- الوظيفة المعرفية بدءا من الإحساس والانتباه والإدراك والتفكير والتصور والتذكر .

ب- الوظيفة الوجدانية بمكوناتها من المشاعر والانفعالات والعواطف .

ت- الوظيفة النزوعية بمكوناتها من الحركة والكلام والإرادة والقدرات العامة والخاصة والدوافع.

2.4- النفـــــس في المفهـــــوم الإسلامـــــي

إن النفس في القرآن وردت بمفهوم الذات.

)وإذ قال موسى لقومه ياقوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم إنه هو التواب الرحيم). سورة البقرة/ 54.

وقد ورد في القرآن صنوف النفس أتصور أنها جزء من مكونات النفس. وهي :

النفس الأمارة (إن النفس لأمارة بالسوء). سورة يوسف/ 5 .

النفس اللوامة: وقد أقسم بها الله (ولا أقسم بالنفس اللوامة). سورة القيامة/ 2.

وفي تصوري أن وجود هذين التكوينين في النفس الإنسانية يتوازى مع مفهوم "اللهو" في التحليل النفسي وتعني الجزء من النفس الذي يشمل الغرائز والرغبات وغيرها "والأنا الأعلى" وهو ما يمثل الضمير الذي يشمل نتاج التربية والتعليم من الوالد للأبناء. ونتاج الاختلاف بين التركيبين النفسيين هو ما تواضع الباحثون على تسميته بالصراع النفسي الذي ينتهي باتخاذ السلوك موقفا إلى جانب أي من الطرفين وهو ما أشار إليه القرآن (وهديناه النجدين) سورة البلد/ 10. (إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا) سورة الإنسان / 3.

وبينما أخذت نظرية التحليل النفسي بحتمية السلوك الإنساني، أخذ الإسلام، بمنهج اختيارية السلوك كما "قدمنا (وهديناه النجدين) سورة البلد / 10 ، ومن هنا كانت مسئولية الاختيار تقع على عاتق الإنسان الفرد.

وقد ذهب المفهوم الإسلامي خطوة أوسع فاعتبر أن السلوك هو محل الحكم (فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشئمة ما أصحاب المشئمة والسابقون السابقون) سورة الواقعة/ 8 . وفي تقويمنا لسلوك الآخرين فإن الإسلام اتجه إلى التقدير على ظاهر السلوك "أمرت أن آخذ الناس بالظواهر وعلى الله البواطن " بينما اتجه التحليل النفسي إلى البحث عن الدوافع وتقويمها في اللاوعي الأمر الذي يوقع الإنسان في كثير من الأخطاء لان ما بالداخل ما هو إلا دليل قطعي عليه وما هو إلا رأي الباحث وظنه.

وفي صراع الإنسان النفسي بين النفس الأمارة واللوامة فإنه يصل في النهاية إلى تغليب جانب الخير في نفسه وهنا يصل إلى درجة من الاطمئنان النفسي يؤكدها إيمانه بالله وغيبه وقضائه وقدره واليوم الآخر والملائكة والنبيين.

وهنا تصبح ذاته مطمئنة تستحق أن توصف بلفظ "النفس المطمئنة" فإن النفس المطمئنة هدف يقصده كل إنسان خروجا من الصراع النفسي الذي يعيشه.

وتقويم القرآن للنفس على أساسها أنها الذاتي قد يلزمنا أن نذكر بعض الشيء عن سيكولوجية الذات كمنهج دراسي.

5. سيكولوجيـــــة الـــــذاتEgo psychology

تعتمد مدارس سيكولوجية الذات على القواعد الآتية :

1 -الاهتمام بالشعور وشبه الشعور- بدلا من العمق في اللا شعور .

-2إعطاء الاهتمام الأكثر للذات الشعورية - فهي محور التعامل .

-3الإنسان طاقة وقدرة يمكن أن يواجه المواقف .

-4الجانب البيئي له أهمية كبيرة في الدراسة- فإن المشكلة الفردية ما هي إلا نتاج تفاعل الجانب الذاتي والبيئي معا .

-5الاهتمام بالحاضر في المقام الأول على أساس أنه هو المؤثر الأصيل في المستقبل .

وظيفة الذات تنحصر في العمليات الآتية:

ا- المواءمة بين نزعات الذات العليا والذات الدنيا .

-2المواءمة بين الشخصية ككل وبين المجتمع الذي نعيش فيه.

1.5- بعـــــض تعريفـــــات سيكولوجيـــــة الـــــذات

الذات: هي الجهاز المنظم للشخصية كما أنها الجزء الواعي منها والذي يمكن أن يوجه إليه الجهد لتستعيد الشخصية قوتها وحيوتها

تقوية الذات: يعتمد على الممارسة لنصل إلى الإدراك ولنحس بالمشاعر ونقوم بالتصرف بكفاءة عالية.

تقويم الذات: يستند على نموذج لقياس الذات السوية (النموذج المحدد في الإسلام هو شخصية الرسول (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) . سورة الأحزاب/ 21.

2.5- المشكلـــــة الإنسانيـــــة في سيكولوجيـــــة الـــــذات؟

ترجع المشكلة الإنسان في مدارس سيكولوجية الذات إلى الاحتمالات الآتية:

-1عدم إشباع الحاجات الأساسية للفرد وقد عمل الإسلام على تخفيفها بالقواعد العديدة ومنها

أ- إذا جاءكم من ترضون دينه وأمانته فزوجوه

ب- الزكاة والطقوس الإسلامية وإشباع الحاجات الأساسية .

ت- مسئولية الحاكم تجاه المحكوم: لو عثرت بغلة بالعراق لوجدتني مسئولا عنها يوم القيامة لمَ لمْ أسو الطريق.

-2الضغوط الخارجية : وعلاجها تخفيف الضغوط التي تؤدي إلى الإحباط وقد اعتمد الإسلام على منطلق وحدة المسلمين وتعاونهم لتخفيف الضغوط الواقعة على الفرد المسلم والجماعة المسلمة.

-3الصراع النفسي بين الرغبات والدوافع: وقد عالج الإسلام هذا العامل بالتوحيد فكل عمل ينبغي أن يتجه إلى الله ويراعى فيه وجهه.

6. منـاهـــــج الإســـــلام والصحـــــة النفسيـــــة

الإسلام يقوم على ركيزتين أساسيتين (1) العبادات والعقائد، (2) المعاملات. وفي التطبيق الحياتي كان لابد من وجود الحدود لضبط المجتمع.

وفي هذه العجالة سنتصدى لشرح العبادات والمعاملات والحدود وآثارها على الصحة النفسية للفرد والجماعة.

1.6- العبـــــادات وتأثيـــــرها على الناحيـــــة النفسيـــة؟

بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان.. وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا.

1- الشهادتيـــن : شهـــادة أن لا إلـــه إلا اللـــه

إنها الإقرار بالوحدانية لله وعلى هذا اعتباره هو القوة الوحيدة الحاكمة ويؤدي هذا الإقرار إلى ما يلي:

أ- الإحساس بالتجانس في الكون واتساق القوانين المنظمة لهذا الكون لأن مصدرها واحد وبالتالي سيؤدي هذا الإحساس بعدم التناقض بين القوى الدنيا في تفاعلها مما يجعل الإنسان يحس بالاستقرار ثم الاطمئنان... وذلك من خلال الاطمئنان إلى حكم الله الواحد والرضى بقضائه "من لم يرض بقضائي فليخرج من تحت سمائي.

ب- الإحساس بقدرة الله الواحد في خلق هذا الكون الأمر الذي يؤدي إلى الاطمئنان إلى هذه القدرة والرضى بقضاء الله خيره وشره... مما يؤكد على مزيد من الاطمئنان النفسي..

ت- الإحساس بحاكمية الله وما كان الله ليحكم من غير حكمه وعلى هذا نستقبل الإنسان وحياته وقدره مضمون ومحكوم بالحكمة الإلهية... مما يزيد الإنسان ثقة في نفسه وحاضره ومستقبله... مما يقلل من قلقه ويدفع إلى مزيد من الاطمئنان.

شهادة أن محمدا رسول الله

كما سبق أن ذكرنا فإن الإنسان في حاجة دائمة لتقويم ذاته في علاقته المعقدة مع غيره ومع نفسه ومع الله.

ومن هنا كان الإقرار بنبوة محمد هو اختيار للنموذج الذي نقيس إليه أنفسنا.. هذا النموذج الذي اتصف بأنه الرحمة المهداة.. والأسوة الحسنة.. (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) سورة الأنبياء/ 107. ومحاولة الوصول إلى صفات هذا النموذج من خلال الممارسة كان للارتفاع بالأداء الإنساني إلى:

أ- أسمى درجات الكفاءة في العمل .

ب- أفضل المناهج الأخلاقية في التعامل مع البشر في التسامح... والإيثار.. والعدل .

ت- أفضل المناهج في تقويم الذات.. بالاعتراف بالخطأ وتربية الذات بالتحكم في رغباتها غير المشروعة .

ث- أفضل المناهج في التعامل مع الحياة.. فالتفاؤل هو القاعدة استنادا إلى التوكل على القادر (وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتهـــا الأنهار). سورة البقرة / 25.

ومن هنا تكون حياة المسلم أكثر كفاءة وتفاؤلا وعلى أكبر اتساق مع القيم.

2-الصـلاة (إن الصلاة كانت عل المؤمنين كتابا موقوتا) سورة النساء / 103

الصلاة مخ العبادة وهي بهذا المفهوم تربية سلوكية على جملة خصال

أ- الانتظام واحترام الزمن.. والتعامل في الحياة عل أساس زمان مقرر فلكل صلاة وقتها .

ب- تعود النظافة من خلال عمليات الطهارة والوضوء .

ت- تعود الارتباط بالجماعة من خلال صلاة الجماعة

ذ- تعود الطاعة في غير المعمية من خلال متابعة الإمام .

ج- تعود الاستماع من خلال الاستماع إلى تلاوة القرآن .

ح- تعود النظام من خلال الوقوف والركوع والسجود .

خ- تعود الخشوع والاتجاه إلى الله الأمر الذي يرفع قدرة الفرد على التسامي

د- تعود الإحسان في العمل من خلال الأداء المنضبط للصلاة ثم من خلال النوافل تأكيدا للعمل. وازديادا في القرب من الله وهكذا فإن الصلاة تدريب سلوكي يصحح كثيرا من أخطاء البشر في التعامل ويمهد الإنسان لصحة نفسية أسلم.

3- الزكـــــــــاة

الزكاة هي تدريب على عادات سلوكية إيجابية محددة ومع تكرارية التدريب تصبح هذه العادات جزءا لا يتجزأ من سلوك الإنسان... هذا السلوك الذي يتصف بجملة من المفاهيم والصفات أهمها : ــ

أ- قيمة المال: قيمة المال ليست قيمة مادية نهائية متناهية وإنما قيمته فيما يؤديه من وظائف وأعمال دنيوية ودينية فالزكاة طهارة للمال بالمعنى الديني

ب- قيمة التكافل الاجتماعي من أفراد المجتمع غنيهم وفقيرهم في مقابل القيمة السلبية للفردية على إطلاقها .

ت- قيمة الإيثار في مقابل قيمة الأثرة .

ث- التعود عل الأخذ والعطاء. في حركة ديناميكية إيجابية تمتد لتشمل كل إمكانات الحياة وليس المال فقط.

ومن المفيد أن نقرر أنه رغم تقرير الإسلام لمبدأ الزكاة إلا أنه دفع القيمة السلبية الناتجة عنه وهي الاعتماد على الآخرين من جانب غير القادر. ولذلك قرر الرسول أن اليد العليا خير من اليد السفلى.. كما قرر "لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب خيرا له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه

فحق الفقير في الزكاة نظمه شجب المسألة وتفضيل العمل (فالمسلم القوي خير وأحب إلى الله من المسلم الضعيف . سواء كانت هذه القوة بدنية أو نفسية أو اتحادية أو إيجابية أو غير ذلك.

4-الصـــــــوم

"كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي"

والصوم عبادة حقيقية إذ من العسير على الرائي أن يحدد صدق الفرد في صومه.. ولكن الفرد يعرف حقيقة صومه. ومن هنا كانت قيمة الصوم في أنه يناسب بين المشاعر الداخلية والنية الحقيقية من ناحية والسلوك الخارجي العام. هذا الاتساق يفتقده البشر... وانعدامه هو أساس النفاق في المجتمع. فكانت إحدى القيم الحقيقة للصوم هي البعد عن النفاق كسلوك ونحن نعلم أن النفاق من الناحية النفسية يترك الإنسان في حالة من التفسخ بين ما يراه صحيحا وما ينطق عنه بلسانه الأمر الذي يجعله يحس بعدم التجانس النفسي وعدم الوفاق الداخلي تحقيقا لمنفعة . وانعدام التجانس الداخلي يزيد من توتر الإنسان وقلقه خاصة في انتظاره لثمرات قد لا تأتي من خلال سلوكه الثقافي.

والصوم من الناحية النفسية يضيف سلوكيات جديدة للإنسان مثل-:

أ- الصبر على احتياجات الجسد وإمكانية تأجيلها ونحن نعلم أن تأجيل إشباع الاحتياجات العضوية والنفسية والاجتماعية أحد الميكانيكيات الدفاعية الإيجابية لحل التوتر وتحقيق الاطمئنان النفسي.

ب- الإحساس بالانتماء لأفراد الجماعة. وهذا الإحساس بالانتماء تغذيه كل العبادات في الإسلام. فالكل يمارس كل العبادات.

5- الحـــــــــــج

الحج عبادة. منفردة في أن تركيزها الأصيل على :

أ- تأكيد الإيمان بالله وحده .

ب- التأكيد على وحدة الأمة.

في تعاملها وتحقيقها لمنافعها الدينية والدنيوية على حد سواء.

وتتبين هذه الوحدة في المظاهرة الآتية:

- 1الإجرام ...

- 2توحيد الطقوس في الزمان والمكان والمناسك بالنسبة للجميع .

-3توحد زمن انتهاء الحج .

-4تعرف الناس على بعضهم البعض وتعارفهم جماعات وأفرادا.

وكأن الحاج يقول الله واحد وأمته واحدة.. وأن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون وإذا كان الإيمان بالله الواحد يبدأ مع الشهادة . إلا أن وحدة الأمة تعني من الناحية النفسية:

أ- إشباع دوافع انتماء الفرد للجماعة وأنه فرد واحد في هذه الأمة الكبيرة

ب- إشباع دافع إحساس الفرد بتقدير الجماعة .

ت- إشباع دافع العمل الجمعي لتحقيق الأهداف الكلية.

وهكذا فإنه مع إشباع هذه الاحتياجات الاجتماعية يزداد الاطمئنان النفسي والثقة بالنفس في المسلم وفي جماعته .

2.6- المعاملات في الإسلام والصحة. النفسية

ا- علاقة الإنسان بالمال في الإسلام :

الإنسان مستخلف من الله على ما يملك في نظر الإسلام

-إني جاعل في الأرض خليفة .....

-مال الله الذي آتاكم.

والاستخلاف أو التوكيل بالمعنى المتداول لا يلغي ملكية الأصل أو حقه في التصرف. ومن هنا كان التصرف في المال في الإسلام نابعا من أوامر الله ونواهيه.

وفكرة الاستخلاف تضعف بالتالي من العلاقة بين الإنسان والمال الأمر الذي يسهل عليه تقبل تعاليم الله فيه. والإسلام يقر بمبدأ الملكية الفردية ويحدها بالزكاة وهي حق المجتمع

فالمال وظيفة اجتماعية قبل أن يكون ملكية

وهذه الفطرة المتوازنة تؤدي إلى جملة مظاهر:

أ- المال للمسلم. ليس ربا بعد وإنما هو وظيفة يشاركه فيها المجتمع.. الأمر الذي يزيد. من الاتجاه إلى التكافل الاجتماعي.

ب- نظرة الأبناء (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) سورة الحشر/ 9. يؤكد معنى التكافل .

والتكافل الاجتماعي يؤدي إلى وحدة الأمة وجدانيا وبالتالي إلى استقرارها وأمنها... ومن هنا نصل إلى كثير من الطمأنينة النفسية للقادر وغير القادر.

2- التعامـــــــل في المـــــــــال

حرص الإسلام على تأكيد حرمة المال أي حق الإنسان فيما استخلفه الله فيه (ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل) . سورة البقرة / 188.

كم نهى عن غش الناس في التعامل "من غشنا فليس منا " ويل للمطففين). سورة المطففين/ا

كما أمر بأداء الأمانات (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها) سورة النساء / 58. كما أمر بكتابة التعاملات (إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه) سورة البقرة / 282. كما حرص على احترام التعاقدات (وأوفوا بالعقود) ، سورة المائدة / 1. كما حرص على الشهادة لتأكيد الحقوق.

ولا يـــأب الشهداء إذا ما دعوا) سورة البقرة / 282 .

(ولا تكتموا الشهادة) ، سور البقرة /283.

كما أكد على وجوب التنمية (فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه) سورة الملك/ 15، وهكذا يأمن المجتمع فيأمن الفرد وكل هذه التعاليم تساعد على التداول السليم للأموال وبالتالي إلى استقرار المجتمع والفرد.

3- المواريـــــــــــث

إن نظرة الإنسان الى المواريث هي امتداد لنظرة الاستخلاف في المال وتوزيع الميراث على الورثة طبقا للقواعد الإسلامية المعروفة يؤكد.

أ- معنى العدل.. في التقسيم على المستحقي

ب- مراعاة الاحتياجات في منح الذكر مثل حظ الأنثيين.

ت- وهكذا يرسي الإسلام مزيدا من القواعد لاستقرار المجتمع الأمر الذي يؤدي إلى مزيد من الاطمئنان النفسي.

ث- قواعد السلوك في المجتمع:

والقواعد التي وضعها الإسلام للسلوك الاجتماعي يطول شرحها إلا أننا من الممكن أن نوجز بعضا منها فيما يلي : ــ

- 1قاعدة العلو والوصول إلى حقيقة المعلومة ويدخل في ذلك المعلومة الاجتماعية التي تؤثر على العلاقات (إذا جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) . سورة الحجرات /6.

-2 قاعدة التعاون .. (كمثل الجسد

-3قاعدة الإيثار والمساحة (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) سورة الحشر / 9 . " رحم الله رجلا سمحا إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى

-4قاعدة القدوة الحسنة "مثل الجليس الصالح "... الخ.(ولكم في رسول الله أسوة حسنة)

-5قاعدة العدالة:(اعدلوا هو أقرب للتقوى". سورة المائدة / 8

--6قاعدة التناصح لتصحيح السلوك.

وهذه القواعد السلوكية وغيرها التي تستمد تأثيرها على الفرد من إيمانه بالعقيدة كفيلة بإيجاد المجتمع الفاضل الذي ينتج الإنسان الفاضل.. وهكذا تتحقق سعادة المجتمع فسعادة الفرد.

7. الحـــــــدود والصحـــــــة النفسيـــــــة

الحدود هي العقوبات التي فرضها الله سبحانه وتعالى على مرتكبي الجرائم في المجتمع الإسلامي. ويلاحظ أن العقوبات في المجتمع الإنساني

مرت بفترة كانت فلسفتها هي فلسفة الانتقام للمعتدي عليه. ولذلك كانت تقع أحكام غريبة مثل الحكم بتفتيت الحجر الذي تسبب سقوطه في إصابة شخص... وهكذا ثم مرت فترة كانت فلسفة العقوبات هي إصلاح حال المجرم. وفي هذه الفترة اتجه المشرع إلى تخفيف العقوبات وحتى إلى إلغاء الإعدام على جريمة القتل وتحسين أوضاع المجرمين في السجون وتعليمهم ما ينفعهم، غير أن الإسلام لم يأخذ بأي من الاتجاهين في موضوع الحدود إذ أن الفلسفة التي تحكم الحدود جميعا هي إصلاح المجتمع من خلال ما يلي:

أ- علانية تنفيذ الحد ليتعظ الأفراد. وهكذا يبتعدون عن الجريمة

ب- التشدد في العقوبات البدنية كالرجم والقطع والقص بالسيف وذلك حتى لا يترك لذوي النفوس الضعيفة الذين يطمعون في سماحة المجتمع أي فرصة للتفكير في ارتكاب أي من الجرائم

ت- الربط بين الحدود وإرادة الله (تلك حدود الله فلا تعتدوها) سورة البقرة/ 229. ونظرا لشدة العقوبات في الإسلام فإن القاعدة الشرعية تنص على درء الحدود بالشبهات. وهكذا لابد من اليقين لتوقيع الحدود. وطبيعي أن التوازن الاجتماعي في الإسلام يقدم مصلحة الجماعة على مصلحة الفرد وقد كان التطبيق لهذه الحدود صونا للأمن في المجتمعات الإسلامية وهكذا يتحقق ما يلي:

-1الأمن للمجتمع .

-2الاتعاظ لأفراد المجتمع .

-3استبشاع الجريمة من خلال استبشاع عقوبتها على أساس شرطي.

وهكذا تتحقق مصلحة الفرد من خلال تحقق مصلحة الجماعة والمجتمع.

8. الإســـــلام والمـــــرض النفســـــي

أ- هل يمرض المسلم :؟

المسلم يمرض بالمرض النفسي كغيره من البشر وذلك لجملة أسباب:

ا- أنه إنسان والإنسان معرض للمرض الجسماني والنفسي لأن المرض أحد مخلوقات الله وأسبابه سبحانه وتعالى في تكييف هذا الكون وضبطه ..

فكم خلال المرض يموت بعض البشر

ومن خلال وجود المرض يرتزق بعض البشر

ومن خلال وجود المرض يتعب بعض الأفراد

سواء كانوا مرضى أو من أهل المرضى.

-2أن المرض النفسي كغيره من الأمراض له أسبابه الجسمية البيولوجية وأسبابه النفسية وأسبابه الاجتماعية ويتعرض المسلم لهذه الأسباب كغيره من البشر.

-3أن الوسائل الدفاعية التي تقي من المرض ومن بينها الإيمان بالله لا تكفي وحدها للوقاية تماما من المرض النفسي ولذلك يحدث المرض النفسي للمسلم- فلو نجحت وسائل الوقاية تماما لاختفى المرض من الحياة ولتغير قاموس الكون.

-4أن كثير من الأمراض النفسية في المرض النفسي تتعرض للوظائف النفسية المعرفية والوجدانية والسلوكية وهي في هذا تختلط بالعمليات الإيمانية التي تتعرض لنفس الوظائف وعندما تحدث الأعراض النفسية للمؤمن يتصور أنها نتاج العملية الإيمانية ويصعب على الطبيب النفسي أن يحكم في مثل هذه المواقف المتداخلة. غير أنه من الممكن أن يعتمد على المؤشرات الآتية للحكم بوجود المرض:

أ- عدم الرضا عن الظاهرة من الفرد نفسه

ب- عدم رضا المجتمع وعدم تقبله لهذه الظاهرة

ت- تأثر إنتاجية الفرد تتجه لحدوث الظاهرة

ث- إن الإيمان عملية قلبية غيبية بالدرجة الأولى (قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم) سورة الحجرات/ 14. وباعتباره عملية قلبية غيبية فإنه لا يمكن قياسها أو الحكم على حقيقتها وبالتالي يصعب تحديد ما إذا كان الإيمان كافيا لدفع المرض على أساس واقعي أو تجريبي.

9. المتديـــــن والمـــــرض النفســـــي

التدين كما قدمنا أحد العوامل الدفاعية ضد المرض النفسي . إلا أن التدين قي ذاته عبء نفسي شديد.

مصداقا لقول الحق (إنا سنلقي عليك قولا ثقيلا) سورة المزمل /5. وباعتباره عبئا فقد لا يحتمل المسلم شدته فتضطرب وظائفه النفسية.

كما أن بعض المرضى قد يلجأون إلى التدين على تصور أنه هو العلاج.. غير أن الدين الصحيح لا يقبل به إلا مسلم صحيح ومن هناك يظهر المرض رغم التدين ومظاهره.

10. ما هـــــو موقـــــف الديـــــن مـــــن العـــــلاج

العلاج فضيلة مندوبة لكل سقم من واقع حديث رسول الله تداووا عباد الله فإن الله ما خلق داء إلا وخلق له دواء. ولا يختلف على هذه القاعدة مسلم أو كافر. ولا يختلف أو يمتنع تناولنا للمرض بالتداوي منه بسبب أن المرض عضوي أو نفسي.

وكما نعلم فإن لكل داء دواء يستطب به والأمراض النفسية لها علاجها الذي يمكن أن نجمله بأنه يقع على ثلاثة محاور:ـــ

ا- العلاج العضوي البيولوجي.. ولا غرابة في هذا فمع التقدم العلمي ثبتت العلاقة بين التغيرات البيولوجية والتغيرات النفسية سواء في مرحلة السواء أو مرحلة المرض.

-2العلاج النفسي بأنواعه المختلفة. ومن بينها العلاج المعرفي والسلوكي وأعتقد أن الإسلام يركز في قواعده على هذا الاتجاه لتصحيح مفاهيم البشر وتعديل عاداتهم وسلوكياتهم. وأعتقد أن استخدام هذا الاتجاه يتمشى مع الفلسفة العامة للإسلام. بل إني أقول إن الاتجاه إلى العلاج المعرفي الجماعي بدأ مع الإسلام في حلقات الدرس في المساجد وغيرها. ومن بين أنواع العلاج النفسي العلاج التحليلي والإيحاء الجمعي وغيرها.

-3العلاج الاجتماعي لتطوير الظروف البيئية والاجتماعية لتكون أكثر مناسبة للمريض الأمر الذي يساعد على عودته إلى السواء وأعتقد أن العقيدة الصحيحة لا تمنع أيا من هذه العلاجات.

ثم إننا نلاحظ في قضية العلاج النفسي تطورا جديدا يهتم بتعديل المفاهيم الدينية الخاطئة لدى المرضى وإعدادهم لتقبل قضاء الله وقدره وتحفيزهم على العمل المنتج في الدنيا لتحصيل خير الدنيا والآخرة وهذا ما نسميه العلاج الديني.

والعلاج الديني كغيره من أنواع العلاجات يستخدم مع مرضى معينين ولا يستخدم مع كل المرضى.

ولهذا فإننا في تحقيق العلاج... لأن العلاج في المرض النفسي لا يقوم به فرد واحد وإنما تقوم به مجموعة من الأفراد ذوي تخصصات مختلفة.. في فريق العلاج لا نرى مانعا من وجود الداعية الديني على أن يقوم بدور محدد يعاون على الشفاء. ويحدده له الطبيب النفسي الذي يقوم بقيادة الفريق.

11. الـــــــدور النفســـــــي للداعيـــــــة المسلـــــم

إن الإسلام دين الجميع والمسلمون كأسنان المشط. وتميز فرد مسلم بالعلم يلقى عليه كمسئولية الخشوع لله وخشيته. (إنما يخشى الله من عباده العلماء) ومسئولية نقل العلم "ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها!. والداعية المسلم عليه دوره التعليمي المعرفي إلا أن له دورا نفسيا مؤكدا في كل ما يعلم به ويأتيه من عمل . وهذا الدور يمكن أن نوجزه في دورين دور وقائي ودور علاجي.

أ- الدور الوقائي

1. مساعدة المسلم على حل مشاكله الاجتماعية والأسرية ويساعد على ذلك موقف الاحترام الذي يكون من المسلم للعلم والعلماء وخضوعه لهم مهما كان انفعاله وعصبيته .
2. مساعدة المسلم على تقبل الحياة وتحقيق الرضى النفسي من خلال الإيمان بالقضاء والقدر والموقف التفاؤلي الإسلامي للحياة.
3. مساعدة المسلم على تقوية الوازع الديني والقوى الروحية في نفسه وهكذا يساعد على بناء الضمير الفردي الذي يقود معركة الصراع الإنساني ضد غرائز الفرد ورغباته غير المشروعة. التي تهدم الفرد ثم المجتمع... كما يساعد على بناء الضمير الجماعي للمجتمع الذي يشكل قوانين المجتمع وعاداته وتقاليده.
4. مساعدة المسلم على فهم الحياة بنوازعها المختلفة والمؤثرة وتحقيق الاتزان في هذا الفهم مما يعدل المفاهيم والقيم ويصل بالفرد إلى الاطمئنان النفسي.
5. الاهتمام بالمسلم كإنسان في مجتمع ومحاولة التأكيد على الروابط الاجتماعية للإنسان الأمر الذي يساعد الفرد على الانتماء للمجتمع ويزيد من صلابة المجتمع.
6. التمييز بين التغيرات الوجدانية والنفسية التي تطرأ على الفرد من ناحية وقد يساعد على إعادتها إلى السواء الوسائل الدينية المختلفة وبين الاضطرابات النفسية التي تستدعي تدخل الطبيب النفسي.
7. وهذه النقاط تستدعي إعادة تدريب الدعاة في المعارف النفسية ليتمكنوا من القيام بكل هذه الواجبات.

ب- الدور العلاجي:

المشاركة في فريق العلاج طبقا لخطة مرسومة محددة يحددها الطبيب النفسي.

المجلـــــة العربيـــــة للعلـــــوم النفسيـــــة

eJournal Index APN

www.arabpsynet.com/apn.journal/index-apn.htm

*** ***

ملـــــف العـــــدد 36 – خريف 2012

"الاختبارات النفسية في الممارسة العربية"

المشرف: الأستاذ الدكتور خلدون مروة/السعودية

أستاذ الطب النفسي بجامعة الملك سعود- الرياض، السعودية

khmarwa@hotmail.com - mkmarwa@kfmc.med.sa - arabpsynet@gmail.com

آخر أجل لقبول الأبحاث 30 – 09 – 2012

*** ***

ملـــــف العـــــدد 37 – شتاء 2013

"العلاج النفسي من منظور ثنائي البعد"

المشرف: الدكتور إدريس عبد السلام شاهدي الوزاني – المغرب/السعودية

الطب النفسي – المدينة المنورة، السعودية

driss.chahdi@gmail.com - arabpsynet@gmail.com

آخر أجل لقبول الأبحاث 30 – 09 – 2012

دور الديـــن الإسلامـــي فـــي تحقيـــق الصحـــة النفسيـــــة*

رانيـــا الصـــاوي عبـــده عبـــد القـــوي

أستـــاذ مساعـــد بجامعـــة تبوك -قسم التربيـــة وعلـــم النفـــس، السعوديـــة

Rania_elsawy2@hotmail.com

ملخص :يسعى الإنسان طوال حياته لتحقيق الصحة النفسية ليكون أكثر توافقا مع ذاته والمجتمع الذي يعيش فيه، وذلك تحت مظلة التوجيهات الروحية الدينية، والتي تمكنه من القدرة على الوصول للمعرفة، والإدراك الصحيح لما يجري داخل الإنسان وخارجه، كما تساعده في اتخاذ القرارات والتعبير عن الذات والاستجابة للآخرين بطريقة أكثر فعالية.

فالصحة النفسية من منظور إسلامي تركز علي :

1. **الصحة الجسمية:**حيث أن المؤمن القوي أحب إلى الله من المؤمن الضعيف.
2. **الصحة الروحية:**من خلال تصحيح العقيدة ومن خلال التفاعل من مكونات النفس (النفس الأمارة - النفس اللوامة).
3. **المجتمع وسلامته:** فالإسلام يهتم بالتربية بالتركيبات الاجتماعية المختلفة كالأسرة والجماعة تفاعل هذه المكونات هو المفهوم الإسلامي الذي يؤدي في النهاية إلى الصحة النفسية للفرد المسلم، فلم يعد مفهوم الصحة النفسية قاصراً على الخلو من الأمراض والاضطرابات النفسية، وإنما تجاوز ذلك إلى اعتبار الشخص صحيحاً من الناحية النفسية إذا توافرت فيه مجموعة من الخصائص مثل: الفاعلية والكفاءة والمرونة وتوافر علاقات اجتماعية سوية، والثقة في النفس وتحمل المسؤولية، والقدرة على مواجهة الظروف الصعبة.

تفاعل هذه المكونات هو المفهوم الإسلامي الذي يؤدي في النهاية إلى الصحة النفسية للفرد المسلم، في ضوء ذلك جاء موضوع هذه المقالة التي تهدف توضيح إسهام التراث الإسلامي في التأسيس لمفهوم الصحة النفسية وذلك من خلال التعرض لأربعة قضايا أساسية وهي:

- رؤية الإسلام لمفهوم الصحة النفسية وأهميتها.
- مؤشرات الصحة النفسية في كل من الإسلام وعلم النفس المعاصر.
- عوامل بناء الصحة النفسية من منظور إسلامي.
  - عوامل ذاتية.
  - عوامل بيئية.
- منهج الإسلام في تحقيق الصحة النفسية:
  - تنمية الذكاء بأنواعه.
  - الحث على التفكير السليم.
  - تقوية الجانب الروحي.
  - السيطرة على الدوافع الفسيولوجية.
  - تعلم الخصال السوية من أجل التوافق الاجتماعي.

الكلمات المفتاحية:

- الدين الاسلامي
- الصحة النفسية

Summary

Seeks rights throughout his life to achieve mental health to be more compatible with itself and the community in which they live, under the umbrella of the guidance of spiritual religion, which enables the ability to access knowledge, and understanding what is going on within the human and abroad, and help in decision-making and self-expression and response to others more effectively.

Mental Health is from an Islamic perspective, focusing on:

1. Physical health: the strong believer is more beloved to Allah than the weak believer.

2. Spiritual health: through faith and through the correct interaction of the components of self (self is inclined - self Alloama).

3. Community and safety: Islam is interested in education formulations of various social, such as family and group interaction of these components is the Islamic concept, which eventually leads to the mental health of the individual Muslim, is no longer the concept of mental health is limited to freedom from diseases and mental disorders, but beyond that to consider a person as is true of the psychological point of if there is a set of properties such as: effectiveness, efficiency, flexibility and availability of social relationships together, and self-confidence, responsibility, and the ability to cope with difficult circumstances.

Interaction of these components is the Islamic concept, which eventually leads to the mental health of the individual Muslim, in the light of this, came the subject of this article, which aims to clarify the contribution of the Islamic heritage in the incorporation of the concept of mental health through exposure to four key issues are:

- Vision of Islam to the concept of mental health and its importance.
- indicators of mental health in both Islam and contemporary psychology.
- factors in building mental health from an Islamic perspective.
  - Subjective factors.
  - Environmental factors.
- approach of Islam in the investigation of mental health:
  - The development of different kinds of intelligence.
  - Encouragement of the sound thinking.
  - Strengthen the spiritual side.
  - Control of the physiological motives.
  - Learn the qualities of the normal order of social harmony.

Keywords:

- The Islamic religion
- Mental health

Résumé

Cherche des droits tout au long de sa vie pour atteindre la santé mentale pour être plus compatible avec lui-même et la communauté dans laquelle ils vivent, sous l'égide de la direction de la religion spirituelle, qui permet la possibilité d'accéder aux connaissances, et de comprendre ce qui se passe au sein de l'humain et à l'étranger, et aider à la prise de décision et l'expression de soi et la réponse à d'autres plus efficacement.

La santé mentale est une perspective islamique, en se concentrant sur:

1. La santé physique: le croyant fort est plus aimé d'Allah que le croyant faible.

2. La santé spirituelle: par la foi et par l'interaction correcte des composants de l'auto (soi-même est incliné - auto Alloama).

3. Communauté et de la sécurité: l'islam est intéressé dans les formulations de l'éducation des différents acteurs sociaux, tels que l'interaction familiale et de groupe de ces composants est le concept islamique, qui mène finalement à la santé mentale de la communauté musulmane individuelle, n'est plus le concept de santé mentale est limitée à l'absence de maladies et de troubles mentaux, mais au-delà de considérer une personne comme c'est le cas du point psychologique de s'il ya un ensemble de propriétés telles que: efficacité, efficience, la flexibilité et la disponibilité des relations sociales ensemble, et la confiance en soi, la responsabilité et la capacité à faire face aux circonstances difficiles.

L'interaction de ces composants est le concept islamique, qui mène finalement à la santé mentale de la communauté musulmane individuelle, à la lumière de cela, est venu le sujet de cet article, qui vise à clarifier la contribution de l'héritage islamique en l'incorporation de la notion de santé mentale par l'exposition à quatre questions clés sont:

• Vision de l'Islam à la notion de santé mentale et de son importance.

• les indicateurs de santé mentale dans l'islam et la psychologie contemporaine.

• Les facteurs dans la construction de la santé mentale dans une perspective islamique.

- Les facteurs subjectifs.
- Les facteurs environnementaux.

• Une approche de l'islam dans l'enquête sur la santé mentale:

- Le développement de différents types d'intelligence.
- Encouragement de la réflexion du son.
- Renforcer le côté spirituel.
- Contrôle des motifs physiologiques.
- Apprendre les qualités de l'ordre normal de l'harmonie sociale.

Mots-clés:

- La religion islamique
- La santé mentale

تمهيـــــــــــد

يعد الدين الإسلامي من احد أهم الآليات التي يحاول المسلم من خلالها تحقيق الصحة النفسية، والتي تمكنه من القدرة على الوصول للمعرفة، والإدراك الصحيح لما يجري داخل الإنسان وخارجه، كما تساعده في اتخاذ القرارات والتعبير عن الذات والاستجابة للآخرين بطريقة أكثر فعالية، وإذا نظرنا إلى المنهج الإسلامي وما يقدمه للأفراد والمجتمعات الإسلامية من جوانب أساسية تساعدهم على التوافق في معايشهم وبالتالي على التمتع بالصحة النفسية، لوجدنا هذا المنهج في الواقع أغنى وأقوى ما يعين الأفراد والجماعات على التمتع بها.

إن مراجعة فاحصة للتراث الإسلامي يصل بنا إلى تقرير حقيقة في منتهى الأهمية تتعلق بعناية الإسلام بالصحة النفسية, فقد حقق الإسلام كمنهج وأسلوب للحياة تلك الغاية من خلال آليتين وهما:

ربط المنهج الإسلامي الفرد بهدف سام فجعل غاية حياته عبادة الله سبحانه وتعالى وحده: قال تعالى:(وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون)(الذاريات:56)،وقال:(قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين) (الأنعام:162)، ولو أخذنا هذا الجانب وحده لوجدنا أنه يمثل قمة ما يساعد الفرد على تحقيق التوافق والصحة النفسية، فلقد نادت بعض النظريات الخاصة بالعلاج النفسي التي تهتم بالأمراض النفسية حيث يعد القلق بفروعه المختلفة في مقدمتها .. أن هؤلاء المرضى إنما يعانون من فراغ وجودي، فهم لا يعرفون غاية لوجودهم وحياتهم، مما يوقعهم في هذا القلق، والمسلم لا يشعر ولا يعايش هذا القلق .. لأنه يعرف غاية حياته، وهي عبادة الله سبحانه وحده.

كما أن عدم الاعتقاد في وجود بعث بعد الموت جعل كثيرا من الغربيين يعايشون قلقا شديدا في أواخر حياتهم، يودي بكثير منهم إلى الاكتئاب، وإلى قضاء بقية أعمارهم في مصحات الأمراض النفسية .. في الوقت الذي نجد فيه المسلم الذي عمّر قلبه بالإيمان وأدرك أنه راجع إلى ربه يتشوق إلى أن يختم حياته بمزيد من العمل ومزيد من الاجتهاد في العبادة، وليس أدل على هذا من ذلك الكم الكبير من المعتمرين والحجاج من كبار السن الذين يُقبلون على أداء المناسك تحت أي ظروف.

هكذا منحت العقيدة الإسلامية للمسلم أول مفاتيح التوافق، فالمسلم يعرف أنه مكلف بعبادة الله وحده والإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره لا يمكن أن يحزن لذهاب الشباب أو لفقدان عزيز أو لخسارة في المال أو ضياع فرصة للترقية أو لإصابة في بدنه، والمسلم لا يصل به الحزن إلى اليأس من روح الله لأنه لا يأس من روح الله إلا مع الكفر.

الآلية الأخرى تزودنا الشريعة الإسلامية الغراء بما يكفي لحماية الإنسان من الضرر: حيث تمثل ركنا أساسيا على طريق الوقاية من المرض النفسي، ذلك أن الفقهاء يحددون مقاصد الشريعة (الخمسة) في المحافظة على الدين والنفس والعقل والنسل والمال. ولو نظرنا إلى أسباب الأمراض النفسية لوجدنا في مقدمتها ما يحدث من إحباط للدوافع والحاجات، وما ينشأ من صراعات حول إشباع بعض الحاجات، وكذلك الانطلاق في طلب إشباع الحاجات من إي مصدر وبأي طريقة، وهو ما يمثل الدوافع في ارتكاب جرائم مثل القتل والسرقة والزنا بل يؤدي إلى الاتجار في المحرمات.

من هنا يمكن أن نبدأ في التأسيس للفرضية الأساسية في هذا المقال وهي: إن الإسلام قدم مساهمة عميقة في التأسيس للعناية بالصحة النفسية للإنسان, وهي مساهمة سبقت العلوم الغربية الحديثة, وتحاول الباحثة التحقق من ذلك الفرض من خلال التعرض لأربعة قضايا أساسية وهي: رؤية الإسلام لمفهوم الصحة النفسية وأهميتها، مؤشرات الصحة النفسية في كل من الإسلام وعلم النفس المعاصر، عوامل بناء الصحة النفسية من منظور إسلامي،منهج الإسلام في تحقيق الصحة النفسية.

تقتضي المنهجية هنا أن تطرح الباحثة بعض التساؤلات التي ستعمل كموجه منهجي في محاولتها للتحقق من الفرضية الأساسية للمقال, ومن ثم تحقيق الهدف العام له من هذه الأسئلة: كيف نظّر العلماء المسلمون لمفهوم الصحة النفسية وكيف تعرضوا لأهميتها؟ ما أهم المؤشرات التي تبناها العلماء المسلمين في تنظيرهم لمفهوم الصحة النفسية مقارنة بعلم النفس المعاصر؟ ما أهم عوامل بناء الصحة النفسية عند العلماء المسلمين, وأخيرا ما منهج الإسلام في تحقيق الصحة النفسية.

تعتمد الباحثة في محاولتها للإجابة على تلك الأسئلة على المنهج التحليلي وذلك بالرجوع إلى المصادر الأساسية التي اعتمد عليها العلماء المسلمين متمثلة في القرآن الكريم والسنة النبوية فضلا عن الاستشهاد ببعض العلماء المسلمين وعلماء النفس بهدف رصد كيفية عناية الإسلام بالصحة النفسية.

رؤيـــــة الإســـــلام لمفهـــــوم الصحـــة النفسيـــــة وأهميتهـــا

تشير كتابات(نجاتي، 1989، أبو سوسو, 1991, البستاني,1992، أبو شهيبة 2006،الصنيع،2006) إلى أن الشريعة الإسلامية سبقت علماء الغرب الذين عرفوا علم النفس والشخصية الإنسانية، والدليل على ذلك أن هناك مئات الآيات القرآنية التي أشارت إلى النفس في سوائها ومرضها فقد وصف الله سبحانه النفس السوية الناضجة حينما تودع حياتها الدنيوية ذاهبة إلى الله سبحانه في قوله تعالى:**(يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وادْخُلِي جَنَّتِي)** (الفجر: 27-30) ، وقد وصف القران الكريم النفس بالاطمئنان وعدم الخوف لأنها أخلصت في تقربها لله تعالى بالعبادات والأعمال الصالحة والابتعاد عن كل ما يغضب الله وتحكمت بقوة في أهوائها وشهواتها.

دعا الله سبحانه في آيات القرآن الكريم دعوه صريحة للبحث في النفس الإنسانية، ودراستها دراسة علمية تعتمد على الملاحظة والتفكير كما في قوله تعالى: **(أَوَ لَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم)** (الروم:8).

تؤكد العديد من الدراسات في مجال الصحة النفسية أن هناك دعامتين أساسيتين أو جانبين رئيسيين تعتمد عليها الشخصية، حيث يقع تحت مسئوليتهما جميع أنماط السلوك الإنساني– سواء كان سلوكاً داخلياً (التخيل – التفكير– الفهم) أو سلوكاً خارجياً (التعبير بالحركة عن الغضب والعدوان... الخ) وسواء كان سلوكا سويا أو سلوكا غير سوى، هذين الجانبين أو الدعامتين هما الجانب العقلي وما يتضمنه من ذكاءات وقدرات وسمات عقلية يتسم بها وتمتلكها الشخصية، والجانب الوجداني وما يحتويه من صراعات شعورية، وانفعالات وعواطف ومشاعر سلبية وإيجابية، يعبر عنها بأنماط سلوكية مختلفة، وفى حالة نضج هذين الجانبين وتوازنهما يحدث توافق نفسي واجتماعي للفرد مع نفسه ومع الآخرين ومع هذين النوعين من التوافق هما مؤشران هامين من مؤشرات الصحة النفسية ويمكن تمثيل ذلك بالرسم التالي:

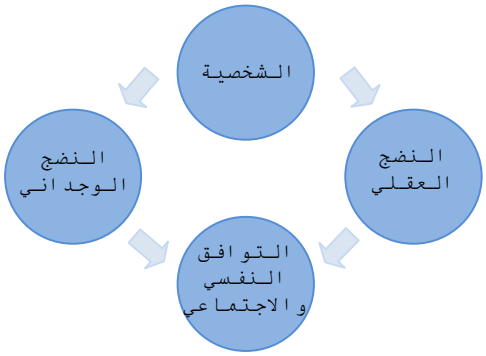

أشارت السنة النبوية لهذين الجانبين الهامين في الإنسان باعتبارهما أساس السلوك السوي والسلوى اللاسوي فعلى الجانب الوجداني الذي دائماً نعبر عنه بالقلب يقول ﷺ **(الأوان في الجسد مضغه إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله، إلا وهى القلب)**[1].

وقد أشار الرسول ﷺ بالجانب العقلي والوجداني في وقت واحد في قوله للأشج اشج عبد القيس:**(إن فيك خصلتين يحبهما الله ورسوله: الحلم والأناه)**[2] وقال النووي في شرحه لهذا الحديث: إن الحلم هو العقل، وإن الاناه التثبيت وترك العجلة وهى من حبات الجانب الوجداني وهو ضبط وثبات الانفعالات والعواطف، فالعقل يضفى على صاحبه من الصفات الحميدة ما يجعله محبوباً من الله تعالى ورسوله ﷺ والمؤمنون لأنه يهدى صاحبه إلى الحق والخير وينأى عن الضلال والشر، من هنا يمكن القول بان السنة النبوية قد سبقت علماء نفس الغرب بقرون، في توجيه الإنسان إلى السواء والصحة النفسية، فهناك العديد من الأحاديث النبوية التي تناولت النفس محاولة إقناعها، وإصلاحها، وتطورها من أجل أحداث توازن على الجانبين العقلي والوجداني حتى يحدث التوافق النفسي، أي توافق الفرد مع نفسه، والتوافق الاجتماعي أي توافقه مع الآخرين، حيث يعتبر توازنهما أهم دعائم الصحة النفسية.

تناول(طه،2005) مفهوم الصحة النفسية بأنها:(التوافق السليم والشعور بالصحة والرغبة في الحياة)، كما عرفت لجنة خبراء الصحة العالمية في منظمة الصحة العالمية الصحة النفسية بأنها:(قدرة الفرد على تكوين علاقات ناجحة مع الآخرين والمشاركة في تغيير وبناء البيئة الاجتماعية والطبيعية التي يعيش فيها وإشباع حاجاته الأساسية بصورة متوازنة وإنما شخصية قادرة على تحقيق الذات بصورة سوية.

أكد ابن القيم كعالم من العلماء النفسيين كما يشير (الأحمد،2000) على أهمية الصحة النفسية التي يسميها السعادة القلبية أو الحياة الطيبة المتصلة بالإنسان وأنه ينبغي معرفتها تفصيلاً والمحافظة عليها فقال: (ولما كانت الصحة من أجل نعم الله على عبده ، وأجزل عطاياه، وأوفر منحه، بل العافية أجل النعم على الإطلاق فحقيق لمن رزق حظا من التوفيق مراعاتها وحفظها، وحمايتها عما يضرها)، وقال:(يحتاج الإنسان لأمرين بهما يتم سعادته وفلاحه: أحدهما: أن يعرف تفاصيل أسباب الشر والخير ويكون له بصيرة في ذلك بما شهده في العالم وما جربه في نفسه وغيره وما سمعه من أخبار الأمم قديماً وحديثاً.

مؤشرات الصحة النفسية في كل من الإسلام وعلم النفس المعاصر

خلص كل من (الشناوي،2001،نجاتي،2001،الزهراني،2002) إلى بعض المؤشرات للصحة النفسية في ضوء القرآن والسنة:

1. **من حيث علاقة العبد بربه:** الإيمان بالله وحده لا شريك له، وبكتبه ورسله وملائكته، وبالآخرة والحساب، وبالقضاء والقدر، والتقرب إلى الله تعالى بالعبادات والطاعات، والإخلاص في التقوى، وإتباع كل ما أمر الله تعالى به، ووصانا به رسول الله ﷺ ، والابتعاد عن السيئات والمعاصي، وكل ما نهى عنه الله تعالى ورسوله ﷺ.

2. **من حيث علاقة الفرد بنفسه:** يعرف نفسه، ويعرف إمكاناته وقدراته وقدر نفسه، وتكون طموحاته في الحياة على قدر إمكاناته وقدراته، وهو يسعى دائماً إلى تحقيق كماله الإنساني على قدر إمكاناته وقدراته، ويعرف حاجاته ودوافعه ورغباته، ويقوم بإشباع ما يستطيع إشباعه منها بالطرق الحلال، بتوسط واعتدال من غير إسراف.

3. **من حيث علاقة الفرد بالناس:** إن علاقته بالناس بصفة عامة طيبة، فهو يألفهم ويحبهم، وهم كذلك يألفونه ويحبونه، إنه يعاملهم بالحسنى والمودة ويمد يد العون والمساعدة إليهم، إنه دائماً صادق في أقواله لهم، وأميناً في تعالمه معهم، فهو لا يكذب ولا يغش إنه لا يؤذي أحداً، ولا يحمل في نفسه حقداً لأحد، أو كراهية أو حسداً، إنه متواضع لا يتعالى ولا يتكبر على الناس، إنه يقدر جيداً دوافع الناس الآخرين، ومشاعرهم وانفعالاتهم، ويحترم آراءهم وحقوقهم، ويعفو عن المسيء منهم عند المقدرة. إنه يشعر بالمسؤولية نحو المجتمع، ويعمل دائماً على ما فيه مصلحته. وعلاقته بأسرته على وجه عام علاقة طيبة، فهو يحب زوجته، ويحترمها، ويعاملها معاملة حسنة، ويحب أولاده ويعطف عليهم، ويراعي شؤونهم، ويعنى بحسن تربيتهم وتأديبهم وتعليمهم، كما أنه يحب والديه ويحترمهما ويعطف عليهما، ويحسن معاملتهما، ويصل رحمه، ويحسن معاملة جاره.

4. **من حيث علاقة الفرد بالكون:** إنه يعرف حقيقة منزلته في الكون، وأن الله تعالى كرمه على سائر مخلوقاته، وهو يعلم رسالته الكبرى في الحياة كخليفة لله تعالى في الأرض؛ عليه مسؤوليات عمارة الأرض، وتطبيق منهج الله تعالى في الحياة، إنه يتأمل في آيات الله تعالى في الكون، وينظر إلى مخلوقات الله تعالى، ويدرك فيها قدرة الله تعالى، الفائقة اللامتناهية على بديع الخلق، ويستشعر فيها الجمال والإتقان والإبداع. إنه يشعر بمتعة الحياة في هذا الكون ، ويشعر بكل ما فيه من جمال، ويشعر بالحب نحو كل مخلوقات الله تعالى من جماد وحيوان ونبات.

وأشار (الأحمد، 2000) إلى أن ابن القيم ذكر عددا كثيراً من السمات وأغلبها يدور حول الجانب الروحي والقيمي، وتقويته، وبعضها يصلح أن يكون سمة ومؤشراً، وفي نفس الوقت مرتكزاً وطريقاً لتحقيق الصحة النفسية :

1. **العبودية:** جعل ابن القيم هذه السمة معلماً مهماً لصاحب السعادة، وشرفاً كبيراً لإنسان، وحافظاً له من الأعداء، يقول:" والحق الذي خلق به ولأجله الخلق هو عبادة الله وحده التي هي كمال محبته والخضوع والذل له ولوازم عبوديته من الأمر والنهي والثواب والعقاب" .. وقال:" وإذا كانت المحبة له هي حقيقة عبوديته وسرها، فهي إنما تتحقق بإتباع أمره واجتناب نهيه .." ويقول أيضاً: "ومبنى (إياك نعبد) على أربع قواعد: التحقق بما يحبه الله ورسوله ويرضاه من قول اللسان والقلب وعمل القلب والجوارح، وبيا نها أن العبودية منقسمة على القلب واللسان والجوارح، وعلى كل منها عبودية تخصه، والأحكام التي للعبودية خمسة: واجب، ومستحب، وحرام، ومكروه، ومباح، وهي لكل واحد من القلب واللسان والجوارح ".

2. **الوسطية:** ويسميها ابن القيم أحياناً العدل؛ حيث يقول: "وما قام الوجود إلا بالعدل، فمن اعتصم به فقد أخذ بحظه من مجامع الخير " ويقول أيضا: "فدين الله بين الغالي فيه والجافي عنه، وخير الناس النمط الوسط، الذين ارتفعوا عن تقصير المفرطين، ولم يلحقوا بغلو المعتدين، والعدل هو الوسط بين طرفي الجور والتفريط والآفات إنما تتطرق إلى الأطراف، والأوساط محمية بأطرافها فخيار الأمور أوساطها "ثم تحدث عن الوسطية والاعتدال في النوم وبين ضرر الكثرة منه والتقليل منه، وعن الأخلاق حيث قال:"والعدل يحمله على اعتدال أخلاقه وتوسطه فيها بين طرفي الإفراط والتفريط فيحمله على خلق الشجاعة الذي هو توسط بين الجبن والتهور" إلى أن قال: "فإن النفس متى انحرفت عن التوسط انحرفت إلى أحد الخلقين الذميمين ولابد، فإذا انحرفت عن خلق التواضع انحرفت إما إلى كبر وعلو؛ وإما إلى ذل ومهانة وحقارة، وصاحب الخلق الوسط مهيب محبوب، عزيز جنابه، حبيب لقاؤه".

3. **البركة:** يشير ابن القيم إلى الربط بين الطاعة والمعصية في البركة زيادة ومحقا، حيث يقول: "إن المعاصي تمحق بركة العمر وبركة الرزق وبركة العلم وبركة الطاعة، وبالجملة إنها تمحق بركة الدين والدنيا فلا تجد أقل بركة في عمره ودينه ودنياه ممن عصى الله . وليست سعة الرزق والعمل بكثرتها ولا طول العمر بكثرة الشهور والأعوام، ولكن سعة الرزق والعمر بالبركة فيه. وقد تقدم أن عمر العبد هو مدة حياته، ولا حياة لمن أعرض عن الله واشتغل بغيره، فإن حياة الإنسان بحياة قلبه وروحه، ولا حياة لقلبه إلا بمعرفة فاطره ومحبته وعبادته وحده والإنابة إليه والطمأنينة بذكره والأنس بقربه ، ومن فقد هذه الحياة فقد الخير كله "

4. **الذكر:** قال ابن القيم: "وفي الذكر أكثر من مائة فائدة منها: أنه يزيل الهم والغم عن القلب، وأنه يجلب للقلب الفرح والسرور والبسط، وأنه يورث المحبة التي هي روح الإسلام ، وقطب رحى الدين ، ومدار السعادة والنجاة " وقال أيضاً: " إن ذكر الله عز وجل يذهب عن القلب مخاوفه كلها ، وله تأثير عجيب في حصول الأمن، فليس للخائف الذ ي قد اشتد خوفه أنفع من ذكر الله عز وجل، إذ بحسب ذكره يجد الأمن ويزول خوفه حتى كأن المخاوف التي يجدها أمان ، والغافل خائف مع أمنه حتى كأن ما هو فيه من الأمن كله مخاوف .

5. **الصدق:** يقول ابن القيم: " ليس للعبد شيء أنفع من صدقه ربه في جميع أموره مع صدق العزيمة ، فيصدقه في عزمه وفي فعله، فسعادته في صدق العزيمة وصدق الفعل ، وقال: " تحروا الصدق وإن رأيتم الهلكة فيه؛ فعاقبته خير في كل الأحوال ".

6. **الطمأنينة وفرح القلب:** يقول ابن القيم: " فالطمأنينة إلى الله سبحانه حقيقة ترد منه سبحانه على قلب عبده تجمعه عليه، وترد قلبه الشارد إليه فتسري تلك الطمأنينة في نفسه، ومفاصله وقواه الظاهرة والباطنة تجذب روحه على الله ويلين جلده وقلبه ومفاصله إلى خدمته والتقرب إليه، ولا يمكن حصول الطمأنينة الحقيقية إلا بالله وبذكره، وهو كلامه الذي أنزله على رسوله صلى الله عليه وسلم " واتفقت الدراسات النفسية مع ابن القيم على جعل السعادة والشعور بالأمن وذهاب التوتر معلماً ومؤشراً على الصحة النفسية.

7. **الرضا:** إن الرضا عند ابن القيم يعني القبول القلبي والحالي، وعدم التسخط، وأنه صفة لمريد السكينة ومعلم ظاهر لأهل السعادة، حيث يقول: " والرضا يشمل الرضا بربوبيته، وألوهيته، والرضا برسوله والانقياد له ، والرضا بدينه ، والتسليم له، ومن اجتمعت فيه هذه الأربعة فهو الصديق حقاً .. وثمرة الرضا الفرح والسرور بالرب تبارك وتعالى "

8. **التعاون والتكميل:** أكد ابن القيم أن الحياة الطيبة لا تحصل لمن قصر الخير والنفع على نفسه وأهمل الآخرين، حيث يقول: " فإن الكمال أن يكون الشخص كاملاً في نفسه مكملاً لغيره، وكماله بإصلاح قوتيه العلمية والعملية، فصلاح القوة العلمية بالإيمان، وصلاح القوة العملية بعمل الصالحات وتكميله غيره بتعليمه إياه وصبره عليه، وتوصيته بالصبر على العلم والعمل "

8. **الرغبة في الآخرة:** يقول ابن القيم:" فأعقل الناس من آثر لذته وراحته الآجلة الدائمة ، على العاجلة المنقضية الزائلة ، وأسفه الخلق من باع نعيم الأبد، وطيب الحياة الدائمة، واللذة العظمى التي لا تنغيص فيها ولا نقص بوجه ما بلذة منقضية مشوبة بالآلام والمخاوف وهي سريعة الزوال وشيكة الانقضاء ".

أشار كل من(عودة ، مرسي،1986) إلى أهمية الجانب الروحي في الصحة النفسية وذكرا مؤشرات الصحة النفسية التالية:

1. **الجانب الروحي:** الإيمان بالله، أداء العبادات، القبول بقضاء الله وقدره، الإحساس الدائم بالقرب من الله، إشباع الحاجات بالحلال، المداومة على ذكر الله.

2. **الجانب النفسي:** الصدق مع النفس، سلامة الصدر من الحقد والحسد والكره، قبول الذات، القدرة على تحمل الإحباط، القدرة على تحمل القلق، الابتعاد عما يؤذي النفس (الكبرياء، الغرور، الإسراف، التقتير، الكسل، التشاؤم)، التمسك بالمبادئ المشروعة، الاتزان الانفعالي، سعة الصدر، التلقائية، الإقبال على الحياة، السيطرة وضبط النفس، البساطة، الطموح، الاعتماد على النفس.

3. **الجانب الاجتماعي:** حب الوالدين، حب شريكة الحياة، حب الأولاد، مساعدة المحتاجين، الأمانة، الجرأة في قول الحق، الابتعاد عما يؤذي الناس (الكذب، الغش، السرقة، الزنا، اقتل، شهادة الزور، أكل مال اليتيم، الفتن، الحقد، الحسد، الغيبة، النميمة، الخيانة، الظلم)، الصدق مع الآخرين، حب العمل، تحمل المسؤولية الاجتماعية.

4. **الجانب البيولوجي:** سلامة الجسم من الأمراض، سلامته من العيوب، سلامته من العيوب الخلقية، عدم تكليفه إلا في حدود طاقته.

يوضح كل من(فهمي،1995، عبد الرحمن، 1998) إلى أن هناك مؤشرات للصحة النفسية نوجزها فيما يلي:

1. أن يشعر الفرد بالأمن النفسي.
2. أن يتقبل الفرد ذاته، ويشعر بقيمته كفرد، وأن يدرك قدراته، ويتقبل حدودها، وأن يتقبل الآخرين ويتقبل الفروق فيما بينهم، والفروق فيما بينه وبينهم.
3. أن يتميز بدرجة مناسبة من التلقائية والقدرة على المبادأة.
4. أن يكون ناجحا في إنشاء علاقات فعالة ومشبعة مع الغير.
5. أن يكون واقعيا في نظرته إلى الحياة، وما يعترضه من مشاكل، وما يتوقع أن يحصل فيها من كمال.
6. أن يكون متكامل الشخصية.

مما هو جدير بالملاحظة أن مؤشرات الصحة النفسية التي وضعها علماء النفس المحدثون سواء كانوا من الغربيين أو من العرب تدور كلها حول تكيف الفرد أو توافقه مع نفسه ومع المجتمع، ومدى قدرته وفاعليته في القيام بشؤون حياته الواقعية، وإشباع حاجاته المادية الدنيوية،ولم يوجهوا أي اهتمام نحو الجانب الروحي في الإنسان، وإلى أهمية دور الدين والإيمان في الصحة النفسية، غير أن عددا قليلا جدا من علماء النفس المحدثين والمحللين النفسيين مثل :وليم جيمس ، وكارل يونج ،

وا.ا.بريل ، وهنري لينك إبتدأوا أخيراً يدركون أهمية الدين والإيمان بالله في الصحة النفسية، وأشاروا إلى الدور الهام الذي يقوم به الإيمان في بث الأمن والطمأنينة في النفس، وفي التخلص من القلق والاضطراب النفسي.

عوامل بناء الصحة النفسية من منظور إسلامي

لقد تناول الإسلام العوامل الذاتية والبيئية المسؤولة عن بناء الصحة النفسية من خلال عاملين أساسين هما:

العوامل الذاتية وتتمثل في

1. **الإيمان:** وهو أهم العوامل من المنظور الإسلامي، فلا يمكن أن يتمتع الفرد بالصحة النفسية الحقيقية إذا افتقد الإيمان الصحيح ..(**الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون**) (الأنعام: 82)ويشمل الإيمان أركانه الست: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره .

2. **الأعمال:** وهي عامل هام في الصحة النفسية، وقد ورد وصف ملازم للأعمال في الإسلام وهو " الصالحة"، فالناظر في آيات القرآن الكريم يلاحظ تكرار ذلك، بل إن الأعمال الصالحة تربط بالإيمان ربطاً يدل على تلازمهما، وأنه لا إيمان مقبول إذا لم يصحبه أعمال صالحة تدل على صدق الإيمان ورسوخه في القلب ، فقد وردت كلمة العمل الصالح بهذا الاقتران 20 مرة، وفي صيغة (عملوا الصالحات) 53 مرة . وأما اقتران الإيمان بالعمل الصالح فقد ورد بصيغة (آمن وعمل صالحاً) 7 مرات ، وبصيغة (آمنوا وعملوا الصالحات) 48 مرة في آيات القرآن الكريم. ويدخل في الأعمال الصالحة أركان الإسلام وهي الصلاة والصيام والزكاة والحج، فقد حث الله تعالى على الاكتساب والسعي في الأرض والأكل من رزقه (**هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه ، وإليه النشور**) (الملك:15) ، وقد ذكر الدعوة إلى الاكتساب بعد الانتهاء من أداء العبادة فقال تعالى: (**فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون**) (الجمعة:10) ، ويدخل في العمل أيضا: الهوايات؛ إذ إن للهواية المفيدة دور إيجابي على صحة الفرد النفسية بحيث يشغل وقت فراغه بما تهواه نفسه من أنشطة جسمية وعقلية وترفيهية نافعة.. حيث تصرف فيها الطاقة ويتخلص فيها الفرد من ضغوط العمل والحياة ، وقد جاء التوجيه النبوي :" **إن هذا الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة** " ليلفت انتباهنا إلى أن حاجة النفس بإعطائها حقها من الراحة والاستجمام المباح

3. **الأخلاق:** وهي العامل الثالث من العوامل الذاتية للصحة النفسية، فالمسلم حسن الخلق هو الذي يتمتع بالصحة النفسية، ولذلك لخص رسول ﷺرسالته بإتمام مكارم الأخلاق للمسلمين: " إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق "، وقد كان رسول الله ﷺ في أعلى مستويات الصحة النفسية التي يمكن أن يبلغها بشر(**وإنك لعلى خلق عظيم**) (القلم : 4) ، ولعل من أهم الأخلاق التالي: الإخلاص ، الأمانة، الصدق، الصبر ، التواضع ، الحلم والصفح.

4. **العلاقات:** وهي العامل الرابع من العوامل الذاتية للصحة النفسية وهي ثلاثة أنواع: العلاقة مع الله ، العلاقة مع النفس، العلاقة مع الآخرين.

العوامـــــل البيئيـــــة

مجموعة العوامل المحيطة بالفرد منذ قدومه إلى هذه الحياة الدنيا وحتى رحيله عنها بالموت وأثرها في صحة الفرد النفسية لا يمكن إنكارها، وسوف نتناول فيما يلي إلى أهم هذه العوامل

1. **الأسرة:** وهي المؤسسة الأولى التي يعيش فيها الإنسان عندما يقدم إلى هذه الحياة ويقوم الوالدان بالدور الأكبر في التأثير على شخصية المولود، فإن كانا صالحين مستقيمين على مستوى جيد من الصحة النفسية انعكس ذلك على صحة الطفل النفسية.

2. **الجيران:** وهم أفراد الحي الذي يعيش فيه الفرد، ولهم أثر إيجابي على صحة الفرد النفسية إذا كانت العلاقات قوية بين الجيران، حيث يقومون بأدوار عديدة من المساندة الاجتماعية لبعضهم.

3. **الرفاق:** بين الرسول صلى الله عليه وسلم الأثر الذي يحدثه الرفيق على رفيقه بمثال حسي وهو حامل المسك ونافخ الكير حين قال: **(مثل الجليس الصالح والسوء كحامل المسك ونافخ الكير ..)**.

4. **أماكن العبادة والتعليم والعمل:** وهي الأماكن التي يتدرج فيها الإنسان منذ صغره ويمر في مسيرة حياته في أجوائها، ويتأثر بما فيها من عوامل الخير أو عوامل الشر، مدارس التعليم العام والعالي والمهني، والمساجد كلها بيئات تعليمية بما فيها من مدرسين وطلاب ومناهج وتجهيزات قد تعين على تمتع الفرد بصحة نفسية، والمسجد من أفضل الأماكن لأنه يقام فيها توحيد الله سبحانه وتعالى، ويتوجه المسلم بقلبه إلى الله.

5. **وسائل الاتصال:** وهي مجموعة الوسائل التي يتعامل معها الفرد ليتعرف على ما حوله، وأثرها يعتمد على محتواها؛ فإن كان صالحاً يدل على الخير ويحث إليه؛ كان لبنة صالحة في البناء النفسي للأفراد.

منهج الإسلام في تحقيق الصحة النفسية

يعتمد الإسلام في منهجه لأجل تحقيق الصحة النفسية كما يشير كل من (الشناوي،2001،الزهراني 2002، الصنيع،2006) على الآتي :

1. تنمية الذكاء بأنواعه.
2. الحث على التفكير السليم.
3. تقوية الجانب الروحي.
4. السيطرة على الدوافع الفسيولوجية.
5. تعلم الخصال السوية من أجل التوافق الاجتماعي.

1- تنميـــــة الذكـــاء بأنواعـــه

الذكاء هو القدرة العقلية العامة، الذي يتصف بها إنساناً ويتضمن عدة قدرات عقلية مثل الفهم، والتفكير، التذكر، الإدراك، وهناك فروق فردية بين الناس في الذكاء، والذكاء أنواع منه الذكاء العام أي الذي يعتبر سمة أساسية في الشخصية والذكاء العملي وهو التفوق في المجال العملي عن النظري كما أن هناك الذكاء العلمي وهو التفوق في الدراسات العلمية البحتة عن النظرية والذكاء الاجتماعي وهو قدرة الفرد على عمل علاقات اجتماعية سوية نتيجة كسب رضا وحب الآخرين له، كما لا ننسى الذكاء الوجداني وهو قدرة الفرد على ضبط انفعالاته وعواطفه وميوله واتجاهاته في المواقف الحياتية بحيث تؤهله للتفاعل مع الآخرين بصورة سوية، ويعد الذكاء من أهم دعامات الصحة النفسية وخاصة الذكاء الوجداني والذكاء الاجتماعي اللذين يحققان للفرد قمة الصحة النفسية بتوافقه مع نفسه ومع الآخرين، وهناك فروق فردية في تلك الذكاءات وقد صنف الرسول ﷺ المسلمين بالنسبة للذكاء إلى ثلاثة أصناف فمنهم من هو، مثل الأرض الطيبة، قادر على تحصيل العلم وحفظه والعمل به وتعليمه للغير، فينفع به نفسه، وينفع به غيره. ومنهم من هو، مثل الأرض الجدباء (وهي الأرض الصلبة التي لا تشرب الماء)، قادر على حفظ العلم ونقله إلى

غيره فينفعه دون أن ينفع هو نفسه، ومنهم، مثل القيعان (وهى الأرض المستوية الملساء التي لا نبات فيها) وهم من لا ينتفعون بالعلم، ولا يحفظونه ليعلموا إلى الغير، وقال أيضا ﷺ : **(نحن معاشر الأنبياء أمرنا أن تنزل الناس منازلهم، ونكلمهم على قدر عقولهم)**[3].

2- الحـــث علـــى التفكيـــر السليـــم

يعد التفكير أهم قدرة عقلية يتميز بها الإنسان عن بقية مخلوقات الله سبحانه وتعالى، وقد عنى الإسلام عناية فائقة بدعوة الإنسان إلى ملاحظة الظواهر الكونية، والتفكير في بديع خلق الله تعالى، والنظر في السموات والأرض، وفى النفس، وفى جميع ما فى الكون من مخلوقات قال تعالى:(**الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً**) (آل عمران: 191)،(**أَوَ لَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم**) (الروم: 8)، ولقد دعا الرسول الكريم ﷺ كذلك إلى التفكير في آيات الله تعالى، وفى بديع خلقه، فعن أبى هريرة أن الرسول ﷺ قال: **(تفكير ساعة خير من عبادة سنة)** [4].

وعن عباس أن قوما تفكروا في الله عز وجل فقال النبي ﷺ: (**تفكروا في خلق الله ولا تتفكروا في الله فإنكم لن تقدروا قدره)** [5]. وقد أوصانا رسول الله ﷺ بالتفكير في خلق الله، ونهى عن التفكير في ذات الله، لقصور العقل الإنساني عن إدراك ما هو خارج نطاق قدرته، فالعقل الإنساني يستطيع أن يفكر جيدا في إطار العالم المحسوس، والمعرفة الحسية التي اكتسبها عن طريق حواسه، وما استنبطه منها من مفاهيم ومعان كلية، أما فيما وراء العالم المحسوس فان العقل الإنساني لا يستطيع أن يدرك الحقيقة، إلا بفضل من الله تعالى عن طريق الوحي والإلهام الإلهي، وقد أشاد الرسول ﷺ بالعقل الذي يقوم بوظيفة التفكير في قوله للأشج اشج عبد القيس: (**أن فيك خصلتين يحبهما الله ورسوله: الحُلم والأناه)** [6]، وقال النووي في شرحه لهذا الحديث: أن الحلم هو العقل، وان الاناه هي التثبت وترك العجلة. فالعقل يضفى على صاحبه من الصفات الحميدة ما يجعله محبوبا من الله تعالى ورسوله ﷺ. أن العقل يهدى صاحبه إلى الحق والخير وينأى به عن الضلال والشر، وهذا المؤشر الأول من مؤشرات الصحة النفسية.

3- تقويـــــة الجانـــــب الروحـــــي لـــــدى المسلـــــم

ذلك عن طريق :(تقوية الإيمان بالله ووحدانيته– التقوى– العبادات– التوكل على الله– الصبر– التوبة).

أ- تقويـــــة الإيمـــــان باللـــــه

إن الإيمان بالله هو القيمة الإنسانية العظمى التي على أساسها تقوم الشخصية السوية للإنسان، وقد قسم رسول الله ﷺ الناس على أساس الإيمان إلى نمطين رئيسين فقط هما: المؤمن والكافر ثم قسم المؤمن إلى مؤمن يولد مؤمناً ويظل متمسكا بإيمانه حتى يموت والمؤمن الذي يولد في بيئة كافرة ثم يؤمن ويموت مؤمناً. والكافر الذي يولد كافرا ويحيا كافراً ويموت كافراً، والكافر الذي يولد في بيئة مؤمنة ويحيا مؤمنا ثم يرتد عن إيمانه ويموت كافراً.

فعن أبى سعيد الخدرى أن الرسول ﷺ قال: (... ألا أن بنى آدم خلقوا على طبقات شتى. فمنهم من يولد مؤمناً ويحيا مؤمناً ويموت مؤمناً. ومنهم من يولد كافراً ويحيا كافراً ويموت كافراً. ومنهم من يولد مؤمناً ويحيا مؤمناً ويموت كافراً. ومنهم من يولد كافراً ويحيا كافراً ويموت مؤمناً .. الحديث) [7].

فالمؤمن الحق هو الذي يرضى بالقضاء خيره وشره، ولهذا فهو يسلم وجهه لله تعالى، ويعتمد عليه عند توكله في بداية الأمر ونهايته وبذلك يدفع ما قدر له من الشدائد والمصائب التي قد تحل به في حياته عن طريق ما يهيئ به الله عبده من الاستعداد النفسي لتقبل ما قد يقع له من هذه المصائب، ولذلك يدعو الرسول ﷺ المسلم إلى الإيمان بالله وتوحيده وعبادته وحده لا شريك له. وقد قضى الرسول ﷺ الثلاث عشرة سنة الأولى من الدعوة يدعو إلى عقيدة التوحيد، ويثبت جذور الإيمان في قلوب أصحابه، ويصفى نفوسهم ويزكيها بالتقرب إلى الله تعالى وعبادته، ولقد كان للإيمان بالله تعالى أثر عظيم في تغيير شخصيات العرب، وعلاجهم من المخاوف، كالخوف من الموت، والخوف من الفقر، والخوف من مصائب الدهر، والخوف من الناس، وأصبحوا يعيشون في أمن نفسي.

التقـــــــــــوى

يصاحب الإيمان الصادق بالله تعالى تقوى الله، والتقوى هي أن يقي الإنسان نفسه من غضب الله تعالى وعذابه بالابتعاد عن ارتكاب المعاصي، والالتزام بمنهج الله، فيفعل ما أمره الله به، ويبتعد عما نهاه عنه.

ويتضمن مفهوم التقوى أن يتحرى الإنسان دائما في أعماله الحق والعدل والأمانة والصدق، وان يعامل الناس بالحسنى، ويتجنب العدوان والظلم. ويتضمن مفهوم التقوى كذلك، أن يؤدى الإنسان كل ما يوكل إليه من أعمال على أحسن وجه، لأنه دائم التوجه إلى الله تعالى في كل ما يقوم به من أعمال ابتغاء مرضاته وثوابه. وهذا يدفع الإنسان دائما إلى تحسين ذاته، وتنمية قدراته ومعلوماته ليؤدى عمله دائماً على أحسن وجه. أن التقوى بهذا المعنى تصبح طاقة موجهة للإنسان نحو السلوك الأفضل والأحسن، ونحو نمو الذات ورقيها، وتجنب السلوك السيئ والمنحرف والشاذ".

فالتقوى إذن من العوامل الرئيسية في نضوج الشخصية وتكاملها واتزانها، وفى بلوغ التوافق الاجتماعي، وتحقيق السعادة والصحة النفسية.وأفضل الناس من وجهة نظر الإسلام، أقواهم إيمانا وأكثرهم تقوى، قال الله تعالى: (**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**) (الحجرات:13) **،وقال رسول الله ﷺ (يا أيها الناس، إلا أن ربكم واحد وأباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى)** [8]

العبـــادات

إن أداء العبادات التي كلفنا الله تعالى بها من صلاة وصوم وحج وزكاة إنما ليطهر بها النفس ويزكيها ويصقل القلب ويهيئه إلى تلقى تجليات الله عليه بالنور والهداية والحكمة (**أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ**) (الزمر :22) والإنسان السوي الذي يتمتع بصحة نفسية جيدة هو الشخص الذي يستطيع تأدية العبادات بكفاءة وحق وصدق دون اللجوء إلى النفاق والرياء أو الكسل أو الامتناع عن تأديتها.

تكفر العبادات الذنوب وتبعث في الإنسان الرجاء في مغفرة الله وعفوه ويقوى فيه الأمل في الفوز بدخول الجنة، ويثبت في نفسه الشعور بالأمن والطمأنينة، "**فعن حذيفة بن اليمان أن رسول الله ﷺ قال: (فتنة الرجل في أهله وولده ونفس وجاره يكفرها الصيام والصلاة والصدقة والأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر)** [9].

أن التكاليف (الصلاة ــ الصوم ــ الحج والزكاة) عندما يؤديها الإنسان فإنها تسهم في تهذيب النفس والسمو بها عن كل ما من شأنه أن يهبط بها فتقع في دائرة الاضطراب النفسي من خلال ارتكاب المعاصي، وإذا ما تهذبت النفس وسمت استطاع الإنسان أن يعدل من سلوكياته حسب منهج الله وتخلص من كل آفات النفس التي تفسد عليه علاقته بالآخرين مثل (الكبر ــ العجب ــ الحقد ــ الحسد)، وأصبح من خيار الناس بحسب خلقه. قال رسول الله ﷺ **(إن من خياركم أحسنكم أخلاقا)** [10].

فأداء العبادات بالإضافة إلى أنه يضفى على النفس الشعور بالطمأنينة والأمن فانه يعلم الإنسان كثيرا من الخصال الحميدة مثل الصبر، وتحمل المشاق، ومجاهدة النفس، والتحكم في أهوائها وشهواتها، والطاعة والنظام وحب الناس والإحسان إليهم، ومساعدة المحتاجين منهم والتعاون والتكافل الاجتماعي.

4- السيطـرة على (البـــــدن) الدوافـــــع الفسيولوجيـــــة

من مميزات الجانب العقلي من الشخصية الإنسانية أنه يقوم بعملية ضبط وتنظيم الإشباع للدوافع الفطرية بما يتفق مع مصلحة الفرد والجماعة، وتدعو السنة النبوية الشريفة بناء على ما جاء بالقرآن الكريم إلى نوعين من التنظيم في إشباع **الدوافع الفطرية:**

أ- **التنظيم الأول:** وهو إشباعها عن الطريق الحلال المسموح به شرعاً، ومن أمثلة هذا التنظيم إباحة إشباع الدافع الجنسي عن طريق الزواج فقط، وتحريم إشباعه عن طريق الزنا، قال ﷺ: **(يا أيها الناس، إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيباً، وأن الله تعالى أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين) ، فقال تعالى :(يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ واعْمَلُوا صَالِحاً) (المؤمنون:51) ، وقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا كُلُوا من طيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ) (البقرة:172) ثم ذكر** رسول الله ﷺ **(الرجل يطيل السفر أشعث اغبر، يمد يديه إلى السماء يارب، يارب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذى بالحرام، فإنى يستجاب لذلك)** [11]، ففي هذا الحديث ينهى الرسول ﷺ عن الطعام والشراب والملبس الحرام، فان ذلك يغضب الله سبحانه وتعالى، ويؤدى إلى عدم استجابته تعالى للدعاء.

كما ذكر الرسول ﷺ أن إشباع الدوافع عن الطريق الحرام لا يتفق مع حقيقة الإيمان، ولا يقع ممن يكون إيمانه صحيحاً نقياً فعن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: **(لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا ينتهب نهبه ذات شرف، يرمى الناس إليه فيها أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن)** [12] فالشخص المؤمن إيماناً قوياً صادقاً يقيه إيمانه من ارتكاب المعاصي كالزنا، والسرقة وشرب الخمر. أما من يرتكب هذه المعاصي فإن إيمانه لم يبلغ من القوة إلى درجة تمنعه من ارتكابها.

ب- **التنظيم الثاني :عن طريق عدم الإسراف في الإشباع:** دعا الرسول ﷺ أيضا إلى التوسط والاعتدال في إشباع الدوافع الفطرية ونهى عن الإسراف في ذلك، مؤكداً لما جاء في القرآن الكريم من نهى عن الإسراف في إشباع الدوافع قال تعالى:**(يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وكُلُوا واشْرَبُوا ولا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ المُسْرِفِينَ)** (الأعراف، 31).

وقال: (ما ملأ أدمى وعاء شرا من بطنه, بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه"[13] **وقال ﷺ: "طعام الاثنين كافي الثلاثة، وطعام الثلاثة كافي الأربعة)**[14].

في هذه الأحاديث نهى الرسول ﷺ عن الإسراف في المأكل والمشرب والملبس فالإسراف في الأكل مضر بالصحة، وتؤدى إلى السمنة التي تسبب كثير من الأمراض الجسمية والأمراض النفسية، وهناك العديد من الدراسات السيكولوجية التي أشارت إلى عدم الإسراف في الإشباع حيث انه ينعكس سلبيا الصحة النفسية للفرد مثل دراسة(أبو سوسو،2003،أبو شهبة،2006،2004).

كما يعد الدافع الجنسي من أقوى الدوافع الفسيولوجية إلحاحا في طلب الإشباع وخاصة في مرحلة المراهقة والشباب، حيث يكون الإنسان في أوج قوته وحيويته ونشاطه، وقد يشتد إلحاح الدافع الجنسي على الشاب في بعض الأوقات إلى درجة تسبب له كثيرا من الإزعاج والاضطراب بسبب الصراع الذي يعانيه في مغالبة هذا الدافع ومقاومته، ولاشك أن الزواج المبكر هو أفضل الوسائل للتخلص من شدة إلحاح الجنس، وما يسببه من صراع نفسي، وقد عالج رسول الله ﷺ هذا الصراع الذي يعيشه الشباب بسبب إلحاح الدافع الجنسي عليهم بحثهم على الزواج في حالة استعدادهم من حيث مؤن الزواج وتكاليفه، وفى حالة عدم استطاعتهم تكوين تكاليف الزواج فقد أوصاهم بالصوم على اعتبار أن الصوم يؤدى إلى أضعاف الدافع الجنسي بسبب قلة الغذاء من جهة، وبسبب انشغال بال الشاب أثناء صومه بعبادة الله وذكره وتسبيحه من جهة أخرى، فتنصرف صحته عن التفكير في الجنس، **قال رسول الله ﷺ: (يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فانه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فانه له وجاء)** [15].

يعد الزواج هو الطريقة المثلى للسيطرة على الدافع الجنسي، فهو يؤدى إلى إشباعه بالطريق الحلال المشروع، فيساعد بذلك على غض البصر وعلى التعفف عن إشباعه بالطريق الحرام، ولقد حث الرسول ﷺ الآباء على تزويج بناتهم إذا ما تقدم لهن شاب على دين وخلق، وحذر من الامتناع عن تزويجهن ممن يتقدم لهن من الشباب الذين يرضون دينهم وخلقهم، حتى لا يؤدى ذلك إلى انتشار الفساد في المجتمع. ونحن نرى ونسمع الآن من ظهور انحرافات جنسية ناتجة عن إلحاح الدافع الجنسي لدى الشباب مع رؤيتهم مفاتن جسم المرأة في القنوات الفضائية مما يثير فيهم الشهوة الجنسية مع نقص الوازع الديني مما يؤدى إلى تحرشهم واغتصابهم للفتيات والأطفال الصغار، قال رسول الله ﷺ: **(إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض)** [16].

كذلك دعا الرسول ﷺ إلى حجاب المرأة وإخفاء زينتها، ونهى أن تلبس ملابس تحكى تفاصيل بدنها حتى لا يتعرض الشباب إلى ما يثير دافعهم الجنس. **فعن عائشة أن الرسول ﷺ قال لأختها أسماء بنت أبى بكر رضي الله عنه حينما دخلت عليه وهى تلبس ثيابا رقيقا: (يا أسماء أن المرأة إذا بلغت المحيض لم تصلح أن يرى منها إلا هذا وهذا" وأشار إلى وجهه وكفه)**[17].

ومما يساعد على السيطرة على الدافع الجنسي ألا يعرض الشاب نفسه إلى رؤية ما يثير فيه الدافع الجنسي. ولذلك نصح الرسول ﷺ بعدم إطالة النظر إلى النساء، فان ذلك من شأنه إنارة الشهوة، ما من ذلك من شأنه إثارة الشهوة. **فعن بريده رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ لعلى رضي الله عنه: (يا على لا تتبع النظرة النظرة، فان لك الأولى، وليست لك الثانية)**[18].

أما عن الأطفال والصبيان فقد سبقت السنة النبوية نظريات علم النفس وخاصة نظرية التحليل النفسي لسيجموند فرويد Sigmund Freud بأربعة عشرة قرنا من الزمان والتي أشارت إلى أن الدافع الجنسي، وان كان يظهر بوضوح والى ذروته في فترة البلوغ حينما يتم النضج الجنسي، إلا أن النضج لا يحدث فجأة، وإنما يمر بمراحل نمو تمهد لظهوره في تمام نضجه في فترة البلوغ. فإذا تعرض الطفل لمثيرات شديدة، وخبرات مهيج لدافعه الجنسي، فان ذلك يساعد على تنشيط دافعه الجنسي في وقت مبكر، مما يؤثر تأثيرا ضار على يسر نموه الجنسي الطبيعي فيما بعد، فتظهر بعض الميول الشاذة والانحرافات ــ وذلك بتحذيرها من تعرض الأطفال لما يثير فيهم الدافع الجنسي في سن مبكرة ــ استجابة لتحذير الله تعالى في آياته الكريمة حيث قال:(**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلاثَ مَرَّاتٍ مِّن قَبْلِ صَلاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلاةِ الْعِشَاءِ ثَلاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ**) (النور، 58)، **وقال رسول الله ﷺ:"مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرقوا بينهم في المضاجع**"[19].

تعلـــم الخصـــال السويـــة من أجـل التوافـــق الاجتماعـــي

إن السنة النبوية قد سبقت علماء نفس الغرب الذين أشاروا في أواخر القرن العشرين إلى مؤشرات ضرورية وهامة يجب أن تتواجد لتتوفر الصحة النفسية للإنسان، ومن هذه المؤشرات أن يتسم الإنسان ببعض السمات والخصائص التي تؤهله للتوافق النفسي أولا ثم التوافق الاجتماعي ثانيا أي توافقه مع الآخرين بالمجتمع، فالإنسان اجتماعي بطبعه وفطرته، ولا يستطيع أن يعيش بدون وجود أناس آخرين معه يتفاعل معهم، ومن هنا كان لابد له من التواؤم والتكليف والتوافق حتى يستطيع العيش في أمن وأمان ورضا عن حياته الاجتماعية.

والتوافق النفسي والتوافق الاجتماعي من أهم مؤشرات الصحة النفسية، ومن متطلبات ذلك ضرورة أن يتسم الإنسان ببعض السمات الخلقية والعقلية والاجتماعية الناتجة عن إدراك وتفكير عقلي سليم (الاعتماد على النفس– والثقة بالذات– الشعور بالمسئولية– الاستقلال في الرأي وتأكيد الذات) والأخلاق الحميدة والعادات الحسنة في ممارستهم المختلفة في حياتهم اليومية، كحب الناس، التعاون، مدير العون والمساعدة إلى الغير، الرضا بما قدره الله تعالى لهم.

ولقد عنى الرسول ﷺ في السنوات الأولى من الدعوة الإسلامية بمكة ببناء الإنسان وتربيته، وإعداده لتحمل مسئوليات نشر الدعوة الإسلامية، وإقامة الدولة الإسلامية. فإلى جانب تعليمهم أصول الدين الإسلامي، وأداء العبادات، وبث جذور الإيمان والتقوى في نفوسهم، فقد كان عليه الصلاة والسلام يعلمهم أيضا الاستقامة في السلوك، والأخلاق الحميدة، والعادات الحسنة في ممارساتهم المختلفة في حياتهم اليومية، وفي تعاملهم مع الناس الآخرين. وكان يغرس في نفوسهم الأمن والطمأنينة، والتحرر من الجهل والأوهام والخرافات. وكان ﷺ يوجههم أيضا إلى العناية بصحة الجسم وقوته، وتعلم الفروسية والرماية.

فكان يعلم أصحابه ﷺ كل ما هو حسن وجميل من الخصال والأخلاق التي يعتبرها علماء النفس المحدثين من مؤشرات الصحة النفسية، فلا غرور، إذن، أن نجد الصحابة، رضوان الله عليهم، الذين تربوا في مدرسة الرسول ﷺ، قد صقلت نفوسهم، وتحررت عقولهم، وتحسنت أحلامهم، واستقام سلوكهم، وتعاملت شخصياتهم، فظهر منهم الأبطال الذين هزموا جيوش الفرس والروم، وفتحوا البلاد، وسادوا العالم، وانشأوا الدول، كما ظهر من تسلهم العلماء والمفكرون الذين تعمقوا في شتى ميادين العلم والمعرفة، والذين كانت كتبهم تدرس في الجامعات الأوروبية حتى قبيل عصر النهضة الحديثة في أوروبا، وكان لها الفضل في تنوير عقول الأوروبيين، ونشأة النهضة العلمية بينهم.

يشير (نجاتى، 2005) إلى أن تعاليم القرآن الكريم، وتعاليم الرسول ﷺ أكبر الأثر في تغيير شخصيات المسلمين، فتغيروا من ضعف إلى قوة، ومن تفكك إلى تكامل، ومن عادات سيئة إلى عادات حسنة، ومن انحرافات في السلوك إلى الاستقامة، ومن أخلاق مذمومة إلى أخلاق حميدة، أي أصبحت شخصياتهم سوية، توفرت فيها الصفات التي تعتبر من المؤشرات الجيدة للصحة النفسية.

وتضيف الباحثة بعض هذه الصفات على سبيل المثال وليس الحصر (الثقة بالنفس، الاعتماد على النفس، تحمل المسئولية، تأكيد الذات والاستقلال في الرأي، الصبر، السيطرة على الانفعالات السلبية لتوجيه الجانب الوجداني من شخصية المسلم)

1- الثقـــــة بالنفـــــس

يتمتع الإنسان السوي بالثقة بالنفس، حيث أن هناك ارتباطا بينها وبين السواء، فتساعد على اتخاذ القرارات وإصدار الأحكام، وتمنعه من التردد في الرأي، وأيضا تساعده على مواجهة الآخرين والتحدث معهم دون حرج، كما يمكن أن يلتقي بحشد كبير من الناس في أعمار مختلفة ويتحدث إليهم دون أن يرتبك أو ينتابه توتر أو قلق أو خلافه، ومن هنا كانت من أهم السمات التي يجب أن تتوافر في الإنسان حتى يتمكن من التوافق مع نفسه ثم مع الآخرين وبالتالي يتمتع بصحة نفسية.

عملت السنة النبوية المطهرة على تربية المسلم تربية تبعث فيه الثقة، مع تخليصه من الشعور بالنقص والضعف والخوف، وحثته على الاعتزاز بالنفس، وعلى الشجاعة في إبداء الرأي والتعبير عن أفكاره ومشاعره دون خشية من الناس.

عن سعيد الخدرى أن الرسول ﷺ قال: "لا يحقر أحدكم نفسه" قالوا: يا رسول الله، كيف يحقر احدنا نفسه؟ قال: يرى أمرا لله عليه فقال، ثم لا يقول فيه، فيقول: الله عز وجل له يوم القيامة ما منعك أن تقول في كذا وكذا؟ فيقول خشية الناس، فيقول: فأياى كنت أحق أن تخشى"[20].

ويتكون مفهوم الإنسان عن نفسه نتيجة معاملة الوالدين والأهل أثناء تنشئته الاجتماعية، ونتيجة خبراته الشخصية في كثير من المواقف التي يتعرض فيها للفشل أو العقاب أو النقد. والمفهوم الإيجابي عن الذات يؤدى إلى الثقة بالذات والعكس صحيح.

وقد كان الرسول ﷺ نموذجا مثاليا في حسن معاملته لأبنائه وأحفاده. وحث أصحابه عن حسن معاملة الأولاد **فعن انس أن الرسول ﷺ قال:** "**أكرموا أولادكم وأحسنوا أدبهم**"[21]، وكان الرسول ﷺ يدرك أهمية الاسم في تكوين مفهوم الذات لدى الأبناء فالاسم الحسن الجميل من أحد عوامل تكوين المفهوم الحسن عن الذات، وقد ميز بالفعل أسماء بعض أبناء المسلمين كاسم حرب مسلما، وشهاب هشاما، المضطجع المنبعث، كما غير العاصي، شيطان ... الخ، **عن ابن عمر، قال: ابن ابنه كانت تسمى عاصية، فسماها رسول الله ﷺ جميلة وعن أسامة ابن الخدرى أن رجلا يسمى أصرم كان في النفر الذين أتوا رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ "وما اسمك؟ قال: أنا اصرم ، قال: بل أنت زرعة**"[22]

2- الاعتمـــــاد علـــــى النفـــــس

إن الاعتماد على النفس في معظم أمور الحياة، وعدم الالتجاء إلى الغير لطلب قضاء الحاجة من السمات الهامة والضرورية لكي يصبح الفرد متوافق نفسيا واجتماعيا وبالتالي متمتعا بالصحة النفسية والاعتماد على النفس يعنى قوة وصلابة الإرادة، وكان الرسول ﷺ يعلم أصحابه الاعتماد على النفس، وتولى شئونهم بأنفسهم، وعدم الاتكال على الغير في قضاء حاجاتهم. **وعن ثوبان أن الرسول ﷺ قال:"من يكفل لي أن لا يسأل الناس شيئاً وأتكفل له بالجنة؟" فقال ثوبان: أنا فكان لا يسأل أحدا شيئا"**[23] ، وكان الرسول ﷺ يحث أصحابه على الاعتماد على النفس في الكسب والحصول على الرزق، وينهاهم عن سؤال الناس. **وعن أبي هريرة أن الرسول ﷺ قال: والذي نفس بيده لان يأخذ أحدكم حبلة فيحتطب على ظهره خير له من أن يأتي رجلا ليسأله أعطاه أو منعه"**[24].

3-الشعـــــور بالمسئوليـــــة

تحتوى السنة النبوية المطهرة وما بها من أحاديث شريفة على وصايا الرسول ﷺ للمسلمين للقيام كل بدوره في الحياة ووضع لكل فرد حقوقه وواجباته تجاه المجتمع وبهذا يكون قد سبق علماء الغرب في وصف الإنسان السوي الذي يتمتع برضا الله ورسوله ورضا المجتمع وبالتالي من يتمتع بصحة نفسية هو الذي يقوم بدوره وواجبه تجاه الآخرين ويكون بذلك متحملا المسئولية، وهذا ما أوصانا به رسول الله ﷺ قبل أن يشير إليه علماء النفس والصحة النفسية حيث أشاروا بان الإنسان الذي يقوم بدوره أو بأدواره بكل إخلاص ودقة في عمله شخص يتمتع بصحة نفسية فمن الصفات الهامة للشخصية السوية شعور الفرد بالمسئولية في شتى صورها، سواء كانت مسئولية نحو الأسرة، أو نحو المؤسسة التي يعمل بها، أو نحو زملائه ورفاقه وجيرانه وغيرهم من الناس الذين يختلط بهم، أو نحو المجتمع عامة، أو نحو الإنسانية بأسرها.

ولقد عنى الرسول ﷺ بتربية أصحابه على الشعور بالمسئولية، فعن ابن عمر أن الرسول ﷺ قال: "كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، فالإمام الذي على الناس راع وهو مسئول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته وهو مسئول عن رعيته، والمرأة راعية على أهل بيت زوجها وهى مسئولة عنهم، وعبد الرجل راع على مال سيده وهو مسئول عنه، ألا كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته"[25]

وقرر الرسول ﷺ في هذا الحديث مسئولية كل فرد نحو ما كلف برعايته أو ما يطلب منه القيام به من أعمال وواجبات، فقد خاطب جميع أفراد المجتمع ثم اخذ نماذج عامة من المسئولية الاجتماعية الإمام والحاكم ، في الرجل والمرأة والعبد.

4- تأكيد الذات والاستقلال في الرأي

من سمات الشخص السوي هو استقلاله برأيه دون التبعية للغير أي السير وراء آراء الآخرين دون فهم، فالاستقلال بالرأي أسلوب من أساليب تأكيد الذات، وقد أوصى رسول الله ﷺ المسلمين بتأكيد ذاتهم واستقلالهم بآرائهم كما كان ينمى ذلك في أصحابه، **فعن حذيفة أن رسول الله ﷺ قال: "لا يكن أحدكم إمعه، يقول أنا مع الناس أن أحسن الناس أحسنت، وان أساءوا أسأت. ولكن وطنوا أنفسكم أن أحسن الناس أن تحسنوا، وان اساءوا تجنبوا إساءتهم"**[26].

وفى هذا الحديث يوجه الرسول أصحابه على تأكيد الذات، والاستقلال في الرأي وينهاهم عن أن يكونوا تابعين للغير، يرون ما يرى الناس، ويفعلون ما يفعل الآخرون دون أن تكون لهم إرادة واختيار فيما يرون ويفعلون.

5- الصبـــــــــــر

من المؤشرات الهامة للصحة النفسية قدرة الفرد على تحمل مشاق الحياة والصمود في مواجهة الشدائد والأزمات، والصبر على كوارث الدهر ومصائبه، فلا يضعف أمامها ولا ينهار، ولا يتملكه اليأس، وقد أوصانا الله تعالى في كثير من الآيات بالصبر قال تعالى: ﴿**واسْتَعِينُوا بالصَّبْرِ والصَّلاةِ وإنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إلاَّ عَلَى الخَاشِعِينَ**﴾ (البقرة: 45).

وكان الرسول ﷺ يعلم أصحابه أن ما يحل بهم من أمراض أو مصائب إنما هو ابتلاء من الله تعالى، يرفعهم بها درجات، ويمحو بها عنهم خطايا، ويكتب لهم حسنات. وكان هذا التعليم النبوي يقوى منهم عادة الصبر على شدائد الحياة، ويحمل مصائبها بنفس راضية بقضاء الله تعالى **فعن أبي هريرة وأبى سعيد أنهما سمعا رسول الله ﷺ يقول: "ما يصيب المؤمن من وصب ولا نصب ولا سقم ولا حزن حتى الهم يهمه إلا كفر الله به من سيئاته"**[27]

6-السيطرة على الانفعالات السلبية لتوجيه الجانب الوجداني من شخصية المسلم

أ-انفعال الغضب

الغضب انفعال فطرى يظهر عندما يعاق أحد الدوافع الأساسية أو الهامة عن الإشباع، فإذا منع عائق ما الإنسان عن الوصول إلى هدف معين يحقق إشباع أحد دوافعه الأساسية أو الهامة، فانه يغضب ويثور ويقاوم هذا العائق من أجل التغلب عليه وإزالته حتى يستطيع الوصول إلى هدفه وإشباع دافعه، وتتوقف درجة شدة الغضب على درجة شدة الدافع، وتبعاً لأهمية الهدف المراد بلوغه، وهناك غضب محمود وآخر مذموم، ولقد أثنى الله تعالى على رسوله ﷺ وأصحابه لغضبهم على الكفار في كفاحهم من أجل نشر الدعوة الإسلامية، قال تعالى:(**مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ والَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ**) (الفتح: 29) والشدة على الكفار نتيجة غضبهم من اعتدائهم على الإسلام، والغضب المذموم هو الغضب بسبب عرض زائل من أعراض الدنيا التافهة أي أمر غير أساسي أو ضروري، وكان الرسول لا يغضب لشخصه، وإنما يغضب للحق، وإذا اجترئ على حد من حدود الله. **قال على رضي الله عنه: "كان رسول الله ﷺ لا يغضب للدنيا، فإذا أغضبه الحق لم يعرفه أحد، ولم يقم لغضبه شئ حتى ينتصر له"**[28] وللغضب تغيرات **فسيولوجية وصفها الرسول ﷺ في قوله:"ألا وان الغضب جمرة في قلب ابن ادم، أما رأيتم إلى حمرة عينيه، وانتفاخ اوداجه ... الحديث"**[29]

نفهم من هذين الحديثين أهمية التحكم في الغضب في حياة المؤمن لأنه ينقذه من غضب الله، كما أن هناك قيمة عظيمة لمجاهدة النفس في التحكم في الغضب، فمن يستطيع أن يملك نفسه عند الغضب، يستطيع كذلك أن يملك نفسه في مواجهة شهوات نفسه وأهوائها، ومغريات الدنيا وملذاتها وفضلا عن ذلك، فان التحكم في الغضب مؤدى إلى حسن العلاقات والتوافق النفسي والاجتماعي، وهما مؤشران هامان في الصحة النفسية، وكان الرسول ﷺ يحث أصحابه على التحكم في الغضب، ويعد من يفعل ذلك بالثواب العظيم في الآخرة، **فعن معاذ بن انس أن النبي ﷺ قال: "من كظم غيظا وهو قادر أن ينفذه دعاه الله سبحانه وتعالى على رؤوس الخلائق يوم القيامة حتى يخير من الحور العين ما شاء"**[30].

سبق رسول الله ﷺ علماء نفس الغرب الذين أشادوا بعلاج حالة الغضب بالاسترخاء. **فقد أشار ﷺ إلى هذه الحقيقة حينما نصح أصحابه بالجلوس إذا غضبوا وهم قائمون، فان لم يذهب الغضب فليطجعوا**

فعن أبى ذر أن الرسول ﷺ قال: "إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس، فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع"[31]، فالجلوس أو الاضطجاع في حالة الغضب يؤديان إلى استرخاء البدن، مما يساعد على مقاومة التوتر الذي أحدثه الغضب، ويعلل حده العدوان.

والوضوء كذلك من الأساليب التي نصح الرسول ﷺ أصحابه بها أيضا من أجل السيطرة على الغضب، **فعن عروه بن محمد بن السعدي أن الرسول ﷺ قال: "أن الغضب من الشيطان، وأن الشيطان خلق من النار، وإنما تطفأ النار بالماء فإذا اغضب أحدكم فليتوضأ"**[32]

ب- السيطـــــرة علـــــى انفعـــــال الكبـــــر

الكبر، وهو التعالي عن الناس واحتقارهم، حالة انفعالية مكروهة، وسمة خلقية مذمومة، قد ذمها القرآن الكريم وذمها الرسول ﷺ وتوعد المتكبرين بعقاب شديد. **فعن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال:"لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر" فقال رجل: أن الرجل يجب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسناً فقال: أن الله تعالى جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمض الناس"**[33]، ففي هذا الحديث وعيد لمن يرد الحق ويرفضه كبرا، ولمن يتعالى على الناس ويحتقرهم، بالحرمان من دخول الجنة، **وعن أبى سعيد وأبى هريرة قال الرسول ﷺ راويا عن ربه عز وجل: "قال الله تعالى: الكبرياء ردائي، والعز ازارى، فمن نازعني شيئا منهما عذبته"**[34]، **وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن الرسول ﷺ قال: "يُحشر المتكبرون أمثال الذر يوم القيامة، يغشاهم الذل من كل مكان، يساقون إلى سجن في جهنم يقال له بُولس، تعلوهم نار الانيار، يسقون عصارة أهل النار، طينة الخيال"**[35]، **وعن ثوبان أن الرسول ﷺ قال: "من مات وهو برئ من ثلاث: الكبر والغلول والدين، دخل الجنة"**[36]

ج- السيطـــــرة على انفعـــــال الحـــــزن

يشعر الإنسان بالحزن عندما يفقد شخصا عزيزا، أو شيئا هاما له قيمة. ويحدث الحزن في الإنسان شعورا بالكدر والضيق، وقد دعا الرسول ﷺ المسلمين إلى السيطرة على الحزن إذا ما حلت بهم مصيبة الموت، أو أي مصيبة أخرى من مصائب الدنيا. وليس المقصود بالسيطرة على الحزن عدم البكاء، وعدم الشعور بالحزن في القلب لموت شخص عزيز، فان البكاء والشعور بالحزن في مثل هذه المواقف أمر طبيعي، وإنما المقصود بالسيطرة الامتناع عن المبالغة في البكاء بصوت مرتفع، وعن النياحة، والندب، **فعن ابن عمر أن رسول الله ﷺ عاد سعد بن عباده، ومعه عبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبى وقاص، وعن عبد الله بن مسعود، فبكى رسول الله ﷺ، فلما رأى القوم بكاء رسول الله ﷺ بكوا، فقال: "ألا تسمعون؟ أن الله لا يعذب بدمع العين ولا يحزن القلب، ولكن يعذب بهذا أو يرحم وأشار إلى لسانه"**[37].

د- السيطـــرة على الصـــراع لتحقيـــق تـــــوازن الشخصيـــــة

تشير(أبو شهبة ، 2003) إلى أن أهم أسباب اعتلال الصحة النفسية للفرد هو معاناته من الصراع النفسي، والصراع هو العمل المتزامن أو المتوقف للدوافع أو الرغبات المتعارضة أو المتبادلة. وينتج عن وجود حاجتين لا يمكن إشباعهما في وقت واحد، أو هو اصطدام بين قوتين واحدة تدفع والأخرى تمنع، مما يؤدى إلى التوتر الانفعالي أو القلق واضطراب الشخصية ولا يخلو فرد من الصراع خلوا تاماً ولكن المطلوب والمرغوب أن يكون هذا الصراع في الحد الأدنى بحيث لا يستنفذ طاقة الفرد النفسية، ويبددها.... ويمكن تمثيل الصراع بين دوافع الفرد وحاجاته بالحرب الأهلية داخل الشخصية فتنهك قواها على سبيل المثال إذا دفع الإنسان تحت تأثير دافعين قوتين متساويين في القوه ومتضادين في الاتجاه، فيجذبه أحد الدافعين إلى هدف ما، ويجذبه الدافع الآخر إلى هدف آخر مضاد للهدف الأول، فيشعر الإنسان بحاله من الحيرة والتردد، لا يستطيع معها أن يتجه إلى أي من هذين الهدفين.

فهو إن اتجه إلى الهدف الأول، فإن قوة الدافع الذي يجذبه إلى الهدف المضاد تشتد فتوقف حركته، وتأخذ في شدة نحو الاتجاه المؤدى إلى الهدف الآخر المضاد. فإذا أبتعد قليلا عن الهدف الأول تشتد قوة الدافع الذي يجذبه إليه فتوقف حركته... وهكذا يقع الفرد في حالة من التردد والحيرة بين هذين الهدفين لا يستطيع أن يصل إلى أي منهما وتعرف هذه الحالة بالصراع النفسي.

وقد وصف الرسول ﷺ حالة الصراع النفسي الذي يشعر به المراهق في تردده بين الانضمام إلى جماعة المسلمين أو إلى جماعة الكفار، وشبهه بحالة الشاه الحائرة بين مجموعتين من الضم، فتنضم إلى أحداهما مره وإلى الأخرى مره، ليس لها ثبات في الاستقرار في إحدى المجموعتين **فعن ابن عمر أن النبي ﷺ قال: "مثل المنافق كمثل الشاه العائره بين الغنمين تصير إلى هذه مرة ولى هذه مرة"**[38]

كما وصف رسول الله ﷺ الصراع النفسي بين الجانب المادي والجانب الروحي في الإنسان وصفاً دقيقاً بتمثيله بمثال واقعي يصور هذا الصراع تصويراً حياً دافعياً **فقال: "مثلى كمثل رجل استوقد ناراً، فلما أضاءت ما حولها، جعل الفراش وهذت الدواب التي في النار يقعن فيها، وجعل يجزهن ويقلبنه فيتحمن فيها، فذلكم مثلى ومثلكم أنا آخذ بحجزكم عن النار، هلم عن النار، هلم عن النار، فتقلبونى وتقحمون فيه"**[39].

وقد صور رسول الله ﷺ في هذا الحديث صورة الصراع بين الشهوات الحية ومغريات الحياة الدنيوية من جهة، والدوافع الدينية والروحية التي تحث الإنسان على عدم الانغماس في شهواته وأهوائه من جهة أخرى.

اعتنى رسول الله ﷺ بتحقيق التوازن بين البدن والروح، وعلى سبيل المثال أنه اعتبر العمل عباده، فمن سعى في سبيل كسب قوته، وأعاله والديه وزوجته وأولاده، فهو في سبيل الله. **كان الرسولﷺ جالساً مع أصحابه ذات يوم فرأى شاباً ذا جلد وقوة قد خرج مبكراً يسعى فقالوا: ويح هذا الشاب. لو كان شبابه وجلده في سبيل الله ! فقال ﷺ. "لا تقولوا هذا، فإنه إذا كان يسعى على نفسه ليكفها عن المسألة، ويغنيها عن الناس، فهو في سبيل الله، وأن كان يسعى على أبوين ضعيفين أو ذريه ضعاف ليعيهم ويكفيهم، فهو في سبيل الله، وأن كان يسعى تفاخراً وتكازا فهو في سبيل الشيطان"**[40].

هـ- الشعـــــور بالأمـــــن النفســـي

يعد من مؤشرات الصحة النفسية الشعور بالأمن النفسي وهذا أيضاً ما أشارت إليه معظم الدراسات السيكولوجية في مجال الصحة النفسية الأجنبية والعربية والسنة النبوية المطهرة قد سبقت تلك الدراسات والكتابات، فقد كان رسول الله ﷺ دائم الدعوة لأصحابه إلى الإيمان بالله تعالى، ودائم الترغيب لهم في تقوى الله تعالى، وكان الرسول ﷺ يبث في أصحابه روح الإخاء والتعاون والتماسك أو التكامل الاجتماعي، ويقوى فيهم روح الانتماء إلى الجماعة ، ويقرر بينهم أواصر العلاقات الاجتماعية، ويدعوهم إلى حب الناس، مما جعل المجتمع الإسلامي في عصر الرسول نموذجاً مثالياً للمجتمع الإنساني، فالشعور بالحب نحو

الأفراد الآخرين والشعور أيضاً بأنه مقبول ومحبوب منهم، من العوامل الهامة لشعور الفرد بالراحة النفسية والأمن النفسي- وقد **أشار الرسول ﷺ في حديث عن عبيد الله بن محصن الخطمي أن الرسول ﷺ قال: "من أصبح آمنا في سربه، معافى في جسده، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا بحذا فيرها**[41]".

ففي هذا الحديث أشار الرسول ﷺ إلى ثلاثة أسباب رئيسية للسعادة كما يوضح (نجاتي، 1993) وهي الشعور بالأمن في الجماعة، وصحة الجسم، والحصول على القوت. ولا شك في أن شعور الإنسان بالأمن النفسي في معيشته في الجماعة التي ينتمي إليها، وصحته البدنية وخلوه من الأمراض، وإشباعه لحاجاته الفطرية بطرق مشروعه من مؤشرات الصحة النفسية.

الخاتمـــــــة

جاء الإسلام مطهرا لنفوس البشر، يحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث، فقد حرم الإسلام الخمر وهي أم الكبائر، كما حرم التعامل بالربا، وحرم الزنا وقتل النفس، وهذه كلها من البلايا التي ابتليت بها المجتمعات الغربية.

فالإسلام يدعو إلى مكارم الأخلاق، فهو يدعو إلى الصدق والأمانة، وعدم الغش والوفاء بالعهد ، وعدم التكبر ومساعدة الضعفاء وغير ذلك كثير مما يساعد على تحقيق السلام بين أفراد المجتمع ويساعدهم على التمتع بالصحة النفسية.

كما أن الإسلام يهتم بجانب المسؤولية .. وقد جعل الإسلام كل فرد مسئولا عن نفسه وعن عمله لا يحاسب والد بولده ولا ابن بأبيه.. ولو تحقق للفرد تحمله المسؤولية فإنه يتحقق له جانب كبير من جوانب الصحة النفسية . ذلك أن كثيراً من الأمراض النفسية إنما يرجع إلى عدم تحمل المسؤولية والهروب منها، حتى إن الأمراض العقلية الخطيرة مثل الفصام قد تكون هروباً من المسؤولية في صورة انفكاك عن الواقع .

فالإسلام يساعد الفرد على بناء شخصيته وتعديله لهذه الشخصية بمحاسبته نفسه دائما . ويعطيه وسائل العلاج الذاتي من العبادة والاستغفار والتوبة والصبر والذكر وغيرها مما يساعد الفرد على استعادة توازنه النفسي في أي موقف يطرأ عليه . وبذلك يواجه المواقف بما تستحق .

فالإسلام لم يمنع الإنسان من إشباع حاجاته بل إن ما ذكره القرآن الكريم من حاجات للإنسان يفوق ما ذكرته جميع نظريات الدوافع، كما أن الإسلام يتفوق عليها جميعا في أنه وضع أسس و ضوابط لإشباع الحاجات يمكن أن نجملها في ثلاث قواعد أساسية:

1. أن يتحقق بإشباع الحاجة الوفاء بعبادة الله سبحانه وتعالى وعمارة الأرض.
2. أن يكون إشباع الحاجة من مصدر حلال.
3. التزام الاعتدال في إشباع هذه الحاجات.

كما ينظم الإسلام العلاقات بين الأفراد، بين الزوج وزوجته، وبين الآباء والأبناء، وبين الجيران بعضهم وبعض، وبين أولي الأرحام، وبين المتعاملين في تعاقدات وتجارات بما يتحقق معه دائماً وجود المودة والرحمة.

إن معيار الصحة النفسية الذي وضعه الإسلام ليس معياراً وضعياً من صنع البشر، وإنما هو معيار حدده لهم خالقهم جل وعلا قال تعالى:(**ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير**)(الملك:14)، وقال:" **ونفس وما سواها، فألهمها فجورها وتقواها، قد أفلح من زكاها، وقد خاب من دساها** "(الشمس:7)، وصدق الله تعالى حين قال:" **من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولتجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون** "(النحل:97)

ولا شك في أن إتباع المسلم للمنهج الإسلامي إتباعا صادقاً هو خير ما يساعده على بناء شخصية سوية متوافقة، وخير ما يقيه مما يمكن أن يحدث له نتيجة لما يلم به من ملمات، وخير ما يعالجه حين ينتابه الوهن والقلق والخوف والاكتئاب.

المراجـــــــــــع

1. القرآن الكريم
2. إبراهيم،معوض عوض(د.ت) **الإسلام والأسرة**، القاهرة: دار النشر للجامعيين.
3. أبو سوسو، سعيدة محمد (1991) **سمات شخصية الطفل المسلم**، مجلة كلية التربية، القاهرة: جامعة الأزهر.
4. أبو شهبه، هناء يحيى (2003) **الصحة النفسية للطفل**، القاهرة: دار الفكر العربي.
5. أبو شهبه، هناء يحيى (2004) **فاعلية برنامج إرشادي نفسي ديني لتخفيف الإحساس بالمشكلات لدى المراهقات الجامعيات**، مجلد مؤتمر التوجهات التنموية في تطوير التعليم الجامعي العربي، ج2، كلية الدراسات الإنسانية، القاهرة: جامعة الأزهر.
6. أبو شهبه، هناء يحيى. (2006) **التشخيص والإرشاد والعلاج النفسي في ضوء الإسلام**، بحث ألقى ونوقش ونشر في مؤتمر العلاج النفسي رؤية تكاملية، كلية الآداب ، جامعة المنوفية.
7. الأحمد ، عبد العزيز بن عبد الله (2000) **الطريق إلى الصحة النفسية (عند ابن قيم الجوزية وعلم النفس)** ، الرياض : دار الفضيلة ، ط1 .
8. البستاني،محمود (1992) الإسلام وعلم النفس، مجمع البحوث الإسلامية، ط1، لبنان: بيروت
9. الترمذي ، أبو عيسى (د.ت) **صحيح الترمذي**، شرح الإمام ابن العربي المالكي،ج 5، دار الكتاب العربي، بيروت.
10. الزهراني، مسفر بن سعيد بن محمد (2002) : **التوجيه والإرشاد النفسي من القرآن الكريم والسنة النبوية**، مكة، المكتبة المكية ،ط1، المملكة العربية السعودية: المكتبة المكية.
11. السجستاني، أبو داود سليمان بن الأشعث (د.ت) **سنن أبي داود تحقيق**: حجي الدين عبد الحميد،ج 2، بيروت: دار الفكر.
12. الشناوي، محمد محروس (2001) **بحوث في التوجيه الإسلامي للإرشاد والعلاج النفسي**، القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر.
13. الصنيع ، صالح بن إبراهيم بن عبداللطيف (2006) **الصحة النفسية من منظور إسلامي**،ط1، القاهرة: دار الهدي النبوي.
14. الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد (د.ت) **أحياء علوم الدين**، ج 4،بيروت: دار المعرفة.
15. النووي، أبو زكريا يحيى "د.ت" **رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين** ،ج1، القاهرة: دار ابن الهيثم.

16. طه، فرج عبد القادر (2005) موسوعة علم النفس والتحليل النفسي، الطبعة الثالثة، دار سعاد الصباح، بيروت،لبنان.

17. عبد الرحمن، محمد السيد (1998) **دراسات في الصحة النفسية**، الجزء الثاني ، دار قباء ، القاهرة .

18. عوده،محمد،مرسي، كمال (1986) **الصحة النفسية في ضوء علم النفس والإسلام**، الكويت:دار القلم.

19. مسلم، أبو الحسين (1924) **صحيح مسلم ـ شرح النووي**، الجزء الثاني ، القاهرة: المطبعة المصرية ومكتبها.

20. ناصف، منصور على (1975) **التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول ﷺ**، ط4 ،ج 2،ج 3،ج 5، القاهرة: دار الفكر.

21. نجاتي، محمد عثمان (1989) **الحديث النبوي وعلم النفس**، ط1، القاهرة: دار الشروق.

22. نجاتي، محمد عثمان (2001) **القرآن وعلم النفس**، ط7، القاهرة: دار الشروق.

23. نجاتي، محمد عثمان (2005) **الحديث النبوي وعلم النفس**، ط5، القاهرة: دار الشروق.

20. فهمي، مصطفى (1995) **الصحة النفسية** ، دراسات في سيكولوجيا التكيف ، ط3،القاهرة ، مكتبة الخانكي.

مراجـــــع النـــــص

(1) أخرجه البخاري ومسلم (النووي، جـ1، الحديث رقم 589/8).

(2) أخرجه مسلم عن عبيد الله بن معاذ عن أبيه ، جـ1، صـ189.

(3) أخرجه أبو داود عن عائشة (تخريج زين الدين أبي الفضل العراقي، جـ1، صـ 57 هامش (2).

(4) الإمام الغزالي (أحياء علوم الدين) جـ4، صـ423، أخرجه زمن الدين أبو الفضل العراقي.

(5) الإمام الغزالي (أحياء علوم الدين) جـ4، صـ423، 424، أخرجه زمن الدين أبو الفضل العراقي.

(6) أخرجه مسلم عن عبيد الله بن معاذ عن أبيه ، جـ1، صـ189.

(7) أخرجه الترمذي في الفتن بسند صحيح (ناصف، جـ5، صـ289).

(8) أخرجه أحمد عن أبي نضره، جـ5، صـ411.

(9) أخرجه البخاري وابن ماجه، واحمد ومسلم والترمذي.

(10) أخرجه مسلم والبخاري (النووى) والشيبانى، جـ4،وأحمد والدرامى.

(11) أخرجه مسلم والترمذي (الشيبانى، جـ4، صـ 137، 138). وأحمد والدرامي.

(12) أخرجه الشيخان وأبو داود والترمذي، والنسائي (الشيبانى، جـ4، صـ309، 310).

(13) أخرجه الترمذي واحمد والحاكم (ناصف، جـ5، صـ167)

(14) أخرجه الشيخان ومالك والترمذي (الشيبانى، جـ2، صـ130).

(15) أخرجه البخاري، جـ19، صـ129-132، الحديث رقم 5056، ومسلم، جـ9، صـ172، وأبو داود جـ2، الحديث رقم 2046.

(16) أخرجه الترمذي في النكاح، جـ5، جـ305، وابن ماجه في النكاح (ونسك، جـ2ـ صـ167).

(17) أخرجه أبو داود في كتاب اللباس جـ4، الحديث رقم 1404، انظر أيضا: معوض عوض إبراهيم" الإسلام والأسرة. دار النشر للجامعيين د.ت. القاهرة.

(18) أخرجه أبو داود والترمذي (الشيبانى ، جـ3، صـ41-42).

(19) أخرجه أبو داود (الشيبانى، جـ4، صـ191، ناصف، جـ5، 18).

(20) أخرجه الشيخان والترمذي والنسائي (ناصف، جـ2، صـ35).

(21) أخرجه من ماجه في الأدب، جـ2، الحديث رقم 3671 .

(22) أخرجه أبو داود (ناصف، جـ5، صـ267).

(23) أخرجه أبو داود، جـ2، صـ121.

(24) أخرجه الشيخان والترمذي والنسائي (ناصف، جـ2، صـ35)

(25) أخرجه الشيخان وأبو داود والترمذي والنسائي (ناصف، جـ3، صـ47-48).

(26) أخرجه الترمذي (الشيبانى، جـ4، صـ306-307).

(27) أخرجه الشيخان والترمذي (الشيبانى، جـ3، صـ343).

(28) أخرجه الترمذي في الشمائل (تخريج زمن الدين أبي الفضل العراقي لأحاديث أحياء علوم الدين للغزالي، جـ3، صـ171، رقم 4).

(29) أخرجه الترمذي بسند حسن (ناصف، جـ5، صـ298-299).

(30) أخرجه أبو داود والترمذي (النووي، جـ1، صـ79).

(31) أخرجه أبو داود، جـ4، صـ249، الحديث رقم 4783، واحمد، جـ5، صـ152.

(32) أخرجه أبو داود، جـ4، صـ249، الحديث رقم 4784

(33) أخرجه مسلم وأبو داود والترمذي (الشيبانى، جـ4، ص150، والنووي، جـ2، صـ الحديث رقم 1577/2.

(34) أخرجه مسلم وأبو داود (الشيبانى، جـ4، صـ15)

(35) أخرجه الترمذي (الشيبانى، جـ4، صـ151).

(36) أخرجه الترمذي (الشيبانى، جـ4، صـ306).

(37) أخرجه الشيخان (النووي، جـ1، صـ 699 الحديث رقم 925/1).

(38) أخرجه مسلم في كتاب المنافقين (ناصف ، جـ5،صـ45).

(39) أخرجه مسلم، جـ15، صـ49.

(40) أخرجه الطبراني في معاجمه الثلاثة من حديث كعب بن حجره بسند ضعيف (تخريج زين الدين العراقي، جـ2، صـ61 ، هامش رقم4).

(41) أخرجه الترمذي (الشيبانى ، جـ4، صـ45).

إصـــــدارات فـــي الملـــف: قـــــراءات

المدخـــل إلى التأصيـــل الإسلامـــي لعلـــم النفـــس: صالـــح ابراهيـــم الصنيـــع

الديـــن وعلـــم النفـــس فـــي المجتمـــع الغربـــي

التـــراث النفســـي عنـــد علمـــاء المسلميـــن

تاريـــخ حركـــة التأصيـــل الإسلامـــي لعلـــم النفـــس

علـــم النفـــس الإسلامـــي: معـــروف زريـــق

الـــروح و النفـــس و العقـــل و القلـــب من منظـــور إسلامـــي

تراتيـــب النفـــس الإسلاميـــة فـــي القـــرءان الكريـــم

المدخـــل إلى التأصيـــل الإسلامـــي لعلـــم النفـــس

صالـــح ابراهيـــم الصنيـــع

المبحـــث الأول: الديـــن وعلـــم النفـــس في المجتمـــع الغربـــي

الدين في المجتمعات الغربية مر بأطوار عدة عبر تاريخها، ومن المعلوم أن الأديان السماوية الثلاثة الأخيرة نزلت في المشرق الإسلامي، ثم انطلقت إلى بقية دول العالم في جهاتها الأربع، فاليهودية بداياتها كانت بين مصر وفلسطين، والمسيحية بدأت من فلسطين، والإسلام ظهر في جزيرة العرب.

والدين الرسمي والغالب للمجتمعات الغربية هو المسيحية، والتي في أصلها جاءت عن طريق رسول الله عيسى بن مريم عليه السلام، حيث بعثه الله حتى يعيد الناس إلى جادة التوحيد التي جاءتهم بها رسل بني إسرائيل عليهم السلام ثم انحرفوا عنها ووقعوا في صور عديدة من الشرك والكفر. وإضافة إلى التأكيد على التوحيد جاء عيسى لقومه برسالة سمحة خيرة تؤمن بخيرية النفس الإنسانية وخصالها الطيبة وتحذر من الشر وأهله، بل تدعو إلى رسالة الصفح والتسامح حتى مع من ظلمك (إذا لطمك على خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر). وبعد المسيح جاء المفسر لكلام المسيح والذي عرف في الدين المسيحي باسم (بولس)، والذي يعتبر غالب ما هو موجود حالياً في كتب الإنجيل الحالية من كلامه، وقد تبنى وجهة نظر مخالفة لما جاء به عيسى عليه السلام عن الطبيعة البشرية بأنها مفطورة على الخير، حيث قال بولس بما عرف بالخطيئة البشرية والتي يولد الفرد بها وعليه أن يعمل للخلاص الدائم منها. يقول مالوني: في بداية تاريخ المسيحية ظهر اتجاهان في فهم الطبيعة الإنسانية، الأول يقوم على رواية خطبة المسيح على الجبل (إنجيل ماثيو5ـ7) حيث نادى بمعايير مثالية للسلوك الأخلاقي والتي ذهبت بشكل صريح إلى أبعد من مطالب النظام اليهودي، إذ حث عيسى أتباعه ليكونوا ملح الأرض، وشجعهم على مسامحة أعداءهم (وأن يديروا لهم خدهم الأيمن أذا صفعوا خدهم الأيسر) وأن يحبوا جيرانهم كما يحبوا أنفسهم. وقد حوت هذه التشريعات نظرة متفائلة للطبيعة البشرية وإمكاناتها. بينما نجد في المقابل الاتجاه الثاني في رسالة بولس إلى الرومان، حيث رأى بولس أن الإنسان متمركز على ذاته و ذو خطيئة، وغير قادر على الارتقاء إلى مستوى تلك المعايير العالية للسلوك الأخلاقي، وفي نظر بولس حتى السلوكيات الإنسانية الحسنة كانت موجهة نحو المصالح الشخصية لذوات الأفراد. هذا الاختلاف حول الطبيعة البشرية ظل مستمراً حتى قبل ظهور علم النفس بعدة قرون، خلال تاريخ المسيحية ولا زال قائماً حتى عصرنا الحاضر، وفي فترة آباء الكنيسة (100-400م) وقفت الكنيسة مع وجهة نظر بولس في كون الناس أساساً قائمين على الخطيئة وغير قادرين على القيام بالأعمال الحسنة بدون عون من الله، بينما النظرة الأكثر تفاؤلاً المتفقة مع ما جاء به المسيح عيسى عليه السلام والتي تبناها الراهب (بيلاجويس) أطلق عليها في آخر الأمر أنها بدعة(هرطقة) .(Malony,2000)

وتعتبر فترة العصور الوسطى أو ما عرف في أوروبا بعصور الظلام وهي قرابة عشرة قرون من القرن الرابع حتى القرن الرابع عشر الميلادي، فترة ظهر فيها تسلط الكنيسة ورجالاتها على كافة أمور حياة الناس الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والفكرية، بل انتشرت الخرافات والأباطيل في التعامل مع كثير من أمور الناس وما يجري حولهم، وهذا مما دفع لظهور ما سمى بالنهضة الأوربية القائمة على العلمانية والمضادة للكنيسة وتعاليمها حيث فصل الدين عن الحياة، وأصبح مجاله منحصراً في علاقة الإنسان بربه فقط، أما كافة مجالات الحياة فتسير وفق ما تنتجه عقول العلماء من نظريات وأطروحات في كل منحى من مناحيها. يقول مالوني: حركة البروتستانت التحديثية في القرن السادس عشر كانت في صميم اهتمامها قضية الطبيعة البشرية، حيث أكد (لوثر) على الموقف التقليدي القائل بأن الناس يمكنهم التخلص من الخطيئة فقط بواسطة إرادة الله وحده، وليس بواسطة محاولاتهم بأنفسهم، هذه النظرة في مقابل القناعات الموجودة لدى جناح الرومان الكاثوليك والأرثوذكس من المسيحيين، والذي يرى أن بعض الأعمال البشرية الحسنة يمكن أن تأتي من فعل الإنسان. هذا الاختلاف ظهر مرة أخرى بعد) على تعاليم مارتن " لوثر" J. Wesley لمائتي سنة لاحقة في رد (جون ويسلي

المعروفة باسم " نعمة الله " حيث أكد لوثر أنه وأن كان الناس يمكنهم التخلص من الخطيئة بقبول إرادة الله أو هبته، ولكن حدث تغير في الهداية ــ وهي طريقة الله ــ في النظر إلى الناس، وليس التغير من الناس أنفسهم، لا تغيير في الخصائص ــ بل ببساطة ــ الله نظر إليهم نظرات مختلفة عبر حكمه عليهم من خلال منظار موت المسيح. بينما ويسلي (مؤسس الماثودية) عارض لوثر، مع أنه وافقه أن التخليص يأتي من فعل الله وليس من بمجهود البشر، ولكنه مقتنع أن نعمة الله كانت أكثر تغيراً في جانب الله؛ نعمة الله والتي أعطيت للفرد في الهداية، كانت مثل الحبوب التي يمكنها النمو والتطور، التغير نحو الخير كان ممكناً ومتوقعاً. لذلك يمكن القول أن ويسلي، مع موقف المسيح (عليه السلام) في فهم الطبيعة البشرية، بينما لوثر كان مع موقف بولس. هذه المناقشات عن الطبيعة البشرية يمكن رؤيتها في المسيحية في القرن العشرين فيما يلي:

1- المناظرة حول الخلاص الاجتماعي مقابل الخلاص الفردي.

2- في موت الإله الانفجاري.

3- في الحوار بين عالمي .Brunner)) وإميل برونر (Barthاللاهوت كارل بارث(

ففي نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، كانت القناعة بأن الأوضاع الاجتماعية ليست ذنباً متأصلاً، أنما بسبب إبليس، دفعت الكثير من المسيحيين ليصبحوا منغمسين في أنشطة المساعدات الإنسانية والعدالة الاجتماعية. المقاومة لما سمى بالخلاص الاجتماعي دفع آخرين لتأكيد وجهة نظر بولس/لوثر التي تقول إن البيئة لن تغير الناس، فقط بقبول تخليص الله يمكن القضاء على الشر. إلى حد ما، اختلافات وجهات النظرة هذه لا تزال منتشرة بين الكنائس الليبرالية والمحافظة، وأنه يمكنها أن تكون نسخة حديثة لوجهتين لعلم النفس الديني استمرتا مع المسيحية عبر القرون.

الحوار بين عالمي اللاهوت إميل برونر وكارل بارث يصلح كمثال لوجهتي النظر الممثلتين لعلاقة علم النفس بالمسيحية منذ أصبح علم النفس علماً مستقلاً بذاته. وقد استجب كل من برونر وبارث، وهما عالما لاهوت ألمان، للحالة في أوربا فيما بين الحرب العالميتين الأولى والثانية، بشكل مختلف؛ بارث، والذي سمى بالمفكر الأرثوذكسي الجديد، أكد وجهة النظر التقليدية التي تؤكد أن الله وحده القادر على حماية الناس من نهايتهم المحتومة؛ ووفقاً لبارث ليس فقط الضعف الإنساني عاجزاً عن حماية الناس أنفسهم أو لعمل أمور حسنة، ولكنهم كانوا فاسدين لدرجة أنهم لم يكونوا قادرين لسؤال الله المعونة، لذلك لدى عيسى (عليه السلام)الإله المبادرة كما هي القوة، لحماية الناس من ذنوبهم، الشئ الوحيد الذي يمكن للناس عمله، وفقاً لبارث، هو الانتظار بصبر لعمل الله نيابة عنهم. في الناحية الأخرى، نجد برونر ،الذي سمى بالمفكر الوجودي، أكد حقيقة تعترف بأن الله لديه القدرة لخلاص الإنسانية، ولكن الناس لا يعلمونها ألا إذا شعروا بحاجتهم إلى سؤال الله المعونة. القلق الإنساني وليس إرادة الله، كان المثير الذي أسس التواصل بين الحاجات الإنسانية واستجابة القدر. والخلاصة يمكن أجمالها في قول بارث: الله عمل ما عليه للتواصل مع البشر؛ بينما قال برونر: القلق الإنساني كان نقطة التواصل.

علم النفس الحديث، وفي مسألة غير قابلة للتساؤل، نظر للسلوك الإنساني على أنه مدفوع بالرغبات الداخلية، وليس بواسطة قوة عليا، علم النفس، بما فيه وجهة النظر الفرويدية، نظر للأفراد على أنهم قادرون على التغيير في حياتهم، وبذا يكون علم النفس قد أكد وجهة نظر برونر.

أول من كتب رسالة علمية تتناول علم النفس والمسيحية هو أدوين ستاربوك

) في نهاية التسعينات من القرن التاسع عشر الميلادي، Starbuck(

وكانت حول تحول المراهق (هداية المراهق)، وكان ستاربوك تلميذاً لويليم جيمس، قد رأى أن (الهداية) قوة تحول يمكنها أن تدمج في بناء الشخصية.

قدم APA)أول رئيس للجمعية الأمريكية لعلم النفس (Hall)ج.ستانلي هول (

كتاباً من جزئيين بعنوان " عيسى المسيح في ضوء علم النفس " عام 1917م. وشجع النقاش في الموضوع عن طريق جمعه لعدد من الباحثين مع بعضهم البعض، والذين عرفوا باسم " مدرسة كلارك في علم النفس الديني، والتي بدأ تأثيرها يتوسع، وبذلك بدأت نقاشات بين المسيحية وعلم النفس، وذلك لكون كل منهما يقدم إجابات للأسئلة الأساسية حول الطبيعة البشرية.

تقدم أحد Pfister)الخطابات الشخصية بين سجموند فرويد وأوسكار بفيستر (

الأمثلة المبكرة على التراث الحواري حول علم النفس والدين، حيث يمكن للباحث أن يجد أن فرويد يقف مع وجهة نظر بولس المتشائمة عن الطبيعة الإنسانية، بينما بفيستر يدعم أمل عيسى (عليه السلام) في خيرية الإنسان، وباحثون آخرون مثل في كتابه " الإنسان الحديث يبحث عن الروح "، وباول تورنيرYung)كارل يونج (في كتابهMowrer)في كتابه " معنى الأفراد "، وهربارت موريرر (Towrnier)(" أزمة في الطب النفسي والدين "، وأخيراً عالم اللاهوت الوجودي باول تيليش

في كتابه " الدافع لتكون " درس فيه الطبيعة البشرية ورسم مناظيرTillich)(

نفسية ومسيحية متعددة حولها. في كتاب تيليش يمكن رؤية قبول نقد التحليل النفسي للدين مقروناً بالفهم الديناميكي لتطور الإيمان؛ حيث جمع في هذا التحليل بين فهم بولس حول فساد الطبيعة البشرية، مع تأكيد مثال عيسى (عليه السلام) كمثال واقعي للقدرة البشرية. حيث أكد تيليش على أن الدين الحقيقي ينتج الشجاعة .Malony,2000)لمواجهة الحياة (

) وصفاً للعلاقة بين علم النفس الدين بقوله: التراث المتوفر Jones يقدم جونز (

عن العلاقة بين علم النفس والدين يتضمن إضافات جلية لكل منهما. ويمكن ملاحظة أربعة أنواع من التفاعل بينهما:

1ــ تطبيق النظريات وطرق البحث النفسية لدراسة الخبرة الدينية.

2ــ العديد من واضعي النظريات النفسية تعاملوا مع الدين بهدف تطبيق مفاهيمهم وأساليب بحثهم على الخبرة الدينية، وذلك من خلال الإطار المعرفي لعلم النفس (ومثاله تفسير فرويد للتعلق بالآلهة بأنه نتيجة لما سماه عقدة أوديب). وبهذا حجُم الدين في حدود أطر النظام المعرفي المستخدم في علم النفس.

3ــ تطبيق النظريات والمعارف النفسية في برامج الرعاية المقدمة في الكنائس.

4ــ اعتبار الخبرة الدينية ومفاهيمها ومؤسساتها شركاء معتبرين في المناقشات الدائرة حول الخبرات الإنسانية، وهو أحدث الأنواع، وهناك تراث كبير من التلاقي والحوار بين علم النفس والدين نشأ عنه تأسيس جمعيات ودوريات علمية متخصصة في هذا المجال، وكذلك ظهور درجات وبرامج علمية وكتب متخصصة فيه، مما كون تراثاً علمياً في هذا الموضوع. ولتطوير هذا النوع الرابع من العلاقة يورد جونز ثلاث نقاط هي:

أ) على علم النفس كمنظومة علمية ومهنية أن يطور لدى منسوبيه وعياً أكبر واحترام أكثر للإيمان الديني والتقاليد الروحية.

ب) إيجاد تعاون حواري أكبر بين الدين وعلم النفس كعلم، بحيث يؤخذ في الحسبان المعتقدات الموجودة لدى الباحثين الدارسين لموضوعات علم النفس وحواراتهم الصريحة مع علماء الدين للخروج بأرضية مشتركة يمكن الالتقاء فيها بينهما.

ج) الفهم بأن الدين والتطبيقات الروحية تساعد في الشفاء، وكذلك في مقاومة)Jones,2000.الأمراض، وفي مراحل التغيير لدى الأفراد (

ونعرض فيما يلي للاتجاهات الموجودة لدى بعض علماء النفس تجاه الدين حيث يمكن تقسيمها إلى اتجاهين إيجابي وسلبي:

أولاً: الاتجـــــاه الإيجابـــــي

يرى مؤيدو هذا الاتجاه أن في تعاليم الدين ما يساعد الأفراد على التغلب على كثير من مشكلاتهم النفسية . وهؤلاء المؤيدون ليسوا من مدرسة نفسية واحدة بل من أكثر من مدرسة، ولعل من أشهرهم في هذا المجال:

1 – كـــــارل يونـــــج (1875 - 1961م) :

عالم التحليل النفسي المعروف و الذي تناول دور الدين وأثره في سلوك الإنسان في عدد من مؤلفاته. ولعلنا ننقل بعض ما جاء فيها:

ففي أهمية وجود اللّـــه والإيمان به ودور ذلك في فهم النفس البشرية نجده يقول : [لقد كان اللّـــه الكائن الأكثر واقعية والعلة الأولى التي بفضلها وحدها كان يمكن فهم النفس](يونغ، ص25، 1993م).

كما ينتقد يونغ الباحث الغربي عندما فصل العالم إلى روح وطبيعة فركز على الطبيعة وأهمل الروح مما أدى به إلى تخبطات كثيرة محاولاً من خلالها الوصول إلى الأثر الروحي ولكنه لم يستطع ذلك .

يقول يونغ [حين انفصم العالم الأصلي إلى روح وطبيعة آثر العالم الغربي الطبيعة التي كان أميل إليها مزاجياً وطالما تخبط فيها عبر كل محاولاته المضنية اليائسة لكي يتروض] (يونغ، ص28، 1993م).

ويؤكد يونغ دور القلب في السلوك كما جاء الإسلام بذلك مما ساعد على انتشاره وانتشار ثقافته ، وينتقد الغربيين بتركيزهم على العقل فيقول : [إن قوى القلب هي غالباً العوامل التي تتنزع القرار في نهاية المطاف في الخير كما في الشر . وإذا ما أبت هذه القوى أن تهب لنجدة العقل فإنه يبقى عاجزاً في أغلب الأحيان . فهل حمانا عقلنا و مقاصدنا الخيرة من اندلاع الحرب العالمية أو من أية سخافة كارثية أخرى ؟ وهل نجمت أعظم الانقلابات الروحية والاجتماعية عن العقل ؟ وهل كان العقل هو الذي بادر إلى تحويل الحياة الاقتصادية القديمة مانحاً إياها الصيغة التي كانت لها في العصر الوسيط أو أنه هو الذي أدى إلى الانتشار شبه الانفجاري للثقافة الإسلامية ؟](يونغ، ص28-29، 1993م).

وفي كتاب آخر ليونغ يؤكد أهمية الدين للإنسان ويرى أنه جزء من البناء النفسي للشخصية الإنسانية لا غنى عنه ، فيقول : [إنه لواضح في أي علم نفس يمس البناء النفسي للشخصية الإنسانية لا يمكنه إغفال حقيقة أن الدين ليس فقط ظاهرة نفسية اجتماعية تاريخية ، ولكنه كذلك يعتبر شيئاً مهماً للذات الشخصية)Jung, P.5, 1981.لعدد كبير جداً من الناس](

ويرى يونغ أن ازدياد ارتباط الفرد بالدين يزيد صحته النفسية ، بل انه يؤكد أن فقد معنى الروح ودورها هو سبب معظم الأمراض النفسية ، وسننقل فقرة كاملة من أحد كتبه تحت عنوان شمولية المعالجة ، حيث يقول : [كان ثمة إلى هذه الساعة زعمٌ شائع في الطبابة مؤداه أننا نستطيع وأن علينا مداواة المرض ومعالجته بحد ذاته بيد أننا صرنا نسمع في الآونة الأخيرة أصواتاً مسئولة تخطّئ هذا الرأي داعية إلى معالجة الشخص المريض لا إلى معالجة المرض . تلك ضرورة تفرض نفسها علينا أيضاً في معالجة الأدواء النفسية . فإمعان النظر في المرض المرئي لا يشكل شيئاً إذا لم تشمل نظرتنا الفرد بكليته. ذلك أنه وجب علينا الإقرار بأن المعاناة النفسية لا تنحصر تحديداً في ظواهر متموضعة ومحدَّدة بدقة بل إن هذه الظواهر أعراض لموقف خاطئ في الأساس اتخذته الشخصية برمّتها . لعلّنا إذاً نحجم عن توقع شفاء صحيح من خلال معالجة الأعراض وحدها فما من أملٍ لنا إلاّ بمعالجة الشخصية بكليتها .

تحضرني بهذه المناسبة حالة قوية الدلالة : إنها حالة شاب لامع الذكاء كان قد توصل إلى تحليل مؤاتٍ لعصابه من خلال انكبابه على دراسة متأنية له في الأدب الطبي . وذات يوم جاءني حاملاً إليَّ دراسته في صيغة سيرة ذاتية محبوكة السبك تصلح مقالاً للنشر وقد رجاني أن أقرأ مخطوطه وأقول له لماذا لم يُشفَ بعد في حين أن معارفه العلمية تؤكد له وجوب ذلك . ورأيت بعد قراءتي للمخطوط بأن عليّ الإقرار بوجوب شفائه الأكيد من معاناته لو كان يكفي المريض لكي يُشفى أن يعرف البنيان السببي لعصابه. أما وأن الشفاء لم يحصل فلأن السبب كان قائماً بلا شك في خطأ أساسي يتعلّق بموقفه العام إزاء الحياة ويتموقع على ما يبدو خارج مناشئية أعراض العصاب . بيد أنه اتضح لي من ادّكاره anamnése وليس دون دهشة بأنه كان في الغالب يمضي الشتاء في سان موريتز أو في نيس ولمّا سألته عمَّن كان يؤمّن له نفقات الإقامة تبيّن لي أن ثمة معلمة فقيرة كانت تحبه وتقتصد من طعامها اليومي المال الضروري لمتطلباته السياحية . لقد كانت هذه اللا أخلاقية مبعث العصاب وهي ما يفسّر عدم فاعلية الفهم العلمي . كان خطأ الأساس يكمن هنا في الموقف الأخلاقي . بيد أن المريض وجد رأيي بعيداً عن العلمية من حيث إن الأخلاق لا تمت إلى العلم بصلة . لقد كان يعتقد أنه يمكننا باسم العلم إلغاء فسق لم يكن هو نفسه في قرارة نفسه يتحمله ؛ فحسبه الإدعاء بعدم وجود نزاع بما أن حبيبته هي التي كانت تمنحه المال بطيبة خاطر . يمكن للمرء أن يستعرض شتى المماحكات العلمية لكن ذلك لا يمنع أن الأكثرية العظمى من الأفراد المتحضرين لا يتحمَّلون مثل هذا الموقف ، الموقف الأخلاقي عامل واقعي على النفساني أن يأخذه بالحسبان إذا كان يريد ألاّ يقع في أفدح الأخطاء . وهناك أيضاً معتقدات دينية غير مبنية على العقل ليس أقل من ضرورة حياتية لبعض الأشخاص . نحن هنا مرة أخرى بإزاء وقائع نفسية قد تسبب أمراضاً وقد تشفي منها ؛ فكم من مرضى سمعتهم يقولون : ((لو كنت أعرف معنى وجودي وغايته إذاً لما حصل لي كل هذه الاضطرابات العصابية !)) . وسواء أكان هذا الشخص غنياً أو فقيراً ، ذا أسرة ومركز اجتماعي أم لا ، ليس هذا ما يهم ولكن هل يكفي هذا ليعطي معنى لحياته ؟ الأمر هنا يتعلق بالحري بما نسمّيه حياة روحية تقتضيها ضرورة لا عقلية ، حياة لا يجدها في الجامعات ولا في المكتبات ولا حتى في الكنائس إذ ليس بإمكانه أن يقبل ما يقدّم له فيها ، شيئاً ما يخاطب العقل لكنه لا يحرّك القلب . ففي حالاتٍ كهذه يصبح اعتراف الطبيب بالعامل الروحي ذا أهمية حيوية مطلقة ، أهمية سوف تشير الخافية إليها بإنتاجها في الأحلام مثلاً مضامين ذات طبيعة دينية في جوهرها ، لذلك فإن تجاهل المصدر الروحي لهذه المضامين قد يؤدي بالطبيب إلى معالجة غير موفقة وإلى إخفاق.

إن التصورات الروحية العامة هي في الواقع عنصر مكوّن لا غنى عنه في الحياة النفسية ونجدها لدى كل الشعوب المتمتّعة بوعي ثاقب إلى حدٍ ما، لذلك يجب اعتبار غيابها النسبي أو حتى نكرانها الموجب عند شعوبٍ علامة على الانحلال] (يونغ، ص29-30، 1993م).

وختاماً نقدم عبارة أكد فيها يونغ ارتباط الدين بالصحة النفسية للأفراد ، وأن سبب الأمراض هو فقدان النظرة الدينية لدى هؤلاء المصابين بتلك الأمراض ، حيث يقول : [أود أن ألفت الانتباه إلى الحقائق التالية ، فإنه خلال الثلاثين سنة الماضية ، جاء إليّ أفراد من كل البلدان المتقدمة في العالم من أجل استشارتي ، ومئات من المرضى مروا عليّ للعلاج ، معظمهم من البروتستانت وعدد أقل من اليهود وما لا يزيد عن خمسة أو ستة من الكاثوليك ، من ضمن كل المرضى الذين جاءوا إلي ، وهم في النصف الثاني من أعمارهم أي أنهم فوق سن 35 سنة ، ليس منهم واحد لم تكن محصلة مشكلته افتقاده لنظرة دينية في الحياة . أنه من المأمون القول أن كل واحد منهم شعر بالمرض لأنه فقد المعنى الديني للحياة في المرحلة العمرية التي يعيشها من هم في مثل سنه ، ولم يشف منهم الذي لم يتمكن من استعادة نظرته الدينية للحياة . وهذا بالطبع ليس له علاقة من أي نوع كانت مع عقيدة معينة أو)Jung, P.5, 1981.عضوية في كنيسة معينة](

2 – فيكتـــــور فرانكـــــل

صاحب نظرية العلاج بالمعنى، وهي من النظريات التي تعطي منزلة عالية للأبعاد العقلية والروحية للإنسان، على أنها من أهم الأبعاد المساهمة في صحته النفسية.

فقد أكد فرانكل أن الإنسان يمكن أن يتعرض للإحباط الواقعي أو كما يسميه الإحباط الوجودي لعدم معرفة الإنسان لبعده العقلي أو الروحي في الحياة حيث يقول : [قد تتعرض إرادة المعنى عند الإنسان أيضاً إلى الإحباط ، وهو مايعرف (بالإحباط الوجودي) وفقاً لنظرية العلاج بالمعنى ... وقد يتمخض الإحباط الوجودي أيضاً عن المرض النفسي . ولهذا النمط من المرض النفسي يبتكر العلاج بالمعنى مصطلح (العصاب المعنوي المنشأ) خلافاً للعصاب بمعناه الشائع لهذه الكلمة ، أي خلافاً للعصاب النفسي المنشأ . ولا يكمن أصل العصاب المعنوي المنشأ في البعد)noological النفسي ولكن بالأحرى في البعد (العقلي أو الروحي)

وتعني العقل للوجود الإنساني.Noos وهي مأخوذة من الكلمة اليونانية

وهذا مصطلح آخر للعلاج بالمعنى يشير إلى أي شيء يتعلق بالمحور (العقلي) أو (الروحي) من شخصية الإنسان] (فرانكل، ص135، 1402هـ).

ويرى فرانكل أن العلاج بالمعنى يتميز بقدرته على التعامل مع النواحي الروحية للإنسان لذا فهو مناسب لعلاج حالات المرض النفسي المعنوي المنشأ حيث يقول : [من الواضح أنه في حالات المرض النفسي المعنوي المنشأ لا يكون العلاج الملائم والفعال هو العلاج النفسي بصورة عامة وإنما يكون هو بالتحديد العلاج بالمعنى – وهو ذلك العلاج الذي يجرؤ على الدخول إلى البعد المعنوي الروحي من وفي الواقع أن المقصود بالمصطلح Logos (الوجود الإنساني)والمعنى باليونانية ليس (المعنى) فحسب وإنما هو (الروح) أيضاً . فالمشكلات المعنوية الروحية، مثل طموح الإنسان إلى وجود ذي معنى وكذلك مثل إحباط هذا الوجود؛ كل هذه يجري تناولها بواسطة العلاج بالمعنى على أساس مفاهيم معنوية روحية] (فرانكل، ص136، 1402هـ).

ويصف فرانكل الضيق والقلق المتعلق بالحياة وحتى اليأس منها بأنه راجع لضعف الناحية الروحية للإنسان فيقول : [ويمكن أن نقول أن اهتمام الإنسان بالحياة وقلقه بشأن جدارتها وحتى يأسه منها لا يخرج أحياناً عن كونه ضيقاً معنوياً روحياً وليس بالضرورة أن يكون مرضاً نفسياً بحال من الأحوال . وهنا يكون تفسير هذا الضيق المعنوي أو الروحي على أنه مرض نفسي هو ما يدفع الطبيب إلى أن يدفن اليأس الوجودي عند مريضه تحت كومة من العقاقير المهدئة ، ولكن مهمته هي بالأحرى أن يقود المريض من خلال أزماته الوجودية إلى النمو والارتقاء] (فرانكل، ص138، 1402هـ).

ثم يبين فرانكل الفرق بين علاجه بالمعنى والتحليل النفسي من خلال اهتمامه بالقيم الروحية لدى الإنسان وبالمعنى من الحياة فيقول : [إن الفرق الأساس بين العلاج بالمعنى وبين التحليل النفسي ، إن العلاج بالمعنى يعتبر الإنسان كائناً ينصب اهتمامه الرئيس على تحقيق المعنى وتحقيق القيم ، بدلاً من أن يهتم بمجرد إرضاء أهوائه وإشباع حوافزه وغرائزه ، أو بدلاً من أن يهتم بمجرد إحداث مصالحة بين المطالب المتصارعة التي يفرضها الهو والأنا والأنا الأعلى ، أو بدلاً من أن يهتم بمجرد المواءمة والتكيف للمجتمع والبيئة] (فرانكل، ص138-139، 1402هـ).

وأخيراً يؤكد فرانكل أن الشخص الذي لديه معتقدات دينية فإنه من المفيد توظيفها في علاجه إذا كان مريضاً نفسياً وهذا مما يحسب للطبيب النفسي فيقول :

[حينما يكون المريض واقفاً على أرض صلبة من الاعتقاد الديني ، فلا يمكن أن يكون هناك اعتراض بشأن الاستفادة من التأثير العلاجي لمعتقداته الدينية مما ينبع من المصادر الروحية ويعتمد عليها] (فرانكل، ص157، 1402هـ).

3 – إبراهـــــام ماسلـــــو (1908 - 1970م)

وهو أبرز علماء المدرسة الإنسانية في علم النفس، وقد دعا ماسلو إلى أن تتحول الدراسات النفسية من التركيز على قضايا التحليل النفسي والوصف الآلي للسلوك إلى الدراسة الواسعة الإيجابية للسلوك الإنساني بما فيها من أخلاق وقيم ، فيقول : [علم النفس مطالب بأن يتحول أكثر إلى دراسة الفلسفة والعلم والجمال وخاصة الأخلاق والقيم](سيفرين، ص39، 1978م).

وقد انتقد فلسفة علم النفس القائمة على السطحية وشدد على ضرورة الاهتمام بالخبرات العميقة والراقية كالقيم، فقال: [تتضمن فلسفة علم النفس، بالمعنى الذي استخدم به المصطلح، دراسة القيم. ينبغي أن تبحث فلسفة العلم في المعنى والهدف من العلم : كيف يعمل على اغنائنا ؟ ينبغي أن تتضمن كذلك فلسفة الجمال, الابتكارية والخبرات الأرقى والأعمق التي يقدر عليها الإنسان – ما أطلق – ذلك هو الطريق الذي نتجنب بهPeak-Experiences – عليه قمة الخبرات السطحية ، ونقر فيه بمستوى عال من الطموح بطريقة مناسبة] (سيفرين، ص40، 1978م).

ويدعو ماسلو علماء النفس للاستفادة من العلماء في المجالات الأخرى ومن أهمهم رجال الدين حيث يقول :

[لقد قدم علماء الدين ... فلسفات عن الطبيعة الإنسانية . وعلينا أن نحترم هذه النظريات شأنها في ذلك شأن نظريات علم النفس غالباً ، ونستخدمها كأطر مرجعية بهدف النقد واستثارة التجارب] (سيفرين، ص42، 1978م)..

ونختم مقولات ماسلو بتأكيده على دراسة الروح الإنسانية الموجودة في عمق التركيب الإنساني ودورها الإيجابي في صحته النفسية كما عرض ذلك العلماء في البلدان الشرقية مهبط الديانات في العالم ، حيث يقول :

[حينما ندرس الشخصية في العمق بدلاً من السطح، بأنه بقدر ما ننفذ أعمق، بقدر ما نجد عمومية أكثر. ففي المستويات الأعمق لدى الناس يبدون في تشابه أكثر مما يختلفون. ولذا إذا استطاع الفرد أن يصل إلى هذه الأعماق داخل نفسه، عادة بمساعدة المعالج، يكتشف ليس ذاته فحسب ولكن أيضاً الروح الإنسانية الكاملة، ويعرف هذا دائماً علماء النفس غير الأكاديميين في الشرق، ونحن في الغرب ينبغي أن نتعلمه كذلك] (سيفرين، ص52، 1978م).

ثانيـــــاً – الاتجـــــاه السلبـــــي

حيث يرى أصحاب هذا الاتجاه أن الدين سبب للإصابة بالأمراض النفسية وهذا واضح لدى زعيم مدرسة التحليل النفسي سيجموند فرويد [1856 - 1939م] .

وسنحاول فيما يلي استعراض أهم أفكاره في هذا الموضوع والتي ظهرت بشكل واضح في كتابيه (قلق في الحضارة) و (مستقبل وهم) وخصوصاً هذا الأخير ، والذي خصصه لمهاجمة الدين ودوره في حياة الناس. وسيتم ذلك في نقاط متتالية وفق ما يلي :

1 – يتناول فرويد المصاعب والمشاق التي تنغص على الإنسان سعادته وصحته النفسية ويصف لها مسكنات فيقول : [إن حياتنا ، كما هي

مفروضة علينا، ثقيلة الوطء، وتغل أعناقنا بكثرة كثيرة من المشاق والخيبات والمهام الكأداء . وحتى نستطيع لها احتمالاً، فلا غنى لنا عن المسكنات ... ولعل المسكنات على أنواع ثلاثة: أولها إلهيات قوية تتيح لنا أن نعتبر بؤسنا هيناً أمره، وثانيها إشباعات بديلة تخفض من وطأته، وأخيرها مخدرات تفقدنا الإحساس به. وليس لنا عن واحدة على الأقل من هذه الوسائل غناء](فرويد، ص20-21، 1982م).

وواضح اعتبار فرويد في هذه العبارة الدين مسكن مشابه للمخدرات وهي مغالطة فكرية وعلمية لا تقوم على أساس.

2 - يربط فرويد بين السعادة وبين قطع الإنسان صلته بالواقع وبالدين لأن الدين هذيان جماعي فيقول : [ثمة طريقة أخرى أكثر جذرية وأبعد شأوا، طريقة ترى في الواقع العدو الأوحد، ينبوع كل ألم. فبما أن الواقع يجعل حياتنا مستحيلة لا تطاق، فلا بد من قطع كل صلة به، إذا كنا نحرص على السعادة بصورة من الصور ... متى ما سعت الكائنات البشرية بأعداد كبيرة إلى تأمين السعادة لنفسها وإلى الاحتماء من الألم بواسطة تشويه خرافي للواقع

(الدين). والحال أن أديان البشرية يجب أن تعتبر هذاآت جماعية من هذا النوع] (فرويد، ص29-30، 1982م).

3 - يرى فرويد أن الدين هذيان وأنه يشوه الواقع ويزجر العقل ولا يحقق السعادة التي يبتغيها الإنسان فيقول : [إن الدين يضر بلعبة التكيف والانتخاب تلك، إذ يفرض على الجميع، وعلى نسق واحد، طرقه الخاصة للوصول إلى السعادة وللفوز بالمناعة ضد الألم. وتقوم خطته على تخفيض قيمة الحياة وعلى تشويه صورة العالم الواقعي تشويهاً بالغاً، وهذا نهج يتخذ مسلمة له زجر العقل وتخويفه. وبهذا الثمن يفلح الدين، بإلباسه أتباعه بالقوة ثوب طفولة نفسية وبزجهم جميعاً في هذيان جماعي] (فرويد، ص34-35، 1982م).

4 - يرى فرويد أن الشعور بالذنب الذي جاءت به الأديان هو مشكلة الحضارة وبسبب نقص في شعورنا بالسعادة فيقول : [كان قصدنا رغم كل شيء أن نصور الشعور بالذنب على أنه المشكلة الرئيسية لتطور الحضارة، وأن نبين، فضلاً عن ذلك، لماذا يتوجب علينا دفع فاتورة تقدم هذه الأخيرة بنقصان في السعادة ناجم عن تعزيز ذلك الشعور] (فرويد، ص103، 1982م).

5 - وإذا أردنا أن نعرف التعليل النفسي التحليلي لتكوين الأديان لدى فرويد فنجده يربطه بمرحلة الطفولة وحاجة الطفل للحماية مما يؤدي إلى وجود الآلهة، حيث يقول : [التعليل النفسي التحليلي لتكوين الأديان هو هو نفسه ، كما هو متوقع، المساهمة الطفلية في تعليله الظاهر ... حين يتبين الطفل، وهو يشب ويترعرع، أنه مقضى عليه بأن يبقى أبد حياته طفلاً، وأنه لن يكون في مقدوره أبداً أن يستغني عن الحماية من القوى العليا والمجهولة، يضفي عندئذ على هذه القوى قسمات وجه الأب، ويبتدع لنفسه آلهة، آلهة يخشى جانبها ويسعى إلى أن يحظى بعطفها ويعزو إليها في الوقت نفسه مهمة حمايته. وهكذا يتفق حنين الطفل إلى الأب مع ما يحس به من حاجة إلى حماية بحكم الضعف البشري؛ كما أن رد فعل الطفل الدفاعي حيال شعور الضيق يتفق ورد فعل الراشد حيال الشعور بالضيق الذي يخالجه بدوره، والذي يتولد عنه الدين وسماته المميزة](فرويد، ص22-23، 1981م). وواضح في هذا النص الرأي البعيد عن العلمية لعدم وجود ما يسنده علمياً ولتناقضه مع الفطرة السليمة للإنسان التي تعرف الإله الواحد سبحانه وتعالى. وسنؤجل الرد على آراء فرويد إلى أن ننـــتهي من عرضها .

6 - يعود فرويد للتأكيد على أن الأديان توهمات وأن سبب وجودها هو الخوف الطفولي والقلق الإنساني إزاء أخطار الحياة، فيقول : [حين نوجه أنظارنا نحو التكوين النفسي للأفكار الدينية. فهذه الأفكار التي تطرح نفسها على أنها معتقدات، ليست خلاصة التجربة أو النتيجة النهائية للتأمل والتفكير، إنما هي توهمات، تحقيق لأقدم رغبات البشرية وأقواها وأشدها إلحاحا. وسر قوتها هو قوة هذه الرغبات. وبالأصل، نحن نعلم ذلك : فالإحساس المرعب بالضائقة الطفلية أيقظ الحاجة إلى الحماية والحماية بالحب، وهي حاجة لباها الأب. وإدراك الإنسان أن هذه الضائقة تدوم الحياة كلها جعله يتشبث بأب، أب أعظم قوة وأشد بأساً هذه المرة. فالقلق الإنساني إزاء أخطار الحياة يسكن ويهدأ لدى التفكير بالسلطان الرفيق العطوف للعناية الإلهية، كما أن إرساء أسس نظام أخلاقي يكفل تلبية مقتضيات العدالة، هذه المقتضيات التي لبثت في غالب الأحيان غير متحققة في الحضارات الإنسانية؛ ثم إن إطالة الحياة الأرضية بحياة مستقبلية تقدم إطار الزمان والمكان الذي ستحقق فيه تلك الرغبات] (فرويد، ص41، 1981م).

7 - يربط فرويد بين التدين وبين بعض المشكلات النفسية وهي العجز والشعور بالتفاهة ، فيقول : [لايزال النقاد يصرون على إطلاق صفة ((التدين العميق)) على كل إنسان يقر بما يراوده من شعور بتفاهة الإنسان وبالعجز البشري في مواجهة الكون، وهذا بالرغم من أن جوهر التدين لا يقوم على ذلك الشعور، وإنما بالأحرى على المسعى الذي يعقبه ويتفرع منه، أي رد فعل الإنسان على ذلك الشعور في محاولة لاتقائه والتحصن ضده. أما من لا يتوغل إلى أبعد من ذلك، أما من يسلم بكل تواضع بالدور الضئيل الذي يلعبه الإنسان في فسيح الكون، فهو بالأحرى لا متدين بأصدق معاني الكلمة] (فرويد، ص45، 1981م)..

8 - يرى فرويد أن الدين لم يحقق السعادة والأخلاق التي يبحث عنها الإنسان ، فيقول: [فمن المشكوك فيه أن يكون البشر قد عرفوا في مجملهم، في العهد الذي كان الدين يسود فيه بلا منازع، سعادة أكبر من تلك التي يعرفونها اليوم ؛ وعلى كل حال ما كانوا، بالتأكيد ، أكثر أخلاقية] (فرويد، ص52، 1981م)..

9 - يشبه فرويد دور الدين في حياة الإنسان بالدور الذي تقوم به المنبهات والمسكرات للإنسان عند تناوله لهما ، فيقول : [مفعول العزاء والسلوان الذي يقدمه الدين للإنسان يمكن المقايسة بينه وبين مفعول المنومات : وما يجري الآن في أمريكا أسطع مثال على ذلك. فهم يريدون هناك أن يحرموا الناس – تحت تأثير سيطرة النساء بالطبع – من كل منبه ومن كل شراب مسكر، ويعلفونهم بالمقابل ورعاً وتقوى] (فرويد، ص67، 1981م)..

10 - يؤكد فرويد أن الإنسان يمكن أن يحتمل مشاق الحياة عندما يقطع رجاءه بالغيب ، فيقول : [ولاشك في أن الإنسان سيتوصل، يوم يقطع رجاءه من عالم الغيب أو يوم يركز كل طاقاته المحررة على الحياة الأرضية، إلى أن يجعل الحياة قابلة للاحتمال من قبل الجميع] (فرويد، ص68-69، 1981م).

11 – يعقد فرويد مقارنة بين دور الدين ودور العقل في تحقيق الأخوة الإنسانية وتقليل أو تناقص الألم الذي يتعرض له الإنسان، ويرجح العقل على الدين في هذه المقارنة، فيقول : [لما كانت أولوية العقل ستنشد في أرجح الظن نفس الأهداف التي يفترض في إلهكم أن يبلغكم إياها: الأخوة الإنسانية وتناقص الألم ... أنتم تريدون أن يبدأ الهناء بعد الموت مباشرة، وتطلبون إليه أن يحقق المستحيل، ولا تريدون أن تتخلوا عن مزاعم الفرد وادعاءاته. أما إلهنا نحن، العقل، فلن يحقق من هذه الرغائب إلا بقدر ما ستسمح به الطبيعة الخارجية، وسيتم ذلك رويداً رويداً، وفي مستقبل غير

منظور، وبالنسبة إلى أبناء هم غير أبنائنا. أما نحن الذين نشكو مر الشكوى من الحياة فلا يعدنا بأي تعويض . ولن يكون هناك مناص من التخلي، على الطريق التي تفضي إلى ذلك الهدف القصي، عن مذاهبكم الدينية، ولن يكون من المهم عندئذ أن تفشل المحاولات الأولى أو ألاّ تكتب الحياة للتشكيلات البديلة الأولى. وأنتم تعلمون السبب: فما من شيء يستطيع على المدى الطويل أن يقاوم العقل والتجربة، وتناقض الدين مع كليهما أمر لا يحتاج إلى بيان] (فرويد، ص74، 1981م).

12 - ونختم نقلاً عن آراء فرويد حول الدين بما قاله من أن الدين عصاب البشرية الوسواسي العام، حيث قال: [يمكن القول بأن الدين هو عصاب البشرية الوسواسي العام، وبأنه ينبثق، مثله مثل عصاب الطفل، عن عقدة أوديب، عن علاقات الطفل بالأب. وانطلاقاً من هذه التصورات ، يمكننا أن نتوقع أن يتم العزوف عن الدين عبر سيرورة النمو المحتومة التي لا راد لها] (فرويد، ص60، 1981م).

تعليـــــــق

هذه الآراء التي طرحها فرويد تمثل موقفه من الدين وأثره في الحياة وكذلك أثره في سلوك الإنسان، وتبين فيها الربط السلبي بين السلوك الديني والصحة النفسية للإنسان وأن السلوك الديني غير فطري ودخيل على الإنسان جاء من خلال عقدة مرضية مرت بالإنسان في طفولته (عقدة أوديب) وأنه يجب تجاوزها والتخلص من الدين وإحلال العقل محله. وسنجمل الرد في النقاط التالية :

1 - اعتبر عديد من الباحثين نظرية التحليل النفسي التي قدم فيها فرويد أفكاره الرئيسية ، اعتبروها نوعاً من العلم الزائف الذي لا يعتمد على الأدلة العلمية المعروفة ، لذا ينبغي عدم الاعتماد على ما جاء فيها(Webster,P.180 &277, 1996 ؛Eysenck, P.14, 1991).

2 - أن استنتاجات فرويد قامت على أساس عينة صغيرة من مرضاه الذين عالجهم مستخدماً أسلوب الملاحظة الغير مراقبة، ومن هنا فهي غير صالحة للتعميم بأي حال من الأحوال(بدري، ص120، 1398هـ).

3 - استخدم فرويد في التحليل النفسي المفاهيم الغامضة وأطلق عليها صفة العلمية حتى يقنع الآخرين بها ، مع وضع نفسه المفسر الوحيد لمعانيها حتى يسلم له الآخرون بما ورد فيها(Webster,P.336 &277, 1996)..

4 – أكد العديد من الباحثين أن فرويد وضع نفسه في منزلة تحمي نفسها من نقد الآخرين الموجه لما يطرحه من أفكار ، وذلك من خلال مهاجمة وتهميش تلك الآراء المعارضة. وربما وصل به الأمر إلى محاربة الأشخاص المعارضين لأفكاره كما فعل مع أدلر (Adler) عالم التحليل النفسي المعروف عندما ضايقه حتى استقال من رئاسة جمعية فيينا في فبراير عام 1911م ثم استمر في مضايقته حتى استقال من عضوية الجمعية المذكورة (Webster,P359, (1996.

5 – اعتمد فرويد على التراث الصوفي اليهودي المحرف في كثير من أطروحاته، وهذا ما أثبته دافيد باكان في كتابه(فرويد والتراث الصوفي اليهودي)(باكان، 1408هـ).

6 – لقد ادعى فرويد نجاح التحليل النفسي في ميدان العلاج، لكن الدراسات العلمية التي أجريت على فعالية التحليل النفسي في العلاج كانت نكسة على مدرسة التحليل النفسي حيث ثبت فشلها الذريع(بدري، ص132، 1398هـ). وكما قال إيزنك : [لقد كان التحليل النفسي عند فرويد عقيدة لكنها نوع من العلم الزائف والتي أضرت بعلم النفس وكذلك بالعلاج العقلي والنفسي على حد سواء. كما كانت ضارة بنفس الدرجة بالآمال والتطلعات لعدد لا يحصى من المرضى الذين وثقوا بما ادعته من قدرة على علاج حالاتهم](P.208, 1991). Eyesnck,

7 - اقتصار فرويد في الاطلاع على الديانتين اليهودية والنصرانية بما فيهما من تحريف من قبل البشر ، حرمه من الاطلاع على الإسلام بما فيه من صفاء وحفظ من التحريف. مما جعله يعمم أحكامه على أثر الأديان على الناس دون تفريق بينها. وهذا منهج غير علمي لا يمكن القبول به لدى أي باحث في أي مجال من المجالات العلمية المعروفة.

ونختم حديثنا حول موضوع الدين وعلم النفس في المجتمع الغربي بالإشارة إلى وجود العديد من الدراسات الميدانية التي أجريت في المجتمعات الغربية ودرست علاقة التدين بالصحة النفسية أو علاقة التدين بالمرض النفسي، حيث خرجت نتائج معظم تلك الدراسات بنتيجة تقول بوجود علاقة إيجابية بين ارتفاع مستوى التدين لدى الفرد مع ارتفاع مستوى صحته النفسية، والعكس بالعكس(الصنيع، 1421هـ).

المبحـــث الثانـــــي: التـــراث النفســـــي عنـــد علمـــــاء المسلميـــــن

التراث في اللغة يعني: التراث أصل التاء فيه واو ... والإرث والتراث والميراث: ما ورث ... وتوارثاه: ورثه بعضاً عن بعض قدماً (ابن منظور، لسان العرب،م2، ص200). وأقصر تعريف اصطلاحي للتراث يمكن أن نقول أنه: ما يتركه السلف للخلف.

يحوي التراث الإسلامي ثروة علمية في كثير من المجالات. وتحتاج هذه الثروة إلى جهود من العلماء المسلمين لإبرازها والاستفادة منها في وقتنا الحاضر. والعلوم الإنسانية بشكل عام وعلم النفس بشكل خاص بحاجة ماسة للاستفادة من هذه الثروة في مجال اختصاصها. ولا تزال الجهود المبذولة في هذا المجال – رغم تعدد القائمين عليها – غير كافية ومحققة للمطلوب بشكل مناسب، مما يؤخر الفوائد التي يمكن أن تظهر من خلال التعامل مع هذا التراث .

ويرى الباحث أن التعامل مع التراث لم يسر على منهجية معينة يمكن أن تؤدي إلى الاستفادة المرجوة مما يحويه التراث، لذا يقترح ثلاث مراحل للتعامل مع التراث هي ما يلي :

1- مرحلـــــة الإبـــــــراز

يقصد بهذه المرحلة كافة الجهود التي تبذل للتعريف بما في التراث وتقديمه في شكل كتاب أو رسالة علمية أو بحث علمي أو تحقيق لكتاب معين. وهذه الجهود يجب أن تنتج لنا مجموعة من النتائج لعل أهمها ما يلي:

أ – التحقيـــــــــق

ويعني إثبات صحة ما كتب سواء في نسبة النص إلى مؤلّفه أو صحة المعلومات الواردة فيه بحيث لا تكون متداخلة أو مأخوذة من كتاب آخر أو مجموعة من عدة كتب للمؤلف ومنسوبة إليه دون قيامه هو بذلك. كما يدخل في هذا تحقيق النصوص بنسبة الآيات القرآنية الكريمة إلى أماكنها، وتخريج الأحاديث النبوية الشريفة من مصادرها. وأهم من يمكن أن يسهم في هذه المرحلة هم أساتذة علوم الشريعة والتاريخ والسير ثم المتخصصون كل في مجال تخصصه.

ب – الفـــــــــرز

القيام بعمليات الفرز لمحتويات هذا التراث ، فكما هو معلوم التراث جهد بشري فيه الصواب والخطأ، فمن خلال عمليات الفرز يتم الإيفاء على ما يثبت أنه صواب وبهمل ما هو خطأ بمعايير مأخوذة من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة واجتهاد علماء المسلمين.

ج – الكشافـــــات والأدلـــــة

إصدار الأدلة والكشافات الموضوعية وغيرها لمحتويات كتب التراث مما يساعد في سهولة التعامل معها، وسرعة الوصول لما يريده الباحث مما هو موجود فيها.

ولاشك أن أساتذة العلوم الإنسانية سيكونون أكثر الناس فرحاً بتحقيق ما سبق ذكره لأن هذا سيختصر لهم الجهود ويجعلهم يركزون على المراحل التالية لهذه المرحلة.

2 – مرحلـــــة التوظيـــــف

في هذه المرحلة يبدأ الباحث مرحلة التعامل المباشر مع محتويات التراث من خلال تخصصه العلمي. فيمزج هذه الثروة التراثية أثناء تناوله لأي موضوع من موضوعات تخصصه في مراحل كتاباته العلمية. ويحسن بالباحث في هذه المرحلة مراعاة ما يلي:

أ – عدم استخدام نص تراثي في غير مكانه المناسب، وتجنب إقحام النصوص التراثية في مواضع من البحث غير مناسبة له.

ب – عدم تحميل النص التراثي ما لا يحتمل. وذلك يلاحظ لدى بعض الباحثين الذين يرغبون تزيين بحوثهم بنصوص تراثية دون اعتبار لصحة توظيف هذه النصوص، والأمر لا يتعدى اعتقاد هذا الباحث أن هذا هو ما أراده المؤلف لذلك النص التراثي.

ج – الوعي بتأثير عاملي الزمان والمكان اللذان ظهر فيهما هذا النص التراثي، وأثرهما على المؤلف سواء في لغة الكتابة أو المحتوى المكتوب.

د – ربط النص التراثي بما يشابهه لنفس المؤلف في كتبه الأخرى – إن وجدت – بما يساعد على وضوح الفكرة المطروحة من قبل المؤلف بشكل شمولي.

هـ – الحرص على عرض المكتوب المتضمن على نصوص تراثية على متخصصين في العلوم الإسلامية والتاريخ للاستفادة من آراءهم حول مناسبة توظيف تلك النصوص في الأماكن التي وظفت فيها أم لا.

3 – مرحلـــــة الإبـــــداع

وهي قمة هذه المراحل، فمن خلال تعرف الباحث على التراث ومحتوياته بشكل صحيح، وتوظيفه لبعض تلك المحتويات في بحوثه ودراساته، يتوقع أن يكون النتاج الوعي بما ساعد علماؤنا السابقون على الإبداع وتقديم محتوى لازال كثير منه صالحاً حتى يومنا الحاضر. وبهذا يجدر بنا نحن الخلف أن نبدع فيما نقدمه من نتاج نسهم من خلاله في تقدم البشرية بشكل يميز ما لدينا نحن المسلمين عن غيرنا من أتباع الديانات والمذاهب الأخرى في عالمنا المعاصر (الصنيع، ص189-191، 1421هـ).

ولعل المتأمل للكتابات في التراث النفسي لدى علماء النفس المسلمين المعاصرين يجده بدء برسائل ماجستير ودكتوراه ثم تطور لبحوث علمية نشرت في دوريات علمية ثم اهتمام لمؤسسات علمية عقدت ندوات ومؤتمرات لهذا الغرض.

وحسب علم الباحث فإن رسالة الماجستير للدكتور محمد عثمان نجاتي في موضوع " الإدراك الحسي عند ابن سينا " التي قدمها إلى كلية الآداب بجامعة القاهرة (جامعة فؤاد سابقا) عام 1942م ونشرت في كتاب عام 1948م تعتبر من أوائل ما كتب ونشر في هذا المجال. ثم توالت الرسائل ومنها رسالة الماجستير لعبدالكريم العثمان وكانت بعنوان " الدراسات النفسية عند المسلمين والغزالي بوجه خاص " في جامعة القاهرة سنة 1962م؛ ومن أحدثها رسالة الماجستير لعبدالعزيز الأحمد حول " الصحة النفسية عند ابن قيم الجوزية وعلم النفس " عام 1417هـ. ومن الدوريات التي نشرت بحوث عن علماء التراث كل من " الرسالة " و" الحديث " في الثلاثينات الميلادية، و" المقتطف " و" الكتاب " و" منبر الإسلام " في الأربعينيات الميلادية (العثمان، 1401هـ). وهناك الدوريات العلمية التي تصدر من جامعات العالم الإسلامي فيها الكثير من دراسات التراث الإسلامي ومنه التراث النفسي؛ ثم جاءت دورية " المسلم المعاصر " التي أصدرها جمال الدين عطية عام 1394هـ ولا زالت مستمرة في الصدور، حيث نشر فيها العديد من دراسات التراث الإسلامي ومنه النفسي. وهناك العديد من الدوريات الصادرة من جمعيات ومؤسسات تربوية ونفسية مثل مكتب التربية العربي لدول الخليج الذي أصدر منذ عام 1399م دورية " رسالة الخليج العربي " والتي نشر فيها العديد من دراسات التراث التربوي والنفسي. وكذلك الجمعيات العلمية مثل الجمعية المصرية للدراسات النفسية والتي عرض في مؤتمراتها السنوية ودوريتها " المجلة المصرية للدراسات النفسية " (بدأت في الصدور منذ العام 1991م) العديد من دراسات التراث، كذلك الجمعية السعودية للعلوم التربوية والنفسية (جستن) في لقاءاتها السنوية ودوريتها " رسالة التربية وعلم النفس" (التي بدأت منذ عام 1410هـ) نشرت العديد من دراسات حول التراث التربوي والنفسي(الصنيع، 1420هـ).

وعندما ينتقل الحديث عن الكتب التي تخصصت في دراسات التراث النفسي عند علماء المسلمين فليس في الساحة – حسب علم الباحث – ما يزيد عن أصابع اليد الواحدة، فالمعهد العالمي للفكر الإسلامي في واشنطن أصدر عام 1412هـ ثلاثة مجلدات بعنوان " دليل الباحثين إلى المفاهيم النفسية في التراث (عرض وتكشيف)" حيث كلف المعهد أحدى عشر أستاذاً من أساتذة علم النفس في مصر بمراجعة من الدكتور محمد عثمان نجاتي لاختيار مؤلفات من التراث الإسلامي، حيث عرض 116 عالماً من علماء المسلمين بدءً من ابن سيرين المتوفي عام 110هـ حتى أبو العلا عفيفي (عالم معاصر). و يقوم الكاتب أولا بتقديم تعريف مختصر بالمؤلف ثم يعرض محتويات أحد أو بعض كتبه دون تناول لها بالربط والتحليل (دليل الباحثين إلى المفاهيم النفسية في التراث، 1412هـ).

وقدم نجاتي كتابه " الدراسات النفسانية عند العلماء المسلمين " عام 1414هـ حيث عرض أربعة عشر عالماً (الكندي 252هـ، أبو بكر الرازي 313هـ، الفارابي 339هـ، مسكويه 421هـ، إخوان الصفا القرن الرابع الهجري، ابن سينا 428هـ، ابن حزم 456هـ، الغزالي 505هـ، ابن باجه 533هـ، ابن طفيل 580هـ، ابن رشد 595هـ، فخر الدين الرازي 606هـ، ابن تيمية 728هـ، ابن قيم الجوزية 751هـ) حيث يبدأ بتعريف بالعالم ومؤلفاته وأحياناً وصف للعصر الذي عاش فيه، ثم يتناول موضوعات من كتبه، خصوصاً ما يتعلق بتعريفات النفس وتقسيماتها والحواس والقوى النفسية، والعقل والأحلام ونظرية المعرفة والانفعالات والأخلاق والسعادة والأمراض وعلاجها. وفي رأى الباحث يعتبر أفضل كتاب موجود في هذا المجال، لكونه عرض علماء من مشارب مختلفة فلسفية وصوفية وسلفية وغيرها، ولحسن اختياره لموضوعات لها علاقة بالاهتمامات المعاصرة، ولمقارنته لبعض الآراء المعروضة لبعض العلماء في موضوعات محددة (نجاتي، 1414هـ). وقدم ربيع عام 1995م كتابه " التراث النفسي عند علماء المسلمين " حوى ثلاثة عشر باباً خصص الثلاثة الأولى منها للحديث عن الفلسفة والفلسفة اليونانية والفلسفة الإسلامية، ثم عرض لعشرة علماء (الكندي 252هـ، الفارابي 339هـ، مسكويه 421هـ، إخوان الصفا القرن الرابع الهجري، ابن سينا 428هـ، الغزالي 505هـ، ابن باجه 533هـ، ابن طفيل 580هـ، ابن رشد 595هـ، فخر الدين الرازي 606هـ) واتبع نفس أسلوب نجاتي بالتعريف بالعالم ثم عرض بعض الموضوعات الواردة في بعض كتبه، وكل العلماء الذين عرضهم سبق لنجاتي تناولهم، ولم يتعرض لعدد من العلماء الذين عرضهم نجاتي ويمكن تصنيفهم على أنهم من علماء السلفية، واختلف عن نجاتي بعرض معلومات أكثر عن الموضوعات التي قدمها لكل عالم من العلماء (ربيع، 1995م).

تناول الصبيح التراث النفسي ورأى دراسته على أساس الاتجاهات الفكرية في التراث النفسي في الحضارة الإسلامية بدلاً من التراث النفسي عند علماء المسلمين أو التراث النفسي في الإسلام وغيرها من الأسماء وتعليله هو أنه قد شارك في بناء الحضارة الإسلامية كل من عاش تحت ظلالها عبر تاريخها الطويل من مسلمين وغيرهم من أهل الذمة لذلك ليس كل ما يوجد في كتب التراث على وتيرة واحدة بل قد نجد تناقضاً كبيراً بين طرح عالم وعالم آخر حسب الوجه الفكرية لكل منهما؛ وقد قسم الاتجاهات إلى ثلاثة هي الاتجاه الأثري (وأصحابه مرجعهم الكتاب والسنة) والاتجاه الصوفي (وأصحابه مرجعهم الحدس والعرفان) والاتجاه الفلسفي (وأصحابه مرجعهم الاستدلال البرهاني أو المنطق القياسي)، وتناول في كل اتجاه تعريفه ومنهجيته والملامح العامة للنظرية النفسية لديه (الصبيح،1420هـ). وهذا الطرح جديد ويتميز بمنهجية عرض قائمة على التقسيم الفكري لعلماء التراث، ولكن قد يوجه إليه صعوبة حسم تصنيف بعض العلماء في أي تجاه كما أورد هو في أطوار التصوف حيث جعل الثالث هو طور التصوف الفلسفي وأدخل فيه السهروردي وابن فارض وابن عربي وابن سبعين، فهل يحسب هؤلاء على الاتجاه الصوفي أم على الاتجاه الفلسفي. كما أن أبو حامد الغزالي الذي حسب ضمن الاتجاه الصوفي يمكن أن تعتبر نتاج السنوات الأولى من حياته ضمن معايير الاتجاه الفلسفي (بعد قراءة الصبيح لمسودة هذا الفصل، رأى أن الاعتراض الحقيقي على تقسيمه يأتي من وجود علماء لا يمكن تصنيفهم ضمن هذه الاتجاهات الثلاثة، فمثلاً أبو زيد البلخي فيلسوف ولكن فيما تركه من تراث نفسي يصعب إلحاقه بالفلاسفة وهو سلك مسلك الأطباء. والجاحظ معتزلي ويمكن أن يلحق بالفلاسفة ولكن تراثه النفسي لا يمكن تصنيفه ضمن الاتجاه الفلسفي؛ ومع ذلك فهذا التصنيف يساعد في فهم التراث ولكنه ليس حصرياً).

ونقدم فيما يلي نماذج من كتابات ثلاثة من علماء التراث، وهم ابن الجوزي وابن تيمية وابن قيم الجوزية، في ثلاثة موضوعات هي السعادة والقلب والنفس، مما سبق للباحث أن قدمها بصورة أوسع في كتاب " التدين والصحة النفسية ".

السعـــــــــادة

1) يؤكد ابن الجوزي على أن التقوى أهم ركائز سعادة حياة المسلم في هذه الدنيا ، فهي حفظ له في الدنيا والآخرة. والتقوى المطلوبة هي التقوى الصحيحة القائمة على الالتزام بما جاء في كتاب اللّـــه وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من العقيدة الصحيحة التي قوامها التوحيد والأقوال والأعمال التي نقلت عن رسول اللّـــه صلى الله عليه وآله وسلم بالأسانيد الصحيحة . ونتاج صحة التقوى رؤية الخير في كل الأمور الدينية والدنيوية. قال ابن الجوزي : (يا بني : ومتى صححت التقوى، رأيت كل خير، فالمتقي لا يرائي الخلق، ولا يتعرض لما يؤذي دينه، ومن حفظ حدود اللّـــه حفظ)(ابن الجوزي، ص35، 1412هـ).

كما يبين ابن الجوزي لابنه أن من أكثر الكنوز قيمة طاعة اللّـــه والابتعاد عن معصيته وحدوده والحذر من هوى النفس الأمارة بالسوء ، ففي ذلك السعادة (واعلم يا بني أن أوفى الذخائر: غض طرف عن محرم، وإمساك فضول كلمه، ومراعاة حد، وإيثار اللّـــه تعالى على هوى النفس) (ابن الجوزي، ص36-37، 1412هـ)..

والسعادة للمسلم تأتي عندما لا ينغمس في الدنيا وملذاتها ويحذر من اتباع هوى النفس التي تورده المهالك .

(وما سعد من سعد إلاّ بمخالفة هواه، ولا شقي من شقي إلاّ بإيثار دنياه) (ابن الجوزي، ص21، 1412هـ)..

كما ينقل ابن الجوزي أثراً عن ذا النون يبين فيه خمس خصال إذا توفرت في المسلم كان من أهل السعادة والصحة النفسية في هذه الحياة الدنيا، وإن كان توفر هذا الخصال قبل ساعات معدودة من موته.

(أخبرنا المحمدان ابن ناصر وابن عبدالباقي ... سمعت ذا النون يقول: من وجدت فيه خمس خصال رجيت له السعادة ولو قبل موته بساعتين، قيل: ما هي ؟ قال: استواء الخلق، وخفة الروح، وغزارة العقل، وصفاء التوحيد، وطيب المولد)(ابن الجوزي، ص14، ب.ت).

وهنا نلحظ الحرص على التوحيد والخلق ورجاحة العقل وهي من خصائص السعادة و التقوى والإنسان التقي.

ويشير ابن الجوزي إلى علامات العقل عند الإنسان ، وعند تفحص هذه العلامات نجد أنها مما يتزين به المسلم السعيد التقي الصحيح في نفسه.

(يستدل على عقل العاقل بسكوته وسكونه وخفض بصره وحركاته في أماكنها اللائقة بها ومراقبته للعواقب فلا تستفزه شهوة عاجلة عقباها ضرر، وتراه ينظر في القضاء فيتخير الأعلى والأحمد عاقبة من مطعم ومشرب وملبس وقول وفعل، ويترك ما يخاف ضرره ويستعد لما يجوز وقوعه) (ابن الجوزي، ص14، ب.ت).

كما يدعو ابن الجوزي إلى التمسك بالتقوى وأنها أصل السلامة والسعادة في الدنيا والآخرة. فالتدين الصحيح هو القائم على التقوى الصحيحة ونتاج ذلك صحة نفسية وسعادة دنيوية وأخروية.

(اعلم أن الزمان لا يثبت على حال كما قال الله عز وجل : ((وتلك الأيام نداولها بين الناس))، فتارة فقر وتارة غنى، وتارة عز وتارة ذل، وتارة يفرح الموالي وتارة يشمت الأعادي، فالسعيد من لازم أصلاً واحداً على كل حال، وهو تقوى اللّـــه سبحانه وتعالى فإنه إن استغنى زانته، وإن افتقر فتحت له أبواب الصبر، وإن عوفي تمت النعمة عليه، وإن ابتلي حملته، ولا يضره أن نزل به الزمان أو صعد، أو أعراه أو أشبعه أو أجاعه، لأن جميع تلك تزول وتتغير، والتقوى أصل السلامة حارس لا ينام، يأخذ باليد عند العثرة، ويوقف على الحدود، والمنكر من غرته لذة حصلت مع عدم التقوى فإنها ستحول وتخليه خاسراً، ولازم التقوى في كل حال فإنك لا ترى في الضيق إلاّ السعة، وفي المرض إلاّ العافية، هذا نقدها العاجل والآجل معلوم)(ابن الجوزي، ص123، 1407هـ).

ولا شك أن اتباع هدى اللّـــه سبحانه وتعالى ورسوله محمد صلى الله عليه وآله وسلم هو السعادة الحقيقية فلا يصيب المسلم شقاء ولا تعاسة بل سعادة وصحة ونعمة، ومدار ذلك التقوى. وهذا ما يؤكده ابن الجوزي في النص التالي: (تأملت قوله تعالى :((فمن تبع هداي فلا يضل ولا يشقى)) قال المفسرون : هداي رسول اللّـــه صلى الله عليه وآله وسلم وكتابي. فوجدته على الحقيقة أن كل من تبع القرآن والسنة وعمل بما فيهما، فقد سلم من الضلال بلا شك. وارتفع في حقه شقاء الآخرة بلا شك، إذا مات على ذلك. وكذلك شقاء الدنيا فلا يشقى أصلاً. ويبين هذا قوله تعالى: {ومن يتق اللّـــه يجعل له مخرجا}. فإن رأيته في شدة فله من اليقين بالجزاء ما يصير المصاب عنده عسلاً، والأغلب طيب العيش في كل حال، والغالب أنه لا ينزل به شدة إلا إذا انحرف عن جادة التقوى. فأما الملازم لطريق التقوى فلا آفة تطرقه، ولا بلية تنزل به، هذا هو الأغلب) (ابن الجوزي، ص128، 1407هـ).

2) يركز شيخ الإسلام ابن تيمية في كثير من مؤلفاته على الإيمان وأنه أصل السعادة والفلاح في الدنيا والآخرة، وأن أهل الإيمان الصحيح هم أهل السعادة الحقيقية، لأن مقر السعادة هو القلب، ولا يمكن أن يكون القلب سعيداً إلاّ إذا امتلئ بالإيمان المشتمل على أركانه الستة، وربط ذلك الإيمان بالعمل الصالح الذي هو جزء لا يتجزأ من الإيمان، فمن آمن ولم يعمل فلا

صدق لإيمانه بل عدم العمل دليل على الانحراف عن الطريق الصحيح الذي ورد في كتاب اللّـــه وسنة رسول اللّـــه صلى الله عليه وآله وسلم وسلف الأمة الصالح .

يقول رحمه اللّـــه تعالى:

(وبمجموع هذين الوصفين علق السعادة فقال: ((بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون)) كما علقه بالإيمان باليوم الآخر والعمل الصالح في قوله: ((إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن باللّـــه واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ...)) والإيمان المقرون بالعمل الصالح متلازمان، فإن الوعد على الوصفين وعد واحد وهو الثواب وانتفاء العقاب)(ابن تيمية، م7، ص261، ب.ت).

وأصل الإيمان هو الإيمان باللّـــه وحبه تعالى دون سواه، فهي سعادة القلب الحقيقية. يقول ابن تيمية:

(القلب فقير بالذات إلى اللّـــه من وجهين: من جهة العبادة، وهي العلة الغائية، ومن جهة الاستعانة والتوكل؛ وهي العلة الفاعلة. فالقلب لا يصلح ولا يفلح ولا ينعم ولا يسر ولا يلتذ ولا يطيب ولا يسكن ولا يطمئن إلاّ بعبادة ربه وحبه الإنابة، ولو حصل له كل ما يلتذ به من المخلوقات، لم يطمئن، ولم يسكن إذ فيه فقر ذاتي إلى ربه، من حيث هو معبوده ومحبوبه ومطلوبه، وبذلك يحصل له الفرح والسرور واللذة والنعمة والسكون والطمأنينة)(ابن تيمية، ص108، 1399هـ).

والإيمان إذا خالط القلب أكسبه سعادة وسرور وبهجة يقول ابن تيمية:

(فالإيمان إذا باشر القلب وخالطته بشاشته لا يسخطه القلب، بل يحبه ويرضاه، فإن له من الحلاوة في القلب واللذة والسرور والبهجة ما لا يمكن التعبير عنه لمن لم يذقه، والناس متفاوتون في ذوقه والفرح والسرور الذي في القلب له من البشاشة ما هو بحسبه، وإذا خالطت القلب لم يسخطه ، قال الله تعالى : ((قل بفضل اللّـــه وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون)) وقال تعالى : ((والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل إليك، ومن الأحزاب من ينكر بعضه)) وقال تعالى : ((وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيماناً، فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً وهم يستبشرون)) فأخبر سبحانه أنهم يستبشرون بما أنزل من القرآن ، والاستبشار هو الفرح والسرور، وذلك لما يجدونه في قلوبهم من الحلاوة واللذة والبهجة بما أنزل اللّـــه) (ابن تيمية، م10، ص648، ب.ت)..

والإيمان يزيد بالطاعة مما يجلب له السعادة والسكينة والطمأنينة، يقول ابن تيمية: (قال الله تعالى: ((هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم)) وهذه نزلت لما رجع النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه من الحديبية ؛ فجعل السكينة موجبة لزيادة الإيمان. والسكينة طمأنينة في القلب غير علم القلب وتصديقه، ولهذا قال يوم حنين ((ثم أنزل سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنوداً لم تروها)) ... فلما أنزل السكينة في قلوبهم، مرجعهم من الحديبية، ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم، دل على أن الإيمان المزيد، حال للقلب وصفة له، وعمل مثل طمأنينته وسكونه ويقينه) (ابن تيمية، م7، ص229، ب.ت)..

التوحيد إذا وقر في القلب بصدق وإخلاص فإن من أهم آثاره طمأنينة القلب وشعوره بالأمن والسعادة يقول ابن تيمية:

(والعبد إذا أنعم اللّـــه عليه بالتوحيد فشهد أن لا إله إلاّ اللّـــه مخلصاً من قلبه ... حلاه اللّـــه بالأمن والسرور والحبور والرحمة للخلق والجهاد في سبيل اللّـــه فهو يجاهد ويرحم، له الصبر والرحمة قال اللّـــه تعالى: ((وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة)) وكلما قوى التوحيد في قلب العبد قوى إيمانه وطمأنينته وتوكله ويقينه) (ابن تيمية، م28، ص35، ب.ت)..

ومن أهم ركائز الإيمان ركيزة الإيمان بالرسل، والإنسان الذي يريد السعادة في الدنيا والآخرة عليه بإتباع سيد الأنبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وآله وسلم، لأنه ما ترك خيراً في الدنيا والآخرة إلاّ ودل الأمة عليه ولا شراً إلاّ حذرها منه، فالسعداء هم بلا شك أتباع الرسل. ويؤكد ابن تيمية ذلك بقوله: (إذا كانت (سعادة الدنيا والآخرة) هي بإتباع المرسلين، فمن المعلوم أن أحق الناس بذلك هم أعلمهم بآثار المرسلين وأتبعهم لذلك، فالعالمون بأقوالهم وأفعالهم، المتبعون لها هم أهل السعادة في كل زمان ومكان ... والرسل – صلوات اللّـــه وسلامه عليهم – عليهم البلاغ المبين، وقد بلغوا البلاغ المبين، وخاتم الرسل محمد صلى الله عليه وآله وسلم أنزل اللّـــه كتابه مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه، فهو الأمين على جميع الكتب وقد بلغ أبين بلاغ وأتمه وأكمله، وكان أنصح الخلق لعباد اللّـــه، وكان بالمؤمنين رؤوفاً رحيماً، بلغ الرسالة وأدى الأمانة، وجاهد في اللّـــه حق جهاده، وعبد الله حتى أتاه اليقين. فأسعد الخلق، وأعظمهم نعيماً وأعلاهم درجة، أعظمهم إتباعا وموافقة له علماً وعملا) (ابن تيمية، م4، ص26، ب.ت).

والإيمان الواقر بصدق في القلب يقي صاحبه من الشهوات والشبهات التي تنغص عليه حياته وتسلبه السعادة التي يبحث عنها، ولا علاج لتلك الشهوات والشبهات المنحرفة إلاّ بضدها وهو تقوية الإيمان وزيادته في نفس المؤمن. يقول ابن تيمية :

(وكذلك ما في القلب من الإيمان وعبادة اللّـــه سبحانه وتعالى [يحفظ] بأشباهه بما يقوي الإيمان والعبادة، وإذا حصل في القلب مرض من الشبهات والشهوات أزيل ذلك بضده، ولا يحصل المرض إلاّ لنقص أسباب الصحة، كذلك القلب لا يمرض بالشهوات والشبهات إلاّ لنقص إيمانه)(ابن تيمية، ص53، 1416هـ).

والسعادة الحقيقية تقوم على مجموعة من الأصول التي لا بد من معرفتها وأهمها أصليين هما البقاء على فطرة التوحيد والثاني هداية اللّـــه لتلك الفطرة لتصل بالعلم الذي تأخذه من الرسل – عليهم أفضل الصلاة والسلام – إلى السعادة في الدنيا والآخرة.

يقول ابن تيمية: (والله سبحانه وتعالى قد تفضل على بني آدم بأمرين هما أصل السعادة، أحدهما: أن كل مولود يولد على الفطرة، كما في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : ((كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه. كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء ؟ ثم يقول أبو هريرة : اقرءوا إن شئتم ((فطرة اللّـــه التي فطر الناس عليها)) وقال تعالى: ((فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة اللّـــه التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق اللّـــه ذلك الدين القيم)).

... فالنفس بفطرتها إذا تركت كانت مقره لله بالإلهية، محبة ، تعبده، لا تشرك به شيئا. ولكن يفسدها ما يزين لها شياطين الأنس والجن بما يوصي بعضهم إلى بعض من الباطل. قال تعالى: ((وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة أنا كنا عن هذا غافلين. أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون)) ... والثاني: أن اللّـــه تعالى قد هدى الناس هداية عامة بما جعل فيهم بالفطرة من المعرفة وأسباب العلم، وبما أنزل إليهم من الكتب، وأرسل إليهم من الرسل. قال تعالى : ((اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الإنسان من علق. أقرأ وربك الأكرم. الذي علم بالقلم. علم الإنسان ما لم يعلم)) وقال تعالى : ((الرحمن علم القرآن. خلق الإنسان. علمه البيان)) وقال تعالى: ((سبح اسم ربك الأعلى. الذي خلق فسوى. والذي قدر فهدى)) وقال تعالى: ((وهديناه النجدين)).

ففي كل أحد ما يقتضي معرفته بالحق ومحبته له. وقد هداه ربه إلى أنواع من العلم، ويمكنه أن يتوصل بها إلى سعادة الأولى والآخرة، وجعل في فطرته محبة لذلك. لكن قد يعرض الإنسان بجاهليته وغفلته عن طلب ما ينفعه. وكونه لا يطلب ذلك، ولا يريده: أمر عدمي، ولا يضاف إلى اللّـــه تعالى. فلا يضاف إلى اللّـــه: لا عدم علمه بالحق، ولا عدم إرادته للخير](ابن تيمية، ص54-56، 1406هـ).

3) تناول ابن قيم الجوزية السعادة في مواضع عدة من كتبه ، فتحدث عن أنواعها وطريق الحصول عليها ، ومن هم أهلها المستحقون لها. ففي أنواع السعادة التي تؤثرها النفس يفصل القول فيها من حيث تقسيمها إلى ثلاثة أنواع وهي سعادة خارجية، وسعادة جسمية، وسعادة حقيقية وهي المعول عليها لأنها سعادة نفسية روحية قلبية، ولنترك الحديث لابن قيم الجوزية حيث يقول:

(أنواع السعادة التي تؤثرها النفوس ثلاثة:

♦ سعادة خارجية عن ذات الإنسان بل هي مستعارة له من غيره تزول باسترداد العارية، وهي سعادة المال والجاه وتوابعها فبينما المرء بها سعيداً ملحوظاً بالعناية مرموقاً بالأبصار، إذ أصبح في اليوم الواحد أذل من وتد بقاع يشج رأسه بالفهرواجي؛ فالسعادة والفرح بهذه كفرح الأقرع بجمة ابن عمه! والجمال بها كجمال المرء بثيابه وزينته، فإذا جاوز بصرك كسوته فليس وراء عبادان قرية.

♦ ... السعادة الثانية سعادة في جسمه وبدنه، كصحته واعتدال مزاجه، وتناسب أعضائه، وحسن تركيبه، وصفاء لونه، وقوة أعضائه، فهذه ألصق به من الأولى، ولكن هي في الحقيقة خارجة عن ذاته وحقيقته فإن الإنسان إنسان بروحه وقلبه لا بجسمه وبدنه، كما قيل:

يا خادم الجسم كي تشقى بخدمته فأنت بالروح لا بالجسم إنسان

فنسبة هذه إلى روحه وقلبه كنسبة ثيابه ولباسه إلى بدنه؛ فإن البدن أيضاً عارية للروح وآله لها ومركب من مراكبها فسعادتها بصحته وجماله وحسنه، سعادة خارجة عن ذاتها وحقيقتها.

♦ السعادة الثالثة : هي السعادة الحقيقية، وهي سعادة نفسانية روحية قلبية، وهي سعادة العلم النافع ثمرته فإنها هي الباقية على تقلب الأحوال والمصاحبة للعبد في جميع أسفاره وفي دوره الثلاثة أعني: دار الدنيا، ودار البرزخ، ودار القرار، وبها يترقى في معارج الفضل ودرجات الكمال. أما:

الأولى : فإنها تصحبه في البقعة التي فيها ماله وجاهه.

والثانية : فعرضة للزوال والتبدل بنكس الخلق والرد إلى الضعف؛ فلا سعادة في الحقيقة إلا في هذه (الثالثة).

الثالثة : التي كلما طال عليها الأمد ازدادت قوة وعلواً، وإذا عدم المال والجاه، فهي مال العبد وجاهه وتظهر قوتها وأثرها بعد مفارقة الروح البدن إذا انقطعت السعادتان الأولتان وهذه السعادة لا يعرف قدرها ويبعث على طلبها إلا العلم بها، فعادت السعادة كلها إلى العلم وما يقتضيه والله يوفق من يشاء لا مانع لما أعطي ولا معطي لما منع).

وأما طريق السعادة فهو طريق العبودية لله وحده ومحبته والشوق إلى لقائه، والابتهاج به، والفرح والسرور به دون سواه، يقول ابن قيم الجوزية في هذا:

(مشهد العبودية والمحبة، والشوق إلى لقائه، والابتهاج به، والفرح والسرور به. فتقر به عينه، ويسكن إليه قلبه. وتطمئن إليه جوارحه، ويستولي ذكره على لسان مُحِبِّهِ وقلبه. فتصير خطرات المحبة مكان خطرات المعصية. وإرادات التقرب إليه وإلى مرضاته، مكان إرادة معاصيه ومساخطه، وحركات اللسان والجوارح بالطاعات، مكان حركاتها بالمعاصي. قد امتلأ قلبه من محبته، ولهج لسانه بذكره. وانقادت الجوارح لطاعته ... وكان شيخ الإسلام ابن تيمية يقول: من أراد السعادة الأبدية، فليلزم عتبة العبودية)(ابن قيم الجوزية، ص259، 1410هـ).

ويبين ابن قيم الجوزية أسس السعادة التي تقوم على معرفة اللّـــه والاستغناء به عمن سواه وإيثار رضاه على رضى من سواه، ثم إتباع رسوله محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فيقول:

(والإيثار المتعلق بالخالق من هذا وأفضل، وهو إيثار رضاه على رضى غيره، وإيثار حبه على حب غيره، وإيثار خوفه ورجاءه على خوف غيره ورجائه، وإيثار الذل له والخضوع والاستكانة والضراعة والتملق على بذل ذلك لغيره. وكذلك إيثار الطلب منه والسؤال وإنزال الفاقات به على تعلق ذلك بغيره ... وعلامة هذا الإيثار شيئان: أحدهما فعل ما يحب اللّـــه إذا كانت النفس تكرهه وتهرب منه، الثاني ترك ما يكرهه إذا كانت النفس تحبه وتهواه، فبهذين الأمرين يصح مقام الإيثار، ومؤنة هذا الإيثار شديدة لغلبة الأغيار وقوة داعي العادة والطبع، فالمحنة فيه عظيمة والمؤنة فيه شديدة والنفس عنه ضعيفة، ولا يتم فلاح العبد وسعادته إلا به ... والذي يسهله على العبد أمور: أحدها أن تكون طبيعته لينة منقادة سلسلة ليست بجافية ولا قاسية، بل تنقاد معه بسهولة. الثاني أن يكون إيمانه راسخاً ويقينه قوياً، فإن هذه ثمرة الإيمان ونتيجته. الثالث قوة صبره وثباته. فبهذه الأمور الثلاثة ينهض إلى هذا المقام ويسهل عليه دركه)(ابن قيم الجوزية، ص 469-497، 1409هـ).

ويبين ابن قيم الجوزية السبب الثاني للسعادة وهو اتباع هدى رسول اللّـــه صلى الله عليه وآله وسلم والامتثال لكل أمر جاء به والانتهاء عن كل ما نهى عنه وجعله الأسوة في هذه الحياة الدنيا، فيقول:

(وهجره إلى رسوله في حركاته وسكناته الظاهرة والباطنة، بحيث تكون موافقة لشرعه الذي هو تفصيل محاب اللّـــه ومرضاته، ولا يقبل من أحد ديناً سواه ... ولما كانت السعادة – نفياً وإثباتاً – مع ما جاء به كان جديراً بمن نصح نفسه أن يجعل لحظات عمره وقفاً على معرفته، وإرادته مقصورة على محابه، وهنا أعلى همة شمر إليها السابقون، وتنافس فيها المتنافسون) (ابن قيم الجوزية، ص 20-21، 1409هـ)..

أما أهل السعادة فهم أهل الإيمان وهم أهل الهداية والتوفيق وهي نعمة من اللّـــه عليهم ، قال عنهم ابن قيم الجوزية:

(خص أهل السعادة بالهداية دون غيرهم فهذه مسألة اختلفت الناس فيها وطال الحجاج من الطرفين وهي انه هل لله على الكافر نعمة أم لا فمن نافٍ محتج بهذه وبقوله: ((ومن يطع اللّـــه والرسول فأولئك مع الذين أنعم اللّـــه عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا)) فخص هؤلاء بالأنعام فدل على أن غيرهم غير منعم عليه ولقوله لعباده المؤمنين: ((ولأتم نعمتي عليكم)) وبأن الإنعام ينافي الانتقام والعقوبة فأي نعمة على من خلق للعذاب الأبدي. ومن مثبت محتج بقوله ((وأن تعدوا نعمة اللّـــه لا تحصوها)) وقوله لليهود: ((يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم)) وهذا خطاب لهم في حال كفرهم ... وفصل الخطاب في هذه المسألة أن النعمة المطلقة مختصة بأهل الإيمان لا يشركهم فيها سواهم ومطلق النعمة عام للخليقة كلهم برهم وفاجرهم، مؤمنهم وكافرهم فالنعمة المطلقة التامة هي المتصلة بسعادة الأبد وبالنعيم المقيم فهذه غير مشتركة ومطلق النعمة عام مشترك)(ابن قيم الجوزية، ص22-23، م2، ب.ت).

ويؤكد ابن قيم الجوزية على أن الإنسان المسلم المحسن للعمل الصالح هو السعيد وعلى عكسه الإنسان المسيء فهو في شقاء وضيق، فيقول:

(قال الله تعالى : ((من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة)) (النحل : 97) فهذا في الدنيا ، ثم قال : ((ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون)) (النحل : 97) فهذا في البرزخ والآخرة . وقال تعالى : ((والذين هاجروا في اللّـــه من بعد ما ظلموا لنبوئنهم في الدنيا حسنة ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون)) (النحل : 41) . وقال تعالى : ((وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يمتعكم متاعاً حسناً إلى أجل مسمى ويؤت كل ذي فضل فضله)) (هود : 3) فهذا في الآخرة . وقال تعالى : ((قل يا عبادي الذين آمنوا اتقوا ربكم للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنه وأرض اللّـــه واسعة إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب)) (الزمر : 10) .

فهذه أربعة مواضع ذكر تعالى فيها أنه يجزي المحسن بإحسانه جزاءين: جزاء في الدنيا، وجزاءً في الآخرة. فالإحسان له جزاء معجل ولا بد، والإساءة لها جزاء معجل ولا بد. ولو لم يكن إلاّ ما يجازي به المحسن: من انشراح صدره في إنفساح قلبه وسروره ، ولذاته بمعاملة ربه سبحانه وتعالى، وطاعته ، وذكره، ونعيم روحه بمحبته وذكره وفرحه بربه سبحانه وتعالى أعظم مما يفرح القريب من السلطان الكريم عليه بسلطانه.

وما يجازي به المسيء: من ضيق الصدر، وقسوة القلب، وتشتته وظلمته وحزازته وغمه وهمه وحزنه وخوفه وهذا أمر لا يكاد من له أدنى حس وحياة يرتاب فيه، بل الغموم والهموم والأحزان والضيق: عقوبات عاجلة، ونار دنيوية وجهنم حاضرة)(ابن قيم الجوزية، ص59ـــ60، ب.ت).

القلـــــــــب

1) عند ابن الجوزي القلب هو أهم ما في الجسد بصلاحه تصلح باقي الأعضاء وبفساده تفسد ، وهو في الأصل سليم على الفطرة، ولكن يأتيه الخلل والصدأ من الذنوب والمعاصي التي تفسد عليه صفاءه وسلامته فيصبح لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً. ولكن يمكن علاج صدأ القلب. يقول ابن الجوزي (اعلم أن القلب في أصل الوضع سليم من كل آفة، والحواس الخمس توصل إليه الأخبار فترقم في صفحته. فينبغي أن يستوثق من سد الطرق التي يخشى عليه منها الفتن، فإنه إذا اشتغل بشيء منها أعرض عما خلق له من التعظيم للخالق والفكر في المصالح، ورب فتنة علق به شباها، فكانت سبباً في هلاكه ... عن أبي هريرة، قال: قال رسول اللّـــه صلى الله عليه وسلم: ((إن المؤمن إذا أذنب كانت نكته سوداء في قلبه، فإن تاب ونزع واستغفر صقل قلبه، وإن زاد زادت حتى تعلو قلبه، فذلك الران الذي ذكر اللّـــه تعالى في كتابه: ((كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون)) (المطففين : 14) قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح ... وقال يحيى ابن معاذ: سقم الجسد بالأوجاع، وسقم القلوب بالذنوب، فكما لا يجد الجسد لذة الطعام عند سقمه، فكذلك القلب لا يجد حلاوة العبادة مع الذنوب ... عن ابن عمر قال : قال رسول اللّـــه صلى الله عيه وآله وسلم: ((إن هذه القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد. قيل: يا رسول اللّـــه صلى الله عيه وآله وسلم، فما جلاؤها ؟ قال: تلاوة القرآن)) ... إبراهيم الخواص يقول: دواء القلب خمسة أشياء: قراءة القرآن بالتدبر، وخلاء البطن، وقيام الليل، والتضرع عند السحر، ومجالسة الصالحين)(ابن الجوزي، ص56-63، 1407هـ).

2) عند ابن تيمية كما أن الجسد يمرض فكذلك القلب يمرض من خلال إصابته بأحد أمراض القلوب التي تحرمه من الصحة النفسية أو تسبب له خللاً في مستوى صحته النفسية وتنقله من حال السلامة والسعادة إلى حال المرض والتعاسة. ويتناول شيخ الإسلام ابن تيمية تعريف مرض القلب ويصف بعض العلاجات المناسبة التي تساعد على شفاءه .

(((مرض القلب)) ألم يحصل في القلب كالغيظ من عدو استولى عليك، فإن ذلك يؤلم القلب. قال اللّـــه تعالى : ((ويشف صدور قوم مؤمنين ويذهب غيض قلوبهم)) فشفاؤهم بزوال ما حصل في قلوبهم من الألم. ويقال: فلان شفى غيظه، وفي القود استشفاء أولياء المقتول، ونحو ذلك. فهذا شفاء من الغم والغيظ والحزن، وكل هذه آلام تحصل في القلب.

... والقرآن شفاء لما في الصدور، ومن في قلبه أمراض الشبهات والشهوات ففيه من البينات ما يزيل الحق من الباطل ... فالقرآن مزيل للأمراض الموجبة للإرادات الفاسدة حتى يصلح القلب فتصلح إرادته، ويعود إلى فطرته التي فطر عليها كما يعود البدن إلى الحال الطبيعي.... و (الصدقة) لما كانت تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار صار القلب يزكو بها، وزكاته معنى زائد على طهارته من الذنب، قال اللّـــه تعالى: ((خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها)).

وكذلك ترك الفواحش يزكو بها القلب. وكذلك ترك المعاصي فإنها بمنزلة الأخلاط الرديئة في البدن، ومثل الدغل في الزرع، فإذا إستفرغ البدن من الأخلاط الرديئة كاستخراج الدم الزائد تخلصت القوة الطبيعية واستراحت فينمو البدن، وكذلك القلب إذا تاب من الذنوب كان استفراغاً من تخليطاته حيث خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً، فإذا تاب من الذنوب تخلصت قوة القلب وإرادته للأعمال الصالحة، واستراح القلب من تلك الحوادث الفاسدة التي كانت فيه.

و (العدل) هو الاعتدال، والاعتدال هو صلاح القلب. كما أن الظلم فساده. ولهذا جميع الذنوب يكون الرجل فيها ظالماً لنفسه. والظلم خلاف العدل فلم يعدل على نفسه ؛ بل ظلمها.

... والعمل له أثر في القلب من نفع وضر وصلاح قبل أثره في الخارج ، فصلاحها عدل لها وفسادها ظلم لها، قال تعالى : ((من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها)) وقال تعالى: ((إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها)) قال بعض السلف: أن للحسنة لنوراً في القلب، وقوة في البدن، وضياء في الوجه، وسعة في الرزق، ومحبة في قلوب الخلق، وإن للسيئة لظلمة في القلب، وسواداً في الوجه، ووهناً في البدن، ونقصاً في الرزق، وبغضاً في قلوب الخلق)(ابن تيمية، ص94-99، م10، ب.ت).

وأمراض القلوب أنواع مختلفة ، يذكر ابن تيمية بعضاً منها مع تناوله لسبب البعض منها وكيف يعالج، فيقول:

(من أمراض القلوب (الحسد) كما قال بعضهم في حده: انه أذى يلحق بسبب العلم بحسن حال الأغنياء، فلا يجوز أن يكون الفاضل حسوداً، لأن الفاضل يجري على ما هو جميل، وقد قال طائفة من الناس: إنه تمنى زوال النعمة عن المحسود، وإن لم يصر للحاسد مثلها، بخلاف الغبطة فإنه تمنى مثلها من غير حب زوالها عن المغبوط.

والتحقيق أن الحسد هو البغض والكراهة لما يراه من حسن حال المحسود، وهو نوعان:

- (أحدهما) كراهة للنعمة عليه مطلقاً، فهذا هو الحسد المذموم، وإذا أبغض ذلك فإنه يتألم ويتأذى بوجود ما يبغضه، فيكون ذلك مرضاً في قلبه، ويلتذ بزوال النعمة عنه، وان لم يحصل له نفع بزوالها، لكن نفعه زوال الألم الذي كان في نفسه. ولكن ذلك الألم لم يزل إلاّ بمباشرة منه، وهو راحة، وأشده كالمريض الذي عولج بما يسكن وجعه والمرض باق؛ فإن بغضه لنعمة الله على عبده مرض، فإن تلك النعمة قد تعود على المحسود وأعظم منها، وقد يحصل نظير تلك النعمة لنظير ذلك المحسود.

والحاسد ليس له غرض في شيء معين؛ لكن نفسه تكره ما أنعم به على النوع. ولهذا قال من قال: انه تمنى زوال النعمة، فإن من كره النعمة على غيره تمنى زوالها بقلبه.

♦ و(النوع الثاني): أن يكره فضل ذلك الشخص عليه، فيحب أن يكون مثله أو أفضل منه، فهذا حسد وهو الذي سموه الغبطة، وقد سماه النبي صلى الله عليه وآله وسلم حسداً في الحديث المتفق عليه من حديث ابن مسعود وابن عمر رضي اللّـــه عنهما أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال: ((لا حسد إلاّ في اثنتين : رجل أتاه اللّـــه الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها، ورجل أتاه اللّـــه مالاً وسلطة على هلكته في الحق)(ابن تيمية، ص111-112، م10، ب.ت).

(والعشق مرض نفساني، وإذا قوى أثر في البدن فصار مرضاً في الجسم، إما من أمراض الدماغ كالماليخوليا؛ ولهذا قيل فيه هو مرض وسواسي شبيه بالماليخوليا ... العاشق يضره اتصاله بالمعشوق مشاهدة وملامسة وسماعاً، بل يضره التفكر فيه والتخيل له وهو يشتهي ذلك، فإن منع مشتهاه تألم وتعذب، وإن أعطى مشتهاه قوى مرضه، وكان سبباً لزيادة الألم .... والناس في العشق على قولين: قيل : انه من باب الإرادات ، وهذا هو المشهور.

وقيل: إنه من باب التصورات، وإنه فساد في التخييل، حيث يتصور المعشوق على ما هو به، قال هؤلاء: ولهذا لا يوصف اللّـــه بالعشق، ولا يتصور أنه يعشق؛ لأنه منزه عن ذلك، ولا يحمد من يتخيل فيه خيالاً فاسداً.

... وما يبتلى بالعشق أحد إلا لنقص توحيده وإيمانه ، وإلاّ فالقلب المنيب إلى اللّـــه الخائف منه فيه صارفان يصرفانه عن العشق:

♦ (أحدهما) إنابته إلى اللّـــه ، ومحبته له، فإن ذلك ألذ وأطيب من كل شيء، فلا تبقى مع محبة اللّـــه محبة مخلوق تزاحمه.

♦ و (الثاني) خوفه من اللّـــه، فإن الخوف المضاد للعشق يصرفه، وكل من أحب شيئاً بعشق أو غير عشق فإنه يصرف عن محبته بمحبة ما هو أحب إليه منه، إذا كان يزاحمه، ويتصرف عن محبته بخوف حصول ضرر يكون أبغض عليه من ترك ذاك الحب، فإذا كان اللّـــه أحب إلى العبد من كل شيء وأخوف عنده من كل شيء لم يحصل معه عشق ولا مزاحمة إلاّ عند غفلة أو عند ضعف هذا الحب والخوف، بترك بعض الواجبات وفعل بعض المحرمات، فإن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، فكلما فعل العبد الطاعة محبة لله وخوفاً منه وترك المعصية حباً له وخوفاً منه قوي حبه له وخوفه منه، فيزيل ما في القلب من محبة غيره ومخافة غيره.

وهكذا أعراض الأبدان: فإن الصحة تحفظ بالمثل، والمرض يدفع بالضد، فصحة القلب بالإيمان تحفظ بالمثل، وهو ما يورث القلب إيماناً من العلم النافع والعمل الصالح، فتلك أغذية له. كما في حديث ابن مسعود مرفوعاً وموقوفاً: ((إن كل آدب يحب أن تؤتى مأدبته، وإن مأدبة اللّـــه هي القرآن)) والآدب المضيف فهو ضيافة اللّـــه لعباده.

مثل آخر الليل وأوقات الأذان والإقامة وفي سجوده وفي إدبار الصلوات ويضم إلى ذلك الاستغفار، فإنه من استغفر اللّـــه ثم تاب إليه متعه متاعاً حسناً إلى أجل مسمى. وليتخذ ورداً من (الأذكار) في النهار، ووقت النوم، وليصبر على ما يعرض له من الموانع والصوارف ، فإنه لا يلبث أن يؤيده اللّـــه بروح منه، ويكتب الإيمان في قلبه. وليحرص على إكمال الفرائض من الصلوات الخمس باطنة وظاهرة فإنها عمود الدين، وليكن هجيراه لا حول ولا قوة إلاّ باللّـــه، فإنها بها تحمل الأثقال وتكابد الأهوال وينال رفيع الأحوال.

و لا يسأم من الدعاء والطلب، فإن العبد يستجاب له ما لم يعجل فيقول: قد دعوت ودعوت فلم يستجب لي، وليعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرا ، ولم ينل أحد شيئاً من ختم الخير نبي ممن دونه إلاّ بالصبر)(ابن تيمية، ص129-137، م10، ب.ت).

(و ((الشح)) يكون في الرجل مع الحرص وقوة الرغبة في المال وبغض الغير وظلم له، كما قال تعالى : ((قد يعلم اللّـــه المعوقين منكم والقائلين لأخوانهم هلم إلينا ، ولا يأتون البأس إلاّ قليلاً أشحة عليكم)) الآيات – إلى قوله : ((أشحة على الخير أولئك لم يؤمنوا فأحبط اللّـــه أعمالهم)) فشحهم على المؤمنين وعلى الخير يتضمن كراهيته وبغضه)(ابن تيمية، ص590، م10، ب.ت).

(محبة الفواحش مرض في القلب، فإن الشهوة توجب السكر، كما قال تعالى عن قوم لوط ((إنهم لفي سكرتهم يعمهون)) وفي الصحيحين واللفظ لمسلم من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم : ((العينان تزنيان وزناهما النظر)) الحديث إلى آخره. فكثير من الناس يكون مقصوده بعض هذه الأنواع المذكورة في الحديث: كالنظر، والاستمتاع والمخاطبة. ومنهم من يرقى إلى اللمس والمباشرة، ومنهم من يقبل وينظر، وكل ذلك حرام)(ابن تيمية، ص288-289، م15، ب.ت).

(فالشيطان يريد بوساوسه أن يشغل القلب عن الانتفاع بالقرآن، فأمر اللّـــه القارئ إذا قرأ القرآن، أن يستعيذ منه فقال تعالى: ((فإذا قرأت القرآن فاستعذ باللّـــه من الشيطان الرجيم. انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون. إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون)) فإن المستعيذ باللّـــه مستجير به، لاجئ إليه، مستغيث به من الشيطان، فالعائذ بغيره مستجير به، فإذا عاذ العبد بربه كان مستجيراً به متوكلاً عليه فيعيذه اللّـــه من الشيطان ويجيره منه)(ابن تيمية، ص283، م7، ب.ت).

(والريب نوعان : نوع يكون شكاً لنقص العلم. ونوع يكون اضطراباً في القلب. وكلاهما لنقص الحال الإيماني؛ فإن الإيمان لا بد فيه من علم القلب، وليس كل مكان يكون له علم يعلمه. وعمل القلب أو بصيرته وثباته وطمأنينته وسكينته وتوكله وإخلاصه وإنابته إلى اللّـــه تعالى، وهذه الأمور كلها في القرآن، يقال: رابني كذا وكذا يريبني أي: حرك قلبي، ومنه الحديث عن رسول اللّـــه صلى الله عليه وآله وسلم: انه مر بظبي حاقف فقال ((لا يريبه أحد)) أي: لا يحركه أحد. ومنه قوله: ((دع ما يريبك إلى ما لا يريبك)) فإن الصدق طمأنينة والكذب ريبة، فإن الصادق من لا يقلق قلبه والكاذب يقلق قلبه)(ابن تيمية، ص42-43، م28، ب.ت).

(أصل الهوى هو محبة النفس ويتبع ذلك بغضها ونفس الهوى وهو الحب والبغض الذي في النفس لا يلام عليه فإن ذلك قد لا يملك وإنما يلام على اتباعه كما قال تعالى: ((يا داود أنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله))(ص:26) وقال تعالى: ((ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله))(القصص:50)(ابن تيمية، ص79-80، 1976م).

والمعازف هي خمر النفوس، تفعل بالنفوس أعظم مما تفعل حميا الكؤوس، فإذا سكروا بالأصوات حل فيهم الشرك ومالوا إلى الفواحش وإلى الظلم، فيشركون ويقتلون النفس التي حرم اللّـــه ويزنون.

وهذه (الثلاثة) موجودة كثيراً في أهل ((سماع المعازف))؛ سماع المكاء والتصدية، أما ((الشرك)) فغالب عليهم بأن يحبوا شيخهم أو غيره مثل ما يحبون اللّـــه ويتواجدون على حبه. وأما ((الفواحش)) فالغناء رقية الزنا، وهو من عظم الأسباب لوقوع الفواحش)(ابن تيمية، ص417-418، م10، ب.ت).

(من اتبع هواه في مثل طلب الرئاسة والعلو؛ وتعلقه بالصور الجميلة، أو جمعه للمال يجد في أثناء ذلك من الهموم والغموم والأحزان والآلام وضيق الصدر ما لا يعبر عنه. وربما لا يطاوعه قلبه على ترك الهوى، ولا يحصل له ما يسره؛ بل هو في خوف وحزن دائماً: إن كان طالباً لما يهواه فهو قبل إدراكه حزين متألم حيث لم يحصل. فإذا أدركه كان ضائقاً من زواله وفراقه)(ابن تيمية، ص651، م10، ب.ت).

(من استعبد قلبه صورة محرمة: امرأة أو صبي، فهذا هو العذاب الذي لا يدانيه عذاب. وهؤلاء عشاق الصور، من أعظم الناس عذاباً وأقلهم ثواباً، فإن العاشق لصورة، إذا بقي قلبه متعلقاً بها، مستعبداً لها، اجتمع له من أنواع الشر والفساد ما لا يحصيه إلاّ رب العباد، ولو سلم من فعل الفاحشة الكبرى، فدوام تعلق القلب بها. بلا فعل الفاحشة، أشد ضرراً عليه ممن يفعل ذنباً ثم يتوب منه، ويزول أثره من قلبه)(ابن تيمية، ص97-98، 1399هـ).

3) تناول ابن قيم الجوزية القلوب وأمراضها وطرق علاج تلك الأمراض في كثير من كتبه وبأساليب متنوعة ظهر فيها قوة علمه وحجته وسعة اطلاعه.

فهو يقسم القلوب إلى ثلاثة أنواع: قلب مليء بالإيمان، وقلب فيه إيمان وفيه ظلمة الشهوات، وقلب خال من الإيمان، ويتحدث عن دور الشيطان مع كل قلب فيقول: القلوب ثلاثة:

– قلب خال من الإيمان وجميع الخير، فذلك قلب مظلم قد استراح الشيطان من إلقاء الوساوس إليه، لأنه قد اتخذه بيتاً ووطناً، وتحكم فيه بما يريد، وتمكن منه غاية التمكن.

– والقلب الثاني: قلب قد استنار بنور الإيمان، وأوقد فيه مصباحاً، لكن عليه ظلمة الشهوات وعواصف الأهوية، فلشيطان هناك إقبال وإدبار ومجالات ومطامع، فالحرب دول وسجال. وتختلف أحوال هذا الصنف بالقلة والكثرة، فمنهم من أوقات غلبته لعدوه أكثر، ومنهم من أوقات غلبة عدوه له أكثر، ومنهم من هو تارة تارة.

– القلب الثالث: قلب محشو بالإيمان قد استنار بنور الإيمان، وانقشعت عنه حجب الشهوات، وأقلعت عنه تلك الظلمات، فلنوره في صدره إشراق، ولذلك الإشراق إيقاد لو دنا منه الوسواس احترق به، فهو كالسماء التي حرست بالنجوم، فلو دنا منها الشيطان يتخطاها رجم فاحترق، وليست السماء بأعظم حرمة من المؤمن، وحراسة اللّـــه تعالى له أتم من حراسة السماء، والسماء متعبد الملائكة، ومستقر الوحي، وفيها أنوار الطاعات، وقلب المؤمن مستقر التوحيد والمحبة والمعرفة والإيمان، وفيه أنوارها ، فهو حقيق أن يحرس ويحفظ من كيد العدو، فلا ينال منه شيئاً إلاّ خطفه)(ابن قيم الجوزية، ص29ـــ30، الوابل الصيب، ب.ت).

ويتناول ابن قيم الجوزية أمراض القلوب ويقسمها إلى قسمين: أمراض شبهات وأمراض شهوات مدللاً على ذلك بالآيات القرآنية الكريمة فيقول:

(ومرض القلوب: نوعان: مرض شبهة وشك، ومرض شهوة وغي، وكلاهما في القرآن. قال الله تعالى في مرض الشبهة: ((في قلوبهم مرض فزادهم اللّـــه مرضا)) (البقرة : 100) وقال تعالى : ((وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد اللّـــه بهذا مثلا)) (المدثر : 31)، وقال تعالى في حق من دعي إلى تحكيم القرآن و السنة، فأبى وأعرض: ((وإذا دعوا إلى اللّـــه ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف اللّـــه عليهم ورسوله بل أولئك هم الظالمون)) (النور : 48 - 49)، فهذا مرض الشبهات والشكوك. وأما مرض الشهوات، فقال الله تعالى: ((يا نساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض)) (الأحزاب: 32). فهذا مرض شهوة الزنى)(ابن قيم الجوزية، ص5-6، ج4، 1405هـ).

ويتناول ابن قيم الجوزية مفسدات القلب الخمسة بالشرح والإيضاح وهي كثرة الخلطة والتمني والتعلق بغير اللّـــه والشبع والمنام، ولعلنا نأخذ شيئاً مما كتبه في هذا حيث يقول:

(أما مفسدات القلب الخمسة: فهي التي أشار إليها: من كثرة الخلطة والتمني، والتعلق بغير اللّـــه، والشبع، والمنام. فهذه خمسة من أكبر مفسدات القلب... فأما ما تؤثره كثرة الخلطة: فامتلاء القلب من دخان أنفاس بني آدم حتى يسوّد، يوجب له تشتتاً وتفرقاً، وهماً وغماً، وضعفاً، وحملا ًلما يعجز عن حمله من مؤنة قرناء السوء، وإضاعة مصالحه، والاشتغال عنها بهم وبأمورهم، وتقسم فكرة في أودية مطالبهم وإراداتهم. فما يبقى منه لله والدار الآخرة ؟... والضابط النافع في أمر الخلطة: أن يخالط الناس في الخير – كالجمعة والجماعة، والأعياد والحج، وتعلم العلم، والجهاد، والنصيحة – ويعتزلهم في الشر، وفضول المباحات.

... المفسد الثاني: من مفسدات القلب ركوبه بحر التمني، وهو بحر لا ساحل له. وهو البحر الذي يركبه مفاليس العالم، كما قيل: إن المنى رأس أموال المفاليس . وبضاعة ركابه مواعيد الشيطان، وخيالات المحال والبهتان ... وكل بحسب حاله: من متمن للقدرة والسلطان، وللضرب في الأرض والتطواف في البلدان، أو للأموال والأثمان، أو للنسوان والمردان فيمثل المتمني صورة مطلوبة في نفسه وقد فاز بوصولها، والتذ بالظفر بها. فبينما هو على هذه الحال، إذ استيقظ فإذا يده والحصير.

وصاحب الهمة العلية أمانيه حائمة حول العلم والإيمان. والعمل الذي يقربه إلى اللّـــه. ويدنيه من جواره. فأماني هذا إيمان ونور وحكمة. وأماني أولئك خدع وغرور.

... والمفسد الثالث من مفسدات القلب التعلق بغير اللّـــه تبارك وتعالى. وهذا أعظم مفسداته على الإطلاق. فليس عليه أضر من ذلك. ولا أقطع له عن مصالحه وسعادته منه، فإنه إذا تعلق بغير اللّـــه وكله اللّـــه إلى ما تعلق به. وخذله من جهة ما تعلق به. وفاته تحصيل مقصوده من اللّـــه سبحانه وتعالى، بتعلقه بغيره، والتفاته إلى سواه، فلا على نصيبه من اللّـــه حصل، ولا إلى ما أمله ممن تعلق به وصل. قال اللّـــه تعالى : ((واتخذوا من دون اللّـــه آلهة ليكونوا لهم عزا. كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا))(مريم:81-82) وقال تعالى : ((واتخذوا من دون اللّـــه آلهة لعلهم ينصرون. لا يستطيعون نصرهم وهو لهم جند محضرون))(يس: 74-75).

... والمفسد الرابع من مفسدات القلب: الطعام والمفسد له من ذلك نوعان: أحدهما ما يفسده لعينه وذاته كالمحرمات. وهي نوعان: محرمات لحق اللّـــه، كالميتة والدم، ولحم الخنزير، وذي الناب من السباع والمخلب من الطير.

ومحرمات لحق العباد، كالمسروق والمغصوب والمنهو . وما أخذ بغير رضى صاحبه، إما قهراً وإما حياءً وتذمماً. والثاني: ما يفسد بقدره: وتعدى حده، كالإسراف في الحلال، والشبع المفرط، فإنه يثقله عن الطاعات. ويشغله بمزاولة مؤنه البطنة ومحاولتها، حتى يظفر بها. فإذا ظفر بها شغله بمزاولة تصرفها ووقاية ضررها. والتأذي بثقلها، وقوى عليه مواد الشهوة، وطرق مجاري الشيطان ووسعها، فإنه يجري من ابن آدم مجرى الدم، فالصوم يضيق مجاريه ويسد عليه طرقه، والشبع يطرقها ويوسعها. ومن أكل كثيراً شرب كثيراً. فنام كثيراً. فخسر كثيراً. وفي الحديث المشهور ((ما ملأ آدمي وعاءاً شراً من بطنه. بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه. فإن كان لا بد فاعلاً فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه)) .

... المفسد الخامس: كثرة النوم فإنه يميت القلب ويثقل البدن، ويضيع الوقت، ويورث كثرة الغفلة والكسل. ومنه المكروه جداً. ومنه الضار غير النافع للبدن. وأنفع النوم: ما كان عند شدة الحاجة إليه. ونوم أول الليل أحمد وأنفع من آخره. ونوم وسط النهار أنفع من طرفيه. وكلما قرب النوم من الطرفين قل نفعه. وكثر ضرره. ولا سيما نوم العصر، والنوم أول النهار إلاّ لسهران.

... وكما أن كثرة النوم موروثه لهذه الآفات، فمدافعته وهجره، مورث لآفات أخرى عظام: من سوء المزاج ويبسه، وانحراف النفس، وجفاف الرطوبات المعينة على الفهم والعمل. ويورث أمراضا متلفة لا ينتفع صاحبها بقلبه ولا بدنه معها. وما قام الوجود إلاّ بالعدل. فمن اعتصم به فقد أخذ بحظه من مجامع الخير)(ابن قيم الجوزية، ص451-457، ج1، 1410هـ).

ولكن السؤال هو ممن يؤخذ طب القلوب والإجابة نجدها لدى ابن قيم الجوزية حيث يقول:

(فأما طب القلوب ، فمسلَّم إلى الرسل صلوات اللّـــه وسلامه عليهم، ولا سبيل إلى حصوله إلاّ من جهتهم وعلى أيديهم، فإن صلاح القلوب أن تكون عارفة بربها، وفاطرها، وبأسمائه، وصفاته، وأفعاله، وأحكامه، وأن تكون مؤثرة لمرضاته ومحابه، متجنبة لمناهيه ومساخطه، ولا صحة لها ولا حياة البتة إلا بذلك، ولا سبيل إلى تلقيه إلا من جهة الرسل، وما يظن من حصول صحة القلب بدون اتباعهم، فغلط ممن يظن ذلك، وإنما ذلك حياة نفسه البهيمية الشهوانية، و صحتها وقوتها، وحياة قلبه وصحته، وقوته عن ذلك بمعزل، ومن لم يميز بين هذا وهذا، فليبك على حياة قلبه، فإنه من الأموات، وعلى نوره، فإنه منغمس في بحار الظلمات)(ابن قيم الجوزية، ص 7-8، ج4، 1405هـ).

وسلامة القلب مطلب كل مسلم في هذه الحياة الدنيا، ونجد ابن قيم الجوزية يوجز سلامة القلب في السلامة من خمسة أشياء فيقول:

(ولا تتم له سلامته مطلقاً حتى يسلم من خمسة أشياء: من شرك يناقض التوحيد، وبدعة تخالف السنة، وشهوة تخالف الأمر، وغفلة تناقض الذكر، وهوى يناقض التجريد والإخلاص.

وهذه الخمسة حجب عن اللّـــه، وتحت كل واحد منها أنواعاً كثيرة، تتضمن أفراداً لا تنحصر)(ابن قيم الجوزية، ص219، 1409هـ).

ولابن قيم الجوزية في تقسيم أمراض القلوب إلى قسمين غير التي سبق إيرادها كما ذكرها في كتابه زاد المعاد في هدى خير العباد حيث قسمها إلى مرض شهوة ومرض شبهة، والتقسيم الآخر أورده في كتابه إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان حيث قسمها إلى مرض مؤلم ومرض غير مؤلم حيث يقول:

(مرض القلب نوعان: نوع لا يتألم به صاحبه في الحال؛ وهو النوع المتقدم، كمرض الجهل، ومرض الشبهات والشكوك. وهذا النوع هو أعظم النوعين ألماً، ولكن لفساد القلب لا يحس بالألم، ولأن سكرة الجهل والهوى تحول بينه وبين إدراك الألم، وإلاّ فألمه حاضر فيه حاصل له، وهو متوار عنه باشتغاله بضده، وهذا أخطر المرضيين وأصعبهما. وعلاجه إلى الرسل وأتباعهم ، فهم أطباء هذا المرض.

والنوع الثاني: مرض مؤلم له في الحال ، كالهم والغم والحزن والغيظ، وهذا المرض قد يزول بأدوية طبيعية، كإزالة أسبابه، أو بالمداواة بما يضاد تلك الأسباب ؛ ويدفع موجبها مع قيامها، وهو كما أن القلب قد يتألم به البدن ويشقى بما يشقى به البدن، فكذلك البدن يتألم كثيراً بما يتألم به القلب، ويشقيه ما يشقيه)(ابن قيم الجوزية، ص27، ج1، 1409هـ).

وينتقل ابن قيم الجوزية للحديث عن بعض أمراض القلوب وكيف تعالج ، فيذكر الهم والحزن وكيف عالجهما رسول اللّـــه صلى الله عليه وآله وسلم حيث يقول :

(في مسند الإمام أحمد عن ابن سعود، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: ما أصاب عبداً هم ولا حزن فقال: اللهم إني عبدك، ابن عبدك، ابن أمتك ناصيتي بيدك، ماضي في حكمك، عدل في قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحد من خلق، أو استأثرت به في علم الغيب عندك: أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهاب همي، إلاّ أذهب اللّـــه حزنه وهمه، وأبدله مكانه فرحاً) ... ففيه من المعارف الإلهية، وأسرار العبودية ما لا يتسع له كتاب، فإنه يتضمن الاعتراف بعبوديته وعبودية آبائه وأمهاته، وأن ناصيته بيده يصرفها كيف يشاء، فلا يملك العبد دونه لنفسه نفعاً ولا ضراً، ولا موتاً وحياة ولا نشوراً، لأن ناصيته بيد غيره، فليس إليه شيء من أمره، بل هو عانٍ في قبضته، ذليل تحت سلطان قهره.

... فقوله (ماض في حكمك) مطابق لقوله ((ما من دابة إلاّ هو آخذ بناصيتها))(هود:56) وقوله: (عدل في قضاؤك) مطابق لقوله: ((إن ربي على صراط مستقيم))(هود:56)، ثم توسل إلى ربه بأسمائه التي سمى بها نفسه ما علم العباد منها وما لم يعلموا. ومنها: ما استأثره في علم الغيب عنده، فلم يطلع عليه ملكاً مقرباً، ولا نبياً مرسلاً، وهذه الوسيلة أعظم الوسائل ، وأحبها إلى اللّـــه، وأقربها تحصلاً للمطلوب.

ثم سأله أن يجعل القرآن لقلبه كالربيع الذي يرتع فيه الحيوان، وكذلك القرآن ربيع القلوب، وأن يجعله شفاء همه وغمه، فيكون له بمنزلة الدواء الذي يستأصل الداء، ويعيد البدن إلى صحته واعتداله، وأن يجعله لحزنه كالجلاء الذي يجلو الطبوع والأصدية وغيرها، فأحرى بهذا العلاج إذا صدق العليل في استعماله أن يزيل عنه دائه، ويعقبه شفاء تاماً، وصحة وعافية)(ابن قيم الجوزية، ص198-207، ج4، 1405هـ).

ويتناول ابن قيم الجوزية الحسد وأنه حقيقة واقعة سجلها القرآن الكريم وطلب من المسلم الاستعاذة باللّـــه منها، ثم ذكر عشرة أسباب يدفع بها حسد الحاسد فقال:

(دل القرآن والسنة على أن نفس حسد الحاسد يؤذي المحسود فنفس حسده شر يتصل بالمحسود من نفسه وعينه وإن لم يؤذه بيده ولا لسانه فإن اللّـــه تعالى قال: ((ومن شر حاسد إذا حسد))(الفلق:5) فحقق الشر منه عند صدور الحسد. والقرآن ليس فيه لفظة مهملة ومعلوم أن الحاسد لا يسمى حاسداً إلاّ إذا قام به الحسد كالضارب والشاتم والقاتل ونحو ذلك ولكن قد يكون الرجل في طبعه الحسد وهو غافل عن المحسود لاه عنه فإذا خطر على ذكره وقلبه انبعثت نار الحسد من قلبه إليه ووجهت إليه سهام الحسد من قبله فيتأذى المحسود بمجرد ذلك فإن لم يستعذ باللّـــه ويتحصن به ويكون له أوراداً من الأذكار والدعوات والتوجه إلى اللّـــه والإقبال عليه بحيث يدفع عنه من شره بمقدار توجهه وإقباله على اللّـــه وإلاّ ناله شر الحاسد ولا بد ... ويندفع شر الحاسد عن المحسود بعشرة أسباب أحدها: التعوذ باللّـــه من شره والتحصن به واللجأ إليه ... السبب الثاني : تقوى اللّـــه وحفظه عند أمره ونهيه فمن اتقى اللّـــه تولى اللّـــه حفظه ولم يكله إلى غيره قال تعالى: ((وأن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئـــاً))(آل عمران:120) .... السبب الثالث : الصبر على عدوه وأن لا يقاتله ولا يشكوه ولا يحدث نفسه بأذاه أصلاً فما نصر على حاسد وعدوه بمثل الصبر عليه والتوكل على اللّـــه ولا يستطيل تأخيره وبغيه ... قال تعالى : ((ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغى عليه لينصرنه الله))(الحج:60) فإذا كان اللّـــه قد ضمن له النصر مع انه قد استوفى حقه أولاً فكيف بمن لم يستوف شيئاً من حقه بل بغى عليه وهو صابر ...

السبب الرابع : التوكل على اللّـــه فمن يتوكل على اللّـــه فهو حسبه والتوكل من أقوى الأسباب التي يدفع بها العبد ما لا يطيق من أذى الخلق وظلمهم وعدوانهم ... قال بعض السلف جعل اللّـــه لكل عمل جزاء من جنسه وجعل جزاء التوكل عليه نفس كفايته لعبده فقال: ((ومن يتوكل على اللّـــه فهو حسبه))(الطلاق:3) ... السبب الخامس : فراغ القلب من الاشتغال به والفكر فيه وأن يقصد أن يمحوه من باله كلما خطر له فلا يلتفت إليه ولا يخافه ولا يملأ قلبه بالفكر فيه وهذا من أنفع الأدوية وأقوى الأسباب المعينة على اندفاع شره ...

السبب السادس: وهو الإقبال على اللّـــه والإخلاص له وجعل محبته وترضيه والإنابة إليه في محل خواطر نفسه وأمانيها تدب فيها دبيب تلك الخواطر شيئاً فشيئاً حتى يقهرها ويغمرها ويذهبها بالكلية ...

السبب السابع: تجريد التوبة إلى اللّـــه من الذنوب التي سلطت عليه أعداءه فإن اللّـــه تعالى يقول: ((ما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم))(الشورى:30) ... السبب الثامن: الصدقة والإحسان ما أمكنه فإن لذلك تأثيراً عجيباً في دفع البلاء ودفع العين وشر الحاسد ... فالمحسن المتصدق في خفارة إحسانه وصدقته عليه من اللّـــه جنة واقية وحصن حصين وبالجملة فالشكر حارس النعمة من كل ما يكون سبباً لزوالها ...

السبب التاسع: وهو من أصعب الأسباب على النفس وأشقها عليها ولا يوفق له إلاّ من عظم حظه من اللّـــه وهو طفى نار الحاسد والباغي والمؤذي بالإحسان إليه فكلما ازداد أذى وشراً وبغياً وحسداً ازددت إليه إحساناً وله نصيحة وعليه شفقه وما أظنك تصدق بأن هذا يكون فضلاً عن أن تتعاطاه فاسمع الآن قول الله تعالى: ((ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم * وما يلقاها إلاّ الذين صبروا وما يلقاها إلاّ ذو حظ عظيم * ,إما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ باللّـــه إنه هو السميع العليم))(فصلت:34-36) ... السبب العاشر: وهو الجامع لذلك كله وعليه مدار هذه الأسباب وهو تجريد التوحيد والترحل بالفكر في الأسباب إلى المسبب العزيز الحكيم ... فالتوحيد حصن اللّـــه الأعظم الذي من دخله كان من الآمنين قال بعض السلف: من خاف الله خافه كل شيء، ومن لم يخف اللّـــه أخافه من كل شيء)(ابن قيم الجوزية، ص338 -345، ج2، بدائع الفوائد، ب.ت).

والذنوب والمعاصي التي يرتكبها الإنسان تضر الإنسان في قلبه وتجلب عليه العقوبات، وعلى عكسها الطاعات فهي سعادة، يقول ابن قيم الجوزية:

(فما ينبغي أن يعلم: أن الذنوب والمعاصي تضر، ولابد وأن ضررها في القلب كضرر السموم في الأبدان، على اختلاف درجاتها في الضرر. وهل في الدنيا والآخرة شر وداء إلاّ سببه الذنوب والمعاصي ؟)(ابن قيم الجوزية، ص 84، 1409هـ).

(وللمعاصي من الآثار القبيحة المذمومة، المضره بالقلب والبدن في الدنيا والآخرة ما لا يعلمه إلاّ اللّـــه ... ومنها: وحشة يجدها العاصي في قلبه وبينه وبين اللّـــه لا توازنها ولا تقارنها لذة أصلاً. ولو اجتمعت له لذات الدنيا بأسرها لم تف بتلك الوحشة. وهذا أمر لا يحس به إلاّ من في قلبه حياة، وما لجرح بميت إيلام، فلو لم تترك الذنوب إلاّ حذراً من وقوع تلك الوحشة، لكان العاقل حرياً بتركها.

... ومنها: الوحشة التي تحصل بينه وبين الناس، ولا سيما أهل الخير منهم، فإنه يجد وحشة بينه وبينهم، وكلما قويت تلك الوحشة بعد منهم ومن مجالستهم، وحرم بركة الانتفاع بهم، وقرب من حزب الشيطان ، بقدر ما بعد من حزب الرحمن، وتقوى هذه الوحشة حتى تستحكم، فتقع بينه وبين امرأته وولده وأقاربه، وبينه وبين نفسه ، فتراه مستوحشاً بنفسه.

... ومنها: ظلمة يجدها في قلبه حقيقة، يحس بها كما يحس بظلمة الليل البهيم إذا ادلهم، فتصير ظلمة المعصية لقلبه كالظلمة الحسية لبصره، فإن الطاعة نور، والمعصية ظلمة، وكلما قويت الظلمة ازدادت حيرته؛ حتى يقع في البدع والضلالات والأمور المهلكة وهو لا يشعر، كأعمى خرج في ظلمة الليل يمشي وحده، وتقوى هذه الظلمة حتى تظهر في العين، ثم تقوى حتى تعلو الوجه، وتصير سواداً فيه يراه كل أحد.

... ومنها: أن المعاصي توهن القلب والبدن، أما وهنها للقلب فأمر ظاهر، بل لا تزال توهنه حتى تزيل حياته بالكلية.

... ومنها: أن المعصية تورث الذل ولابد ؛ فإن العز كل العز في طاعة اللّـــه ... ومن عقوبات الذنوب: أنها تطفئ من القلب نار الغيرة التي هي لحياته وصلاحه كالحرارة الغريزية لحياة جميع البدن؛ فالغيرة حرارته وناره التي تخرج ما فيه من الخبث والصفات المذمومة، كما يخرج الكير خبث الذهب والفضة والحديد، وأشرف الناس وأعلاهم همة أشدهم غيرة على نفسه وخاصته وعموم الناس. ولهذا كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم أغير الخلق على الأمة، والله سبحانه أشد غيرة منه، كما ثبت في الصحيح عنه أنه قال : ((أتعجبون من غيرة سعد ؟ لأنا أغير منه ، والله أغير مني)).

... ومن عقوباتها: ذهاب الحياء الذي هو مادة القلب، وهو أصل كل خير، وذهابه ذهاب الخير أجمعه. وفي الصحيح عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((الحياء خير كله)).

... ومن عقوباتها: أنها تستدعي نسيان اللّـــه لعبده وتركه، وتخليته بينه وبين نفسه وشيطانه، وهناك الهلاك الذي لا يرجى معه نجاة.

... ومن عقوبات الذنوب: أنها تزيل النعم وتحل النقم. فما زالت عن العبد نعمة إلاّ بذنب، ولا حلت به نقمة إلاّ بذنب، كما قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: (ما نزل بلاء إلاّ بذنب ، ولا رفع إلاّ بتوبة).

... ومن عقوباتها ما يلقيه اللّـــه سبحانه من الرعب والخوف في قلب العاصي؛ فلا تراه إلاّ خائفاً مرعوباً.

... ومن عقوباتها: أنها تصرف القلب عن صمته واستقامته إلى مرضه وانحرافه، فلا يزال مريضاً معلولاً لا ينتفع بالأغذية التي بها حياته وصلاحه.

... ومن عقوباتها: أن العاصي دائماً في أسر شيطانه وسجن شهواته، وقيود هواه؛ فهو أسير مسجون مقيد)(ابن قيم الجوزية، ص102،105، 1409هـ).

(السعادة كلها في طاعته، والأرباح كلها في معاملته، والمحن والبلايا كلها في معصيته ومخالفته، فليس للعبد أنفع من شكره وتوبته، إن ربنا لغفور شكور)(ابن قيم الجوزية، ص342، 1407هـ).

(والفرح بالمعصية دليل على شدة الرغبة فيها، والجهل بقدر من عصاه، والجهل بسوء عاقبتها وعظم خطرها. ففرحه بها غطى عليه ذلك كله. وفرحه بها أشد ضرراً عليه من مواقعتها.

والمؤمن لا تتم له لذة بمعصية أبداً. ولا يكمل بها فرحة. بل لا يباشرها إلاّ والحزن مخالط لقلبه، ولكن سكر الشهوة يحجبه عن الشعور به. ومتى خلى قلبه من هذا الحزن. واشتدت غبطته وسروره، فليتهم إيمانه. وليبك على موت قلبه، فإنه لو كان حياً لأحزنه ارتكابه للذنب، وغاظه وصعب عليه، ولا يحس القلب بذلك، فحيث لم يحس به فما لجرح بميت إيلام)(ابن قيم الجوزية، ص8، 1410هـ).

(إن المطيع قد أحاط على بستان طاعته حائطاً حصيناً. لا يجد الأعداء إليه سبيلاً. فثمرته وزهرته وخضرته وبهجته في زيادة ونمو أبداً. والعاصي قد فتح فيه ثغراً، وثلم فيه ثلمه. ومكن منه السراق والأعداء ... أن المعصية لابد أن تؤثر أثراً سيئاً ولابد: إما إهلاكاً كلياً. وإما خسراناً وعقاباً، يعقبه: إما عفو ودخول الجنة، وإما نقص درجة، وإما خمود مصباح الإيمان . وعمل التائب في رفع هذه الآثار والتكفير. وعمل المطيع في الزيادة ، ورفع الدرجات)(ابن قيم الجوزية، ص125، 1410هـ).

(وإذا وصلت النفس إلى هذه الحالة استغنت بها عن التطاول إلى الشهوات التي توجب اقتحام الحدود المسخوطة والتقاعد عن الأمور المطلوبة المرغوبة، فإن فقرها إلى الشهوات هو الموجب لها التقاعد عن

المرغوب المطلوب، وأيضاً فتقاعدها عن المطلوب بينهما موجب لفقرها إلى الشهوات، فكل منهما موجب للآخر، وترك الأوامر أقوى لها من افتقارها إلى الشهوات، فإنه بحسب قيام العبد بالأمر تدفع عنه جيوش الشهوة، كما قال تعالى : ((إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر))(العنكبوت:45) وقال تعالى : {إن اللّـــه يدافع عن الذين آمنوا))(الحج:38)(ابن قيم الجوزية، ص77، 1409هـ).

النفـــــــس

1) يؤكد ابن الجوزي على أهمية لزوم مجاهدة النفس وإلاّ سقط الإنسان في اتباع هواه الذي يورده المهالك.

(اعلم وفقك اللّـــه أن النفس مجبولة على حب الهوى، وقد سبق بيان أذاه، فافتقرت لذلك إلى المجاهدة والمخالفة، ومتى لم تزجر عن الهوى هجم عليها الفكر في طلب ما شغفت به، فاستأنست بالآراء الفاسدة، والأطماع الكاذبة، والأماني العجيبة، خصوصاً إن ساعد الشباب الذي هو شعبة من الجنون، وامتد ساعد القدرة إلى نيل المطلوب)(ابن الجوزي، ص36، 1407هـ).

ومما يعالج به الهوى مخالفة النفس والصبر فإنه مما ثبت نفعه في مقاومة الهوى ودواعيه، يقول ابن الجوزي:

(وإذ قد قدمنا ذم الهوى، وأمرنا بمخالفة النفس، ولا إمكان لمخالفتها وترك هواها إلاّ بالصبر ... واعلم وفقك اللّـــه، أن الصبر مما يأمر به العقل، وإنما الهوى ينهى عنه، فإذا فوضلت فوائد الصبر وما تجلب من الخير عاجلاً وآجلاً، بانت حينئذ فضائل العقل وخساسة الهوى)(ابن الجوزي، ص52، 1407هـ).

2) تناول ابن تيمية النفس في مواضع كثيرة من مؤلفاتها، وطرق في تناوله لكثير من الموضوعات الخاصة بالنفس سواء قوى الأفعال في النفس أو أسباب سعادتها أو شقاءها أو أخلاقها المحمودة أو المذمومة وغير ذلك كثير. وسنحاول فيما يلي عرض مثال بسيط من هذه الموضوعات.

يطرح ابن تيمية تصوراً لقوى الأفعال في النفس الإنسانية مقسماً إياها إلى ثلاث قوى: القوة المنطقية (العقل)، والقوة الشهوية (الشهوة)، والقوة الغضبية (الغضب). وهذه القوى الثلاث ترتكز على أحد جانبين إما جذب وإما دفع. وقد أوضح هذا التقسيم بضرب مثال لثلاث من الأمم، كل واحدة منها غلب عليها أحد هذه القوى، يقول رحمه اللّـــه:

(إن قوى الأفعال في النفس إما جذب وإما دفع، فالقوة الجاذبة الجالبة للملائم هي الشهوة وجنسها: من المحبة والإرادة ونحو ذلك، والقوة الدافعة المانعة للمنافي هي الغضب وجنسها: من البغض والكراهة، وهذه القوة باعتبار القدر المشترك بين الإنسان والبهائم هي مطلق الشهوة والغضب، وباعتبار ما يختص به الإنسان العقل والإيمان والقوى الروحانية المعترضة ... وباعتبار القوى الثلاث انقسمت الأمم التي هي أفضل الجنس الإنساني؛ وهم العرب والروم والفرس. فإن هذه الأمم هي التي ظهرت فيها الفضائل الإنسانية، وهم سكان وسط الأرض طولاً وعرضاً، فأما من سواهم كالسودان والترك ونحوهم فتبع.

فغلب على العرب القوة العقلية النطقية، واشتق اسمها من وضعها فقيل لهم: عرب: من الأعراب، وهو البيان والإظهار، وذلك خاصة القوة المنطقية.

وغلب على الروم القوة الشهوية من الطعام والنكاح ونحوهما، واشتق اسمها من ذلك فقيل لهم الروم، فإنه يقال: رمت هذا أرومه إذا طلبته واشتهيته.

وغلب على الفرس القوة الغضبية من الدفع والمنع والاستعلاء والسياسة، واشتق اسمها من ذلك، فقيل فرس، كما يقال فرسه يفرسه إذا قهره وغلبه.

ولهذا توجد هذه الصفات الثلاث غالبة على الأمم الثلاث حاضرتها وباديتها؛ ولهذا كانت العرب أفضل الأمم ، وتليها الفرس لأن القوة الدفعية أرفع، وتليها الروم)(ابن تيمية، ص430-432، م15، ب.ت).

ومن رغبات النفس اللذة التي تحدث الارتياح والسرور بعد الحصول عليها. فما هو تعريفها ؟ وهل تعريف الفلاسفة لها صحيحاً؟ وما المحمود والمذموم منها ؟ إجابات هذه الأسئلة نجدها لدى شيخ الإسلام ابن تيمية حيث يقول رحمه اللّـــه:

(فمن أحب شيئاً أو اشتهاه، إذا حصل له مراده، فإنه يجد الحلاوة واللذة والسرور بذلك. واللذة: أمر يحصل عقيب بإدراك الملائم الذي هو المحبوب أو المشتهى)(ابن تيمية، ص125، 1399هـ).

وقال رحمه اللّـــه في موضع آخر:

(ومن قال من المتفلسفة ومن اتبعهم: إن اللذة هي إدراك الملائم من حيث هو ملائم، وإن الألم هو إدراك المنافر من حيث هو منافر، فقد غلط في ذلك. فإن اللذة والألم حالان يتعقبان إدراك الملائم والمنافر، فإن الحب لما يلائمه، كالطعام المشتهى مثلاً له ثلاث أحوال (إحداها) الحب، كالشهوة للطعام. و(الثاني) إدراك المحبوب، كأكل الطعام. و (الثالث) اللذة الحاصلة بذاك، واللذة أمر مغاير الشهوة ولذوق المشتهى؛ بل هي حاصلة لذوق المشتهى؛ ليست نفس ذوق المشتهي)(ابن تيمية، ص325-326، م10، ب.ت).

ثم يقول في موضع ثالث:

(إن اللذة والسرور أمر مطلوب، بل هو مقصود كل حي، وكونه أمراً مطلوباً ومقصوداً أمري ضروري من وجود الحي ... وإذا كانت اللذة مطلوبة لنفسها، فهي إنما تذم إذا أعقبت ألماً أعظم منها، أو منعت لذة خيراً منها، وتحمد إذا أعانت على اللذة المستقرة، وهو نعيم الآخرة التي هي دائمة عظيمة ... وإذا عرف أن لذات الدنيا ونعيمها إنما هي متاع ووسيلة إلى لذات الآخرة، وكذلك خلقت، فكل لذة أعانت على لذات الآخرة فهو مما أمر اللّـــه به ورسوله (صلى الله عليه وآله وسلم)، ويثاب على تحصيل اللذة بما يئوب إليه منها من لذات الآخرة التي أعانت هذه عليها ، ولهذا كان المؤمن يثاب على ما يقصد به وجه اللّـــه من أكله وشربه، ولباسه ونكاحه، وشفاء وغبطة بقهر عدوه في الجهاد في سبيل اللّـــه، ولذة علمه وإيمانه وعبادته وغير ذلك، ولذات جسده وروحه من اللذات الحسية والوهمية والعقلية.

وكل لذة أعقبت ألماً في الدار الآخرة، أو منعت لذة الآخرة، فهي محرمة، مثل لذات الكفار والفساق بعلوهم في الأرض وفسادهم)(ابن تيمية، ص148-153، ج2، 1409هـ).

والنفس تتعرض لما يغويها، ومن ذلك الغفلة والشهوة وهما أصل الشر الذي يجلب التعاسة للإنسان ويوقعه في مهاوي السوء. وقد قال ابن تيمية:

(فالغفلة والشهوة أصل الشر، قال الله تعالى: ((ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا)) (الكهف : 28) والهوى وحده لا يستقل بفعل السيئات إلاّ مع الجهل، وإلاّ فصاحب الهوى، إذا علم قطعاً أن ذلك يضره ضرراً راجحاً: انصرفت نفسه عنه بالطبع، فإن اللّـــه تعالى جعل في النفس حباً لما ينفعها ، وبغضاً لما يضرها، فلا تفعل ما تجزم بأنه يضرها ضرراً راجحاً، بل متى فعلته كان لضعف العقل)(ابن تيمية، ص51، 1406هـ).

3) النفس البشرية آية من آيات اللّـــه جل وعلا، فيها الخير والشر وفيه التعلق بالدنيا والسعي إلى الآخرة حسب ما لدى الإنسان من الإيمان. ونعرض فيما يلي وقفات لابن قيم الجوزية مع النفس في صفاتها الثلاثة، وكيف تكون مع الأبرار أو الفجار، والمتقابلات من الصفات في هذه النفس، وجوانب مشرقة تظهر في النفس البشرية إذا وقر فيها الإيمان الصحيح. فيقول عن صفات النفس:

(فقد وقع في كلام كثير من الناس أن لابن آدم ثلاث أنفس، نفس مطمئنة، ونفس لوامة، ونفس أمارة، وأن منهم من تغلب عليه هذه ومنهم من تغلب عليه الأخرى، ويحتجون على ذلك بقوله الله تعالى : ((يا أيّتها النفس المطمئنة))(الفجر:27) وبقوله تعالى : ((لا أقسم بيوم القيامة # ولا أقسم بالنفس اللوامة))(القيامة:1-2) وبقوله تعالى : ((إن النفس لأمارة بالسوء))(يوسف:53). والتحقيق أنها نفس واحدة ولكن لها صفات فتسمى باعتبار كل صفة باسم فتسمى مطمئنة باعتبار طمأنينتها إلى ربها بعبوديته ومحبته والإنابة إليه والتوكل عليه والرضا به والسكون إليه، فإن سمة محبته وخوفه ورجاءه منها قطع النظر عن محبة غيره وخوفه ورجائه، فيستغني بمحبته عن حب ما سواه وبذكره عن ذكر ما سواه وبالشوق إليه وإلى لقائه عن الشوق إلى ما سواه، فالطمأنينة إلى اللّـــه سبحانه حقيقة ترد منه سبحانه على قلب عبده تجمعه عليه، وترد قلبه الشارد إليه حتى كأنه جالس بين يديه يسمع به ويبصر به ويتحرك به ويبطش به، فتسري تلك الطمأنينة في نفسه وقلبه ومفاصله وقواه الظاهرة والباطنة تجذب روحه إلى اللّـــه، ويلين جلده وقلبه ومفاصله إلى خدمته والتقرب إليه، ولا يمكن حصول الطمأنينة الحقيقية إلا باللّـــه وبذكره وهو كلامه الذي أنزله على رسوله كما قال الله تعالى: ((الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر اللّـــه ألا بذكر اللّـــه تطمئن القلوب)) (الرعد:28)... والطمأنينة إلى أسماء الرب تعالى وصفاته نوعان: طمأنينة إلى الإيمان بها وإثباتها واعتقادها وطمأنينة إلى ما تقتضيه وتوجبه من آثار العبودية، مثاله الطمأنينة إلى القدر وإثباته والإيمان به يقتضي الطمأنينة إلى مواضع الأقدار التي لم يؤمر العبد بدفعها ولا قدرة له على دفعها فيسلم لها ويرضى بها ولا يسخط ولا يشكو ولا يضطرب إيمانه فلا يأسى على ما فاته ولا يفرح بما أتاه لأن المصيبة فيه مقدرة قبل أن تصل إليه وقبل أن يخلق كما قال تعالى : ((ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبراها إن ذلك على اللّـــه يسير لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم))(الحديد:22-23).

... وأما النفس اللوامة وهي التي أقسم بها سبحانه في قوله: ((ولا أقسم بالنفس اللوامة))(القيامة:2) فاختلف فيها فقالت طائفة هي التي لا تثبت على حال واحدة. أخذوا اللفظة من التلوم وهو التردد فهي كثيرة التقلب والتلون وهي من أعظم آيات اللّـــه فإنها مخلوق من مخلوقاته تتقلب وتتلون في الساعة الواحدة فضلاً عن اليوم والشهر والعام والعمر ألواناً كثيرة.... اللوامة نوعان:

لوامة ملومة، وهي النفس الجاهلة الظالمة التي يلومها اللّـــه وملائكته. ولوامة غير ملومة، وهي التي لا تزال تلوم صاحبها على تقصيره في طاعة اللّـــه مع بذله جهده فهذه غير ملومة؛ وأشرف النفوس من لامت نفسها في طاعة اللّـــه واحتملت ملام اللائمين في مرضاته فلا تأخذها فيه لومة لائم فهذه قد تخلصت من لوم اللّـــه، وأما من رضيت بأعمالها ولم تلم نفسها ولم تحتمل في اللّـــه ملام اللوام فهي التي يلومها اللّـــه سبحانه وتعالى.

وأما النفس الأمارة فهي المذمومة فإنها التي تأمر بكل سوء وهذا من طبيعتها إلا ما وفقها اللّـــه وثبتها وأعانها، فما تخلص أحد من شر نفسه إلا بتوفيق اللّـــه له كما قال الله تعالى حاكياً عن امرأة العزيز: ((وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي إن ربي غفور رحيم))(يوسف:53)... فالشر كامن في النفس وهو يوجب سيئات الأعمال فإن خلى اللّـــه بين العبد وبين نفسه هلك بين شرها وما تقتضيه من سيئات الأعمال، وإن وفقه وأعانه نجاه من ذلك كله)(ابن قيم الجوزية، ص 220-226، الروح، ب.ت).

والنفس تتعلق بالدنيا وتسعى إلى ملذاتها دون إدراك لما تجلبه من تعب وهم وحسرة. (ومحب الدنيا لا ينفك من ثلاث: هم لازم، وتعب دائم، وحسرة لا تنقضي، وذلك أن محبها لا ينال منها شيئاً إلا طمحت نفسه إلى ما فوقه؛ كما في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عيه وآله وسلم: ((لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى لهما ثالثاً)(ابن قيم الجوزية، ص 60، ج1، 1409هـ).

والنفس تدعو إلى الطغيان وإيثاره الحياة الدنيا، ولكن ما هو علاج ذلك ؟ يقول ابن قيم الجوزية:

(فالنفس تدعو إلى الطغيان وإيثار الحياة الدنيا، والرب تعالى يدعو عبده إلى خوفه ونهى النفس عن الهوى. والقلب بين الداعيين، يميل إلى هذا الداعي مرة وإلى هذه مرة. وهذا موضع المحنة والابتلاء.

...والمقصود: ذكر علاج مرض القلب باستيلاء النفس الأمارة عليه.وله علاجان: محاسبتها، ومخالفتها، وهلاك القلب من إهمال محاسبتها، ومن موافقتها وإتباع هواها، وفي الحديث الذي رواه أحمد وغيره من حديث شداد بن أوس قال: قال رسول اللّـــه صلى الله عيه وآله وسلم: ((الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على اللّـــه)) دان نفسه: أي حاسبها.

... ومحاسبة النفس نوعان: نوع قبل العمل ، ونوع بعده، فأما النوع الأول: فهو أن يقف عند أول همته وإرادته، ولا يبادر بالعمل حتى يتبين له رجحانه على تركه. قال الحسن رحمه اللّـــه: رحم اللّـــه عبداً وقف عند همه، فإن كان لله مضى، وإن كان لغيره تأخر... النوع الثاني: محاسبة النفس بعد العمل، وهو ثلاثة أنواع:

أحدها: محاسبتها على طاعة قصرت فيها من اللّـــه؛ فلم توقعها على الوجه الذي ينبغي... الثاني: أن يحاسب نفسه على كل عمل كان تركه خيراً له من فعله.

الثالث: أن يحاسب نفسه على أمر مباح، أو معتاد: لم فعله ؟ وهل أراد به اللّـــه والدار الآخرة ؟ فيكون رابحاً أو أراد به الدنيا وعاجلها؛ فيخسر ذلك الربح ويفوته الظفر به)(ابن قيم الجوزية، ص125-135، ج1، 1409هـ).

هذا ما تيسر عرضه من نماذج من كلام ثلاثة من علماء التراث في الموضوعات الثلاثة وهي السعادة والقلب والنفس.

المبحث الثالث: تاريخ حركة التأصيل الإسلامي لعلم النفس

ليس هناك تاريخ محدد لبداية حركة التأصيل الإسلامي لعلم النفس أو غيره من العلوم الاجتماعية، والأسباب لذلك كثيرة، ولعل من أهمها: لترامي أطراف العالم الإسلامي، وصعوبة اطلاع الباحث في بلد إسلامي على ما كتب في هذا المجال لكتاب آخرين من خارج بلده، وضعف التواصل العلمي بين الباحثين المسلمين في كل تخصص، حيث لا تبادل للرسائل العلمية أو دوريات الجامعات، وكذلك فقدان الجمعيات المهنية على المستوى الإسلامي أو ضعف نشاطها ــ إن وجدت ــ ولا مؤتمرات أو ندوات على المستوى الإسلامي تعقد بشكل دوري لجمع شتاتهم، ولا مؤسسات نشر توزع النتاج العلمي في كل بلاد المسلمين، بل يكاد الباحث ينغلق على ما هو موجود في بلده وأحياناً في مؤسسته العلمية.

والسؤال الذي قد يطرح هو: لماذا حركة التأصيل الإسلامي لعلم النفس؟

والجواب أن التأصيل لم يكن وارداً لدى علماء المسلمين السابقين عندما كانوا هم القادة والرواد للعالم ، فكانت كتاباتهم تنبع من مصادر دينهم ولم يكونوا بحاجة لتأصيل ما يقدمونه على عكس ما هو حاصل اليوم، ففي القرون المتاخرة وخصوصاً القرون الثلاثة الهجرية الأخيرة، أصبح العلماء المسلمون يتبعون غيرهم ولم يعودوا هم القادة، لذا جاءت الحاجة للتأصيل للعودة بالمسلمين لأصولهم المعرفية الإسلامية؛ وفي مجال علم النفس قدم بعض المهتمين بحركة التأصيل الإسلامي لعلم النفس ومنهم الدكتور مالك بدري دواعي التأصيل في مقالة له بعنوان "علماء النفس المسلمون في حجر الضب " نشرت في عددين من مجلة المسلم المعاصر (15 و16 لعام1398هـ). حيث بين أن عالم النفس المسلم المعاصر يعيش أزمة التبعية والمتعلقة بتقليده للعلماء الغربيين في ما يقدمه لطلابه أو يكتبه من بحوث ودراسات. وأصبح ما يتلقاه الطالب هو نفس ما يقدم للطالب في المجتمع الغربي بشكل شبه كامل، دون مراعاة لاختلاف البيئات والظروف التاريخية والاجتماعية والعقائدية والثقافية بين المجتمعات، ولأن المجتمع الغربي لديه مسلمات يقوم عليها ما يقدمه من معلومات وثقافة، وهي بلا شك تختلف عن المسلمات الموجودة لديه المسلم في كثير من جوانبها، وسيتم إن شاء الله مناقشة المسلمات لدى علم النفس الغربي ولدى التصور الإسلامي في الفصل الثالث، ولذلك نشأ نوع من الانفصال أو الغربة بين ما لدى المتخصص النفسي المسلم وواقع مجتمعه وما يعيشه من مشكلات تحتاج لحلول تتوافق مع ما لديه من دين وثقافة وتقاليد محليه يلزم مراعاتها لتحقيق النجاح للأنشطة النفسية.

ونعود الآن لتاريخ حركة التأصيل فنعيد التأكيد على عدم اطلاع الباحث على أي مرجع يرصد بشكل متسلسل وموثق بدايات حركة التأصيل الإسلامي لعلم النفس أو غيره من العلوم الاجتماعية. ولكن من خلال خبرة الباحث سيحاول تقسيم تاريخ حركة التأصيل الإسلامي لعلم النفس إلى ثلاث مراحل، وهو تقسيم افتراضي لا يقصد منه انفصال أو توقف الجهود في مرحلة ما عن ما قبلها أو ما بعدها، بل الغرض منه محاولة رسم صورة عامة لمسار جهود التأصيل في مراحل متتابعة، وهي:

1- المرحلـــة الأولـــى: مرحلـــة جهـــود الأفـــراد

وهي البداية لحركة التأصيل الإسلامي لعلم النفس في الأربعينيات الميلادية، ويمكن أن نؤرخ لها من العام 1942م وهو العام الذي قدم فيه محمد عثمان نجاتي رسالته للماجستير تحت عنوان " الإدراك الحسي عند ابن سينا " في كلية الآداب بجامعة القاهرة (جامعة فؤاد في ذلك الوقت)، ونشرت بعد ذلك في كتاب عام 1948م. وتضمن الكتاب ثمانية عشر فصلاً تناولت تقسيم الوظائف النفسية عند ابن سينا، والإحساس الظاهر، والشروط الفسيولوجية للإحساس، والحواس الخمس الظاهرة، والحواس الباطنة ومركزها، والحس المشترك، والوهم، والذاكرة، والتخيل، وموقف ابن سينا من المذهب المادي، وأخيراً طبيعة الانفعال الحسي في مذهب ابن سينا (نجاتي، 1980م). وقدم محمد قطب كتابه " الإنسان بين المادية والإسلام " عام 1952م تناول فيه نظرة المسيحية، فرويد، التجريبيون، الشيوعيون، نظرة الإسلام، الفرد والمجتمع، الجريمة والعقاب، المشكلة الجنسية، وأخيراً القيم العليا؛ ويعتبر من أوائل الكتب التي تناولت النظرة الغربية للإنسان بالنقد، وقدم تصوراً إسلامياً للإنسان ودوره في الحياة (قطب، 1983م). وهناك كتاب " في النفس والعقل لفلاسفة الإغريق والإسلام " للدكتور محمود قاسم صدر عام 1954م (العثمان، 1401هـ). كما قدم عبدالكريم العثمان رسالته للماجستير تحت عنوان " الدراسات النفسية عند علماء المسلمين والغزالي بوجه خاص " إلى كلية الآداب بجامعة القاهرة عام 1962م، وأشرف عليه الدكتور أحمد فؤاد الأهواني، والذي كتب في 1962/10/2م مقدمة للرسالة عندما طبعت في كتاب وكان عنوان المقدمة علم النفس الإسلامي، وهي المرة الأولى التي يعرض فيها هذا المصطلح ــ حسب علم الباحث ــ في كتاب يتبع لعلم النفس.وتناول العثمان في رسالته في بابين وأحدى عشر فصلا ، حقيقة النفس من البدء إلى النهاية، في الباب الأول، وأحوال النفس بين السلوك والعاطفة والدين في الباب الثاني (العثمان، 1401هـ). وهكذا استمرت الجهود على شكل رسائل وكتب تتناول موضوعات ذات علاقة بالتأصيل الإسلامي لعلم النفس.

2- المرحلـــة الثانيـــة: جهـــود المؤسســات

ويمكن القول أنها بدأت في السبعينات الميلادية، ومن أوائل المؤسسات التي نشرت موضوعات التأصيل الإسلامي مؤسسة المسلم المعاصر عن طريق مجلتها " مجلة المسلم المعاصر " والتي أسسها جمال الدين عطية وصدر عددها الأول في شوال 1394هـ الموافق نوفمبر 1974م ولازالت تصدر حتى الآن؛ حيث نشر في ما صدر من أعداد الكثير من الدراسات التي تناولت العديد من قضايا التأصيل الإسلامي. ثم انتقل الاهتمام إلى المؤسسات الأكاديمية فعقد قسم علم النفس بكلية التربية بجامعة الملك سعود (جامعة الرياض سابقا) ندوة بعنوان " علم النفس والإسلام " في الفترة من 12 - 1398/11/16هـ الموافق 14 - 18 /1978/10م وقدم فيها ثلاث وعشرون دراسة أنظرها مفصلة في الجدول رقم (1).

جدول رقم (1) دراسات ندوة الإسلام وعلم النفس

الرقم	عنوان الدراسة	الباحث
1	القرآن وعلم النفس	د.جمال ماضي أبوالعزائم
2	الإسلام وأمراض العصر	د.أسامة محمد الراضي
3	علم النفس بين منهج العلم وموقف الإسلام	د.زكي محمد إسماعيل
4	التوجيه الإسلامي لعلم النفس	د.فؤاد عبداللطيف أبوحطب
5	مفهوم الشخصية في الإسلام	د.رشيد حامد
6	نحو سيكولوجية إسلامي للدوافع	د.محي الدين عبدالشكور
7	أصول علم النفس والإسلام "من رسالة مقدمة لرئيس الندوة".	د.يحي الرخاوي
8	بحث في الملة لدى المسلمين: اقتراح وإطار عمل لدراسة عالمية	د.شهاب الدين مفتي
9	عملية التطبيع عند مفكري الإسلام وعلم النفس الحديث	د.عادل عزالدين الأشول
10	فضل أطباء العرب واليونان على العلاج النفسي	د.حاكم سعد عبدالرزاق
11	نظرية الفعل الشرطي عند الغزالي	د.فايز محمد علي الحاج
12	أبعاد النفس الإنسانية عند محمد أقبال	د.عبدالعزيز عبدالقادر كامل
13	دور الإسلام النفسي والروحي في مساعده من يدمنون الخمر من المسلمين	د.مالك بابكر بدري
14	دراسة علاقة القيمة الدينية بالكفاية الإنتاجية للعمال الصناعيين في مجتمع مسلم	د.محمود السيد أبوالنيل
15	التدين والتوافق النفسي	د.عبدالمجيد سيد أحمد منصور
16	أهمية النمو الخلقي في التكوين النفسي	د.عبدالحميد محمد الهاشمي
17	الإسلام والتغلب على المشكلات لمرضى العيادات الخارجية	د.جون سوليفان
18	أثر الإيمان في التوافق النفسي للفرد	أ.محمد قطب
19	دراسة تجريبية: التدين والتوافق النفسي	د.ماهر الهواري

20	العلاقة بين التدين وبين العصابية، والانبساط في الثقة بالنفس والدافعية للإنجاز والمرونة عند طلبة الجامعة	د.مصطفى أحمد تركي
21	نظام إسلامي لخدمات الصحة النفسية: نموذج عملي للتخطيط والاستغلال	د.محي الدين عبد الشكور، د.رشيد حامد، د.عطية سويلم
22	دور علم النفس في التعليم على أسس إسلامية	د.أحمد عصام الصفدي د.طاهر محمد عبد الرزاق
23	الخصائص المميزة لمنهج إسلامي لعلم النفس	د.محمد حامد الأفندي د.إبراهيم محمد الشافعي

وحسب ــ علم الباحث ــ تمثل أول ندوة علمية جمعت المختصين وتناولت موضوعات التأصيل من خلال الدراسات المذكورة أعلاه، ولكن لم تكن كثير من تلك الدراسات التي قدمت بالعمق الكبير الذي يؤهلها للاستمرار لذلك لم يمتد أثر كثير منها إلى الدراسات اللاحقة، ولكن يحسب لها قصب السبق في الاهتمام وتنظيم الندوة، خصوصاً القسم والكلية والجامعة.

وجاء المؤتمر العالمي الرابع للفكر الإسلامي تحت عنوان " المنهجية الإسلامية والعلوم السلوكية والتربوية " الذي نظمه المعهد العالمي للفكر الإسلامي بواشنطن بالتعاون مع شعبة علم النفس بكلية الآداب بجامعة الخرطوم، في مدينة الخرطوم في الفترة 15 - 1407/5/20هـ الموافق 15 ــ 1987/1/20م، ونشرت أبحاثه في ثلاثة أجزاء لمحاور ثلاثة هي المعرفة والمنهجية، ومنهجية العلوم الإسلامية، ومنهجية العلوم التربوية والنفسية. وتميز عدد من بحوث المؤتمر بالعمق وجودة المادة العلمية المقدمة.

عقدت جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ممثلة بعمادة البحث العلمي ندوة داخلية بعنوان " التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية " بمقر الجامعة بالرياض في الفترة 5 - 1407/6/6هـ في ثماني جلسات، وقدم فيها أربع مذكرات، وسبع عشرة ورقة عمل، أنظر الجدولين رقم (2) ورقم (3).

الجدول رقم (2) المذكرات

م	العنوان	الجهة
1	تجربة مركز البحوث في عملية التأصيل	عمادة البحث العلمي
2	إعداد سلسلة من البحوث والدراسات تحمل اسم (الإسلام والمجتمع)	ـــــ
3	تجربة التأصيل الإسلامي	قسم التربية بكلية العلوم الاجتماعية
4	تجربة التأصيل الإسلامي	قسم الاجتماع بكلية العلوم الاجتماعية
5	تجربة الكلية في التأصيل	كلية العلوم الاجتماعية

الجدول رقم (3) أوراق العمل

م	العنوان	الباحث
1	الجذور العميقة للعلوم الإنسانية، إطار منهجي للفهم والتقويم والتأصيل	معالي الدكتور عبد الله التركي
2	بناء النظرية والتأصيل الإسلامي لعلم الاجتماع	د.عبد الله بن حسين الخليفة
3	التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية	د.زكي محمد إسماعيل
4	تأصيل العلوم الاجتماعية	د.عبد الرحمن العيسوي
5	التأصيل الإسلامي للخدمة الاجتماعية	د.محمد إبراهيم نبهان
6	الصياغة الإسلامية للفكر الاجتماعي	د.محمد عارف
7	أسلمة العلوم الاجتماعية	د.محمد عثمان نجاتي
8	مشروع مقترح لإعداد الموسوعة الإسلامية لعلم الاجتماع	د.نبيل السمالوطي
9	مرئياتي ومقترحاتي حول خطة تأصيل العلوم الاجتماعية	د.مقداد يالجن
10	ورقة عمل في التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية	د.محمد عزمي صالح
11	التأصيل الإسلامي لعلم النفس، نحو نظرية إسلامية في الشخصية	د.عبد الرحيم بخيت عبد الرحيم
12	تصور في التأصيل الإسلامي للعلوم النفسية والعلوم التربوية	د. عبد الرحيم بخيت عبد الرحيم
13	السمات التي يجب توفرها في المشتغل بالتأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية	د.صالح اللحيدان
14	الإسلام والعلوم السلوكية	د.عبد العزيز بن محمد النغيمشي
15	خطة مقترحة لأسلمة علم النفس	د.مالك بابكر بدري
16	خطة عمل في ميدان التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية	د.إبراهيم وجيه محمود
17	كيفية تنفيذ قرار المجلس العلمي بجامعة الإمام بكتابة العلوم الإنسانية على أساس إسلامي	د.جعفر الشيخ إدريس

وغلب على ما قدم في الندوة أوراق العمل ولم يوجد بحوث معمقة تناولت موضوعات التأصيل، ولكنها طرحت أفكار ومشروعات هامة لتطوير عملية التأصيل، وكان من نتاج الندوة أنشا اللجنة الدائمة للتأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية بجامعة الإمام، والتي استمر عملها بعد الندوة في متابعة برامج عدة من عقد ملتقيات بين المتخصصين في العلوم الشرعية مع نظرائهم في العلوم الاجتماعية، وإصدار أدلة التأصيل لعلوم التربية والاجتماع وعلم النفس، وإصدار كتب تخدم التأصيل، وقد توقفت اللجنة عام 1420هـ لتقييم عملها السابق، ولكن للأسف ولم تعاود نشاطها حتى الآن، والمرجو من مسئولي جامعة الإمام إعادة تنشيط هذه اللجنة لتقوم بمهامها العظيمة والسعي لتحقيق أهدافها من خلال البرامج الموجودة في ملفات اللجنة، لأن هذه الأهداف هي التي دفعت جامعة الإمام لتبني وجود كليات العلوم الاجتماعية في منظوماتها لتحقيق التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية.

نظم المعهد العالمي للفكر الإسلامي بواشنطن عدد من الندوات حول التأصيل الإسلامي لفروع العلوم الاجتماعية، فكانت الندوة الأولى تحت عنوان " نحو علم نفس إسلامي " وعقدت في القاهرة عام 1989م، ثم ندوة التأصيل الإسلامي للخدمة الاجتماعية بالقاهرة في شهر أغسطس عام 1991م. وخصصت الجمعية السعودية للعلوم التربوية والنفسية لقاءها السنوي الخامس عام 1414هـ لموضوع التأصيل الإسلامي للتربية وعلم النفس، ولظروف حالت دون عقد اللقاء فقد تم تحويل عدد من البحوث التي قدمت للقاء إلى دورية الجمعية " رسالة التربية وعلم النفس " حيث حكمت ونشرت في أعداد الدورية.

3- المرحلـــــة الثالثـــــة: تراجـــع جهـــود المؤسســـات

من منتصف العقد الثاني من القرن الخامس عشر الهجري (منتف التسعينات الميلادية تقريباً) تراجعت جهود المؤسسات في عقد ندوات أو مؤتمرات حول موضوعات التأصيل، فحسب علم الباحث لم يعقد شئ من ذلك خلال العشر سنوات الماضية وحتى الآن (1417هـ - 1427هـ/1996م - 2006م) ولا نعرف سبباً لذلك. وأما الجهود الفردية فلم تنقطع، ومن ذلك

رسالة الدكتوراه للأستاذ محمد عزالدين توفيق بعنوان " التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية: البحث في النفس الإنسانية والمنظور الإسلامي " تحت إشراف الأستاذ الدكتور المهدي بن عبود، وذلك من كلية الآداب بجامعة محمد الخامس بالرباط بالمغرب ونشرت في كتاب عام 1998م. وهناك العديد من رسائل الماجستير والدكتوراه التي قدمت إلى الجامعات العربية والإسلامية، خصوصاً في السعودية ومصر، التي تناولت موضوعات تأصيل إسلامي ولا ليس مجالنا هنا لرصدها، ولكننا نؤكد استمرار مسيرة التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية بحول الله تعالى رغم الصعوبات التي تواجه مسيرتها.

المراجـــــــــع

مراجـــــع المبحـــــث الأول

_ Malony, H. Newton, in “Encyclopedia of Psychology” Alan Kazdin (editor), APA, New York: Oxford University press vol.2,2000.

_ Jones, L. Stanton, in “Encyclopedia of Psychology” Alan Kazdin (editor), APA, New York: Oxford University press vol.7,pp 40-42,2000.

_ يونغ ، كارل ، الإنسان يبحث عن نفسه (2) ، ترجمة سامي علام وديمتري أفيرينوس ، دمشق ، دار الغربال ، الطبعة الأولى 1993م .

- Jung, C.G., The Collected Works, Psychology and Religion : West and East, Volume Eleven, Second Edition, London, Routlege & Kegan Paul, p.5. 1981.

- فرانكل ، فيكتور ، الإنسان يبحث عن معنى : مقدمة في العلاج بالمعنى ، التسامي بالنفس ، ترجمة طلعت منصور ، الكويت ، دار القلم ، ط1 ، 1402هـ.

- علم النفس الإنساني ، إعداد فرانك سيفرين ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، 1978م.

- فرويد ، سيغموند ، قلق في الحضارة ، بيروت : دار الطليعة ، الطبعة الثالثة، 1982م.

_ فرويد، سيغموند ، مستقبل وهم ، بيروت: دار الطليعة ، الطبعة الثالثة، 1981م.

-Eysenck, Decline and Fall of The Freudian Empire, London: Penguin Book, 1991

_ Webster, Why Freud was worng, sin, science and psychoanalysis, London: Fontana Press, 1996.

_ بدري ، مالك ، علماء النفس المسلمون في جحر الضب (2) . المسلم المعاصر ، العدد 15 ، 1398هـ .

_ با كان ، دافيد ، فرويد والتراث الصوفي اليهودي . ترجمة طلال عتريس، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1408هـ .

مراجـــــع المبحـــــث الثانـــــي

_ الصنيع، صالح بن إبراهيم، التدين والصحة النفسية، الرياض: عمادة البحث العلمي، جامعة الإمام بالرياض، 1421هـ.

_ نجاتي، محمد عثمان، الإدراك الحسي عند ابن سينا، الطبعة الثالثة، بيروت: دار الشروق، 1980م.

_ العثمان، عبدالكريم، الدراسات النفسية عند المسلمين والغزالي بوجه خاص، الطبعة الثانية، القاهرة: مكتبة وهبة، 1401هـ.

_ الأحمد، عبدالعزيز بن عبدالله، الطريق إلى الصحة النفسية عند ابن قيم الجوزية وعلم النفس، الرياض: دار الفضيلة، 1420هـ.

_ الصنيع، صالح بن إبراهيم، دراسات في التأصيل الإسلامي لعلم النفس، الطبعة الثانية، الرياض، دار عالم الكتب، 1420هـ.

_ دليل الباحثين إلى المفاهيم النفسية في التراث (عرض وتكشيف)، ثلاثة مجلدات، مراجعة محمد عثمان نجاتي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الطبعة الأولى، 1412هـ.

_ نجاتي، محمد عثمان، الدراسات النفسانية عند العلماء المسلمين، بيروت: دار الشروق، 1414هـ.

_ ربيع، محمد شحاته، التراث النفسي عند علماء المسلمين، الطبعة الثانية، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1995م.

_ الصبيح، عبدالله بن ناصر، تمهيد في التأصيل، الرياض: دار اشبيليا، 1420هـ.

_ أبن الجوزي، أبي الفرج، رسالة إلى ولدي: رسالة في الحث طلب العلم، تحقيق: عمرو عبدالمنعم، القاهرة: دار السلام، 1412هـ.

_ أبن الجوزي، أبي الفرج، الأذكياء، ذخائر التراث العربي، بيروت: المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، ب.ت.

_ أبن الجوزي، أبي الفرج، صيد الخاطر، تحقيق: ناجي الطنطاوي، دمشق: دار الفكر، الطبعة الرابعة، 1407هـ.

_ أبن الجوزي، أبي الفرج، ذم الهوى، تحقيق: أحمد عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، 1407هـ.

_ أبن تيمية، أحمد، مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب عبدالرحمن بن قاسم، الرئاسة العامة لشؤون الحرمين، 37 مجلداً، ب.ت.

_ أبن تيمية، أحمد، الحسنة والسيئة، تقديم محمد جميل غازي، جدة: دار المدني، 1406هـ.

_ أبن تيمية، أحمد، الحسبة ومسئولية الحكومة الإسلامية، تحقيق: صلاح عزام، القاهرة: مطبوعات الشعب، الطبعة الأولى، 1976م.

_ أبن تيمية، أحمد، الاستقامة، مجلدان، تحقيق: محمد رشاد سالم، مكتبة السنة، الطبعة الثانية، 1409هـ.

_ أبن تيمية، أحمد، العبودية، بيروت: المكتب الإسلامي، الطبعة الخامسة، 1399هـ.

_ أبن تيمية، أحمد، تزكية النفس، تحقيق: محمد بن سعيد القحطاني، القاهرة: مكتبة السنة، الطبعة الثانية، 1416هـ.

ـ أبن تيمية، أحمد، السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، بيروت: دار الآفاق الجديدة، 1403هـ.

ـ ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، الروح، القاهرة: مكتبة المتنبي، ب.ت.

ـ ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، بدائع الفوائد، أربعة أجزاء (مجلدان)، بيروت: دار الكتاب العربي، ب.ت.

ـ ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ثلاثة أجزاء، بيروت: دار الكتاب العربي، 1410هـ.

ـ ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان، جزاءن، تحقيق: محمد عفيفي ،بيروت: المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية، 1409هـ.

ـ ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، الداء والدواء، تحقيق يوسف بديوي، المدينة المنورة: مكتبة دار التراث، الطبعة الثانية، 1409هـ.

ـ ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، زاد المعاد في هدى خير العباد، خمسة أجزاء، تحقيق: شعيب وعبدالقادر الأرنؤوط، بيروت: مؤسسة الرسالة، الطبعة السابعة، 1405ه،.

ـ ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، التوبة، تحقيق: صابر البطاوي، القاهرة: مكتبة السنة، 1410هـ.

ـ ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، طريق الهجرتين وباب السعادتين، تحقيق: عمر أبو خمر، الدمام: دار ابن القيم، 1409هـ.

ـ ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر،الوابل الصيب من الكلم الطيب، دمشق: مكتبة دار البيان، ب.ت.

ـ ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، تحقيق: محمد على قطب، بيروت: دار القلم، 1407هـ.

ـ ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، مفتاح دار السعادة ومنشورة ولاية العلم والإرادة، جزاءن، تحقيق: حمدي الدمرداش محمد، مكة المكرمة: مكتبة نزار مصطفى الباز، 1418هـ.

مراجـــــع المبحـــــث الثالـــــث

ـ بدري، مالك، علماء النفس المسلمون في جحر الضب، المسلم المعاصر، العدد15، رجب/شعبان/رمضان 1398هـ، ص 105 ـ 124.

ـ بدري، مالك، علماء النفس المسلمون في جحر الضب، المسلم المعاصر، العدد16، شوا/ذو القعدة/ذو الحجة 1398هـ، ص 97 ـ 113.

ـ نجاتي، محمد عثمان، الإدراك الحسي عند ابن سينا، الطبعة الثالثة، بيروت: دار الشروق، 1980م.

ـ قطب، محمد، الإنسان بين المادية والإسلام، الطبعة الثامنة، القاهرة: دار الشروق، 1983م.

ـ العثمان، عبدالكريم، الدراسات النفسية عند المسلمين والغزالي بوجه خاص، الطبعة الثانية، القاهرة: مكتبة وهبة، 1401هـ.

ـ ندوة علم النفس والإسلام، قسم علم النفس، كلية التربية، جامعة الرياض،

ـ المنهجية الإسلامية والعلوم السلوكية والتربوية، المؤتمر العالمي الرابع للفكر الإسلامي، ثلاثة أجزاء، المعهد العالمي للفكر الإسلامي بواشنطن بالتعاون مع شعبة علم النفس بكلية الآداب بجامعة الخرطوم، في مدينة الخرطوم في الفترة 15 ـ 1407/5/20هـ.

ـ التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية: المشروع، برنامج العمل، الإنجازات، الرياض: عمادة البحث العلمي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، بدون تاريخ.

ـ التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية: البحث في النفس الإنسانية والمنظور الإسلامي، محمد عزالدين توفيق، القاهرة: دار السلام، 1998م.

شتـــاء 2011

فصـــل "الأبحـــاث و الدراســـات الطنفسيـــة و العلمنفسيـــة "

أضف بحثك الى قاعدة البيانات

تكرم إثراء "قاعدة بيانات""الأبحـاث و الدراسـات الطنفسيـة و العلمنفسيـة "" بشبكة العلوم النفسية العربية" بإرسال بيانات سيركم العلمية من

خلال ارتباط "النموذج / FORM" التالي:

http://www.arabpsynet.com/paper/PapForm.htm

البحث في قاعدة بيانات الشبكة

www.arabpsynet.com/paper/default.asp

علـــــم النفـــــس الإسلامـــــي

أ. معـــــروف زريـــــق

الـروح والنفـــس والعقـــل والقلـــب من منظـــور إسلامـــي

قامت الفلسفة الإسلامية على أكتاف أعلام كبار، درسوا الإسلام وتعمقوا في أصول الدين، وتغلغلوا في أعماق الشريعة، ثم درسوا الفلسفة اليونانية، فاطلعوا على ما كتبه سقراط وأفلاطون وأرسطو.

هنا وجدوا أنفسهم في موقف فكري حرج، ومواقف متباينة، فماذا يفعلون؟

لقد حاولوا أن يربطوا بين الفلسفة اليونانية والإسلام، بين ما جاء به الوحي الإلهي والعقل الإنساني، بين ما طلعت به الفلسفة الإسلامية، فإذا هي قطاع يتلاقى فيه المنطق مع الروح، والعلم مع الفلسفة، ومحور يلتقي عنده العقل الإنساني، وملتقى يتبلور فيه الدين والحكمة. وتبدو في هذه الدراسة نزعة التقليد والاقتباس، ومحاولات التوفيق والتأليف بين مختلف آراء فلاسفة اليونان وفقهاء الإسلام.

لقد شعر فلاسفة الإسلام أنهم يدورون في حلقة مفرغة، فالروح والقلب والعقل والنفس أمور معنوية مجردة، لا يمكن دراستها بشكل مباشر... هل هي جميعا شيء واحد؟ أم أنها تختلف عن بعضها وإذا كانت تختلف عن بعضها فبماذا تختلف؟... هنا عجز العلماء والفلاسفة فماذا كان موقف الإسلام؟.

لقد استعمل القرآن الكريم مفاهيم: الروح والعقل والقلب والنفس، في مواضيع مختلف يجعل كلا منها يختلف في مدلوله عن الآخر، فماذا قال في ذلك؟

الـــــــــروح

كان ورود الروح في القرآن الكريم قليلا، إلا أن استعماله كان متنوعا وذا دلالات مختلفة ، كما جاء بأشكال مختلفة، منها:

1- ما أفاضه الله تعالى على الإنسان: فروح الإنسان هي نفخة من روح الله تعالى، وهي موضع تقدير الإنسان وتكريمه.

وصف الله تعالى هذه الإفاضة، فقال (ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ) السجدة/9 . ثم أعطى تفصيلا لعملية الإفاضة فقال : (فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ) الحجر (29)

2- خلق سيدنا عيسى عليه السلام: فالسيدة مريم رضي الله عنها عملت من روح الله، وكان الحمل نتيجة اتصال طبيعي بين ذكر وأنثى

كيف حدث هذا الحمل؟ كيف وفق الله تعالى بين قوانين الحمل الطبيعي والقوانين الخارقة للحمل؟

أجاب الله تعالى بأنه أرسل لسيدتنا مريم عليها السلام روحا من أمر الله فتمثل لها بشرا سويا (فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا) مريم/17

لقد كانت سيدتنا مريم رضي الله عنها على مستوى خلقي رفيع أهلها لهذه المعجزة، وهذه الصفات الخلقية العالية كانت من خصائص أصحاب المعجزات (وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا) الأنبياء/ 91

3- الإشارة إلى القرآن الكريم: فالقرآن الكريم هو روح من أمر الله تعالى، أنزله رب العالمين على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بشكل خاص فقال في ذلك: (وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا) الشورى/ 52

4- دلالة على الوحي الإلهي: فقد سمى الله تعالى ما أوحى به للناس روحا، فقال: (يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ) غافر/15

وقال في موضع آخر: قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ) النحل/102

وقال أيضا: نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (193) عَلَى قَلْبِكَ) الشعراء/ 193-194

5- طبيعة الروح: لم يتعرض القرآن الكريم لبيان جوهر الروح، أو توضيح طبيعتها أن كنهها أو ماديتها، فعندما سأل الناس الرسول صلى الله عليه وسلم عن الروح كانت الإجابة فوق المستوى العقلي للبشر فلا يستطيع أي إنسان فهمها أو استيعابها، لذلك كان لابد من إغلاق الباب، فماذا قال تعالى؟ قال وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا) الإسراء/ 85

العقـــــــــــل

يقول العلامة عباس محمود العقاد : " لقد اعتبر فلاسفة اليونان العقل أعظم من الروح والنفس، لأن العقل المطلق هو الله، والعقل اللاهي هو عقل فعال منزه عن المادة والهيولي، وعنه يصدر العقل الإنساني أو العقل المنفعل.

أما في القرآن الكريم فلم يرد لفظ العقل بوصفة أسماء بل وردت أفعال يمكن وصفها بأنها عقلية وهي تدل على عنصر التفكير في الإنسان، وقد جاء ذلك بأساليب مختلفة، نذكر منها:

1- المعرفة والاستيعاب: ففعل (عقل) يعني ربط، فالعقل يربط الأسباب بمسبباتها، ويربط الظاهر بالباطن، وهناك بعض الناس انحرف تفكيرهم عن جادة الصواب فماذا يفعلون؟ قال عنهم الله تعالى: يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) البقرة 75

2- استخدام العقل في الواقع: فقد سمي العقل لأنه يعقل صاحبه عن التورط في المهالك، وفي هذا الموضع يعاتبنا رب العالمين معاتبة فيها الكثير من التأنيب، استمع إليه وهو يخاطبنا فيقول: أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ) البقرة /44

3- تمييز الخير من الشر: فالعقل هو الذي أوصلنا لمستوى الإنسانية الصحيح، ولولا العقل لكان الإنسان ليس إلا دابة من الدواب، بل هو أحط الدواب (إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ) الأنفال /22

4- الإدراك: فبالعقل نبتعد عن المهالك التي توصلنا إلى سوء العاقبة، إن الإنسان يدرك هذا الموقف في الآخرة، هذا الموقف الرهيب الذي لا ينفع معه ندم أو حسرة (وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ) الملك/10

5- فهم المقصود: فالله سبحانه وتعالى يضرب الأمثال لعباده لتوجيههم وهدايتهم، وليس المقصود بذلك حرفية المثل بقدر ما ينطبق عليه ويؤدي إليه وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ) العنكبوت /43

النفـــــــــــس

ورد لفظ (النفس) في القرآن الكريم في 367 موضعا، ويدل كل منها على الإنسان ككائن حي ذي أصل واحد، يتكاثر ويكسب ويشتهي ويغضب، ثم يجازى على عمله. وقد استعملت بدلالات مختلفة، نذكر منها:

1- الدلالة على الإنسان: (وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا) البقرة/ 48 ، (" لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا " البقرة/233) ، (أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا" المائدة /32)، (قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا" التحريم/6)، وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ " الزخرف/71)

2- إشارة إلى أشخاص معينين: نذكر هؤلاء الأشخاص الذين عناهم القرآن الكريم:

أ- محمد عليه الصلاة والسلام: فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ" الكهف/6

ب- إسرائيل: وهو اسم لقب به يعقوب، وبنو إسرائيل هم العبرانيون: كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ" آل عمران/93

ت- يوسف عليه السلام: يوسف عليه السلام هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي" يوسف/26 ، " وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ" يوسف/32

3- دلالة على الذات الإلهية: صورة الله تعالى اصطناع الخالق الخلق لنفسه فقال: "وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي" طه/41، وفي مناسبة أخرى أعطاه صورة دقيقة عن نفسه، فيها القوة والرأفة " وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ" آل عمرا/30. وعندما قارن بين معرفته بنفوسنا ومعرفتنا بنفسه أعطانا الصورة العميقة الواضحة فقال: تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ" المائدة/ 116، وختم الله تعالى هذه المعالم بان كتب على نفسه الرحمة " قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ" الأنعام /12

4- الإشارة إلى ضمير الإنسان: أكد الله تعالى أنه خالق الإنسان، وهو الوحيد الذي يعلم خفقات ضميره ووسواس نفسه وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ" ق/16. ومادام الله خالقنا فهو أعلم بطبيعة نفوسنا ودواخل أعمالنا وجوهر ذاتنا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ" الإسراء/25

5- وإذا أردنا تغيير أحوالنا وتبدل أوضاعنا إلى ما هو أفضل، فلا بد لنا أن نغير جوهرنا من الداخل إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ" الرعد/11

6- الإشارة إلى أصل البشر: فالنفس الواحدة هي أصل البشرية جمعاء، ومن النفس الواحدة خلق الله كافة النفوس الإنسانية هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ" الأعراف/ 189

وإذا كان الأمر كذلك فعلينا أن نتقي رب العزة الذي خلقنا من نفس واحدة يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ" النساء/1

القلـــــــــــب

ورد لفظ (القلب) في القرآن الكريم أقل من ورود النفس، وكان يقتصر على الجزء الواعي في الإنسان، وقد جاء بمدلولات مختلفة نذكر منها:

1. الفطرة السليمة: وقد أبرزها الله تعالى في القلب السليم الخالي من الشوائب إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ" الشعراء/89

2. الفهم والهداية: ورد ذلك في مواضيع مختلفة نذكر منها:

أ- القلب الذي يملك الفهم والهداية " أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ" ق/37

ب- أهمية الإيمان بما انحصر عليه الشعور لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ" المائدة/41

ت- الإيمان بالله تعالى يؤدي إلى هداية القلب وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ" التغابن/ 11

ث- اختلاف الظاهر عن الباطن إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ" النحل /106

ج- أن الإيمان زينة الله تعالى في قلوبنا وحببه إلى نفوسنا وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ" الحجرات/ 7

3. المعصية: ليست جميع قلوب الناس على نمط واحد وطبيعة واحدة: فمنهم من يكتمون الشهادة فتصاب قلوبهم بالإثم "وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ" البقرة/283

هناك قلوب تحجرت على الإجرام " كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ" الحجر/12

4. المشاعر والعواطف: تضمن القلب مجموعة من المشاعر والعواطف والانفعالات والاحساسات والوجدانات، نذكر منها:

أ- شمل القلب الرحمة والرأفة، فالرحمة هي الرقة للشيء والشفقة عليه والتعطف عليه والنغفرة له، أما الرأفة فهي أشد مشاعر الرحمة وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً" الحديد/ 27

ب- وجعل في قلوب بعض الناس حسرة وهي ضعف وتعب يترافقان بالألم والحزن " قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ" آل عمران/ 156

ت- وهناك من غرست في قلوبهم مشاعر الرعب.. وهي الخوف والفزع والجبن سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ" آل عمران/ 151

ث- وهناك فئة أخيرة من الناس لا يرجى منها أي خير، لأن قلوبها تحجرت وتصلبت مشاعرها وخرجت عن كيانها الآدمي: ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً" البقرة/ 74

موقفنـــــا مـــــن القلـــــب

1. إن القلب أعظم أجزاء الجسم أهمية، وأشقاها إصلاحا، فهو لب الإنسان وجوهره، فعلينا بحفظه وإصلاحه فإنه موضوع نظرة علام الغيوب

2. ومعرفة الله تعالى بنا لا تقتصر على أمورنا الظاهرية ونواحينا الشكلية، بل تتغلغل إلى أعماق قلوبنا " وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا" الأحزاب/51

3. ووضح ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال " إن الله لا ينظر إلى صوركم وأبشاركم، وإنما ينظر إلى قلوبكم" الحديث أخرجه مسلم ابن ماجه، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

4. والأعضاء كلها تابعة للقلب فصلاحها بصلاحه، قال صلى الله عليه وسلم: " إن في الجسد لمضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب) الحديث أخرجه البخاري من حديث مطلعه " الحلال بين والحرام بين"

5. والقلب خزانة كل جوهر نفيس للعبد، وحق لمثل هذه الخزانة أن تحفظ وتصان عن الأدناس والآفات، وتحرس من السارقين والقطاع، وتكرم لئلا يلحقها دنس، ولا يخفى ما ورد من انكباب الشيطان واستيلائه عليه ووسوسته إليه فتحرس منه وتصان عن الأخلاق الذميمة: كالحرص والغضب، والبخل والكبر، والعجب والحسد، والرياء وحب الجاه، وحب الدنيا وحب السيطرة، والمكر والخديعة، والكسل والغلظة، وإفشاء السر والجهل، والجبن والظلم والبلادة والخيانة، والغيظ والقسوة، والوقاحة وقصور الهمة، وذل النفس، والغيبة والنميمة.

مراتـــــب النفـــــس الإنسانيـــــة في القـــــرآن الكريـــــم

عرف ابن سينا النفس الإنسانية، فقال : إنها الكمال الأول، لجسم طبيعي آلي، من جهة ما يفعل الأفاعيل، بالاختيار العقلي والاستنباط، ومن جهة ما يدرك الأمور الكلية

وقد أقسم الله سبحانه وتعالى بهذه النفس الإنسانية لأنها أعظم ما خلق وخير ما أبدع، وجعل قسمه بها سابع قسم شمل خلق السماوات والأرض. قال تعالى : وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا (1) وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا (2) وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا (3) وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا (4) وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا (5) وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا (6) وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (7)" الشمس/1-7

ثم بين الله تعالى أنه ألهم نفوسنا دوافع الخير ونوازع الشر فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا " الشمس/8 ولكن هذا الخير والشر ليس قدرا مسيطرا على شخصية الإنسان لا مندوحة عنه، بل بإمكان الإنسان أن يزكو بنفسه ويرقى بها، وبإمكانه أن ينحط بها ويتدهور بشأنها قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (9) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا" الشمس/9-10

النفـــس الشهويـــة والغضبيـــة والعاقلـــة

يتضح من إشارات الغزالي المختلفة في كتابه (إحياء علوم الدين): أن أول ما يخلق عند الطفل هو النفس الشهوية التي يشترك فيها النبات مع الحيوان، ثم تخلق له النفس الغضبية التي يشترك فيها الحيوان فقط، وأخيرا تخلق له النفس العاقلة التي ينفرد بها الإنسان وحده. ويكون التطابق على أساس مقابلة الشهوانية مع النبات، والغضبية مع الحيوان، والعاقلة مع الإنسان. أما أنواع النفوس التي عرضها القرآن الكريم فهي:

1- النفـــــس الأمـــــارة

وهي النفس الأمارة بالسوء، تسيطر عليها الدوافع الغريزية، وتتمثل فيها الصفات الحيوانية، وتبرز فيها الدوافع الشريرة، فهي توجه صاحبها بما تهواه من شهوات، لهذا كانت مأوى كل سوء إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ" يوسف/53

2- النفـــــس اللوامـــــة

وهي النفس التي تبرز فيها قوة الضمير، فيحاسب الإنسان نفسه كما يحاسب غيره، قال مجاهد بن جبر: النفس اللوامة هي التي تلوم على ما فات وتندم، وتلوم صاحبها على الشر لم تفعله، وعلى الخير لم تستكثر منه.

وروى شداد ابن أوس أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: الكيس من دان نفسه – حاسبها– وعمل لما بعد الموت، والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله"

وقال عمر ابن الخطاب رضي الله عنه (كاتبا لبعض عماله) " حاسب نفسك في الرخاء قبل حساب الشدة، فإن من حاسب نفسه في الرخاء قبل الشدة عاد أمره إلى الرضاء والغبطة، ومن أهنته حياته وشغلته أهواءه عاد أمره إلى الندامة والحسرة".

وقال الحسن بن علي رضي الله عنهما: "إن العبد لا يزال بخير ما كان له واعظ من نفسه، وكانت المحاسبة من همته"

ولهذا أقسم الله تعالى بالنفس اللوامة فقال: لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ " القيامة/1

3- النفـــــس المطمئنـــــة

وهي النفس المؤمنة التي استوعبت قدرة الله، وتبلور فيها الإيمان العميق والثقة بالغيب لا يستفزها خوف ولا حزن، لأنها سكنت إلى الله واطمأنت بذكر الله وأنست بقرب الله فهي آمنة مطمئنة، تحس بالاستقرار النفسي والصحة النفسية، والشعور الإيجابي بالسعادة، فحق لها أن يخاطبها رب العالمين بقوله يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (27) ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً (28) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (29) وَادْخُلِي جَنَّتِي (30) – الفجر

ملامـــح الظاهـــرة النفسيـــة : أنواعهـــا، صفاتهـــا

يبحث علم النفس في الظاهرة النفسية وهي: (كل تغير يطرأ على النفس، ويمكن ملاحظة آثاره على الجسم) من أمثلة ذلك:

1- يغضب الإنسان مثلا فيشعر بغليان في أعماقه، ويلاحظ الآخرون تقطيب جبينه واتساع حدقتيه واحتقان وجهه.

2- يشعر الخائف بعجزه عن التكيف مع المشكلة التي تصادفه، ورغبته في الهرب لينجو بنفسه، ويلاحظ الآخرون اصفرار وجهه وارتجاف يديه وعدم اتزان حركاته.

أنـــــواع الظاهـــــرات النفسيـــــة

الظاهرات النفسية كثيرة متعددة متشابكة، متعقدة، يمكن إجمالها تحت العناوين التالية البارزة:

1- الحالات الوجدانية: كالغضب للإهانة، والفرح للنجاح، والحزن لموت إنسان عزيز، والخوف من حيوان مفترس.. الخ...

2- الحالات العقلية: كتذكر حادثة سابقة، والتفكير في مشكلة معقدة، وتخيل صورة جديدة، والانتباه لموضوع طريف.. الخ

3- الاستعدادات الطبيعية والمكتسبة: كالذكاء والمواهب والقدرات والغرائز .. الخ

وهكذا تتبلور في الظاهرة النفسية النفس الإنسانية بكاملها، عندما تنتقل من الفرح إلى الحزن، ومن الرضا إلى الاشمئزاز، ومن الانتباه إلى الشرود، ومن الحب إلى الكراهية، ومن اللامبالاة إلى التصميم.

نجد فيه الإنسان في صراعه اللامتناهي في خضم الحياة، ليقرر وجوده وليسعد في الدنيا والآخرة.

صفـــــــات الظاهـــــــرة النفسيـــــــة

إذا تأمل الإنسان ظاهرته النفسية وجد أنها (داخلية لا خارجية. وزمانية لا مكانية، وكيفية لا كمية)

1- فالظاهرة النفسية داخلية لا خارجية: لأنها تجري في دخيلة المرء، لا يطلع عليها إلا صاحبها، أي أنها تقع في نطاق مغلق هو نطاق الفرد، ولا يمكن لغير صاحبها إدراكها إدراكا مباشرا.

2- والظاهرة النفسية زمانية لا مكانية: إذ لا يمكن تحديدها تحديدا مكانيا، فلا يمكنني في حالة الخوف أن أحدد مكانه من جسمي، وما يقال من ان الحب في القلب، ولحسرة في الكبد والضيق في الصدر، فهو من تعابير الأدب لا من حقائق العلم، وكل ما يمكنني أن أحدده هو زمان حدوث الظاهرة النفسية، فأنا أفكر الآن، وكنت غاضبا بالأمس، وكنت فرحا منذ يومين، الخ... والزمن الذي تجري فيه الحوادث النفسية ليس زمنا رياضيا تتساوى وقائعه، بل هو زمن نفسي يطول في حالات الألم والضيق ويقصر في حالات الفرح والسرور، وفي هذا المعنى يقول الشاعر أبو العلاء المعري (979- 1058م)

إن حزنا في ساعة الموت يساوي أضعاف سرور في ساعة الميلاد

3- والظاهرة النفسية كيفية لا كمية: لأن القياس الكمي يكون ممكنا عندما يشغل الشيء حيزا من الفراغ ، والظاهرة النفسية مجردة من الصفة المكانية، ولذا فلا يمكن تحديد كمية الخجل، وغن كان من الممكن نسبته إلى حالات سابقة فأقول : كنت أكثر خجلا أو أقل ألما، ولكن لا يمكنني أن اقول: إن حزني اليوم يساوي ربع حزني بالأمس، أو إن فرحي اليوم يساوي ثلاثة أرباع فرحي بالأمس إلخ...

تكامـــــــل الظاهـــــــرات النفسيـــــــة

إن الظاهرة النفسية لا تعيش في النفس منعزلة عن بقية الظاهرات النفسية، وإنما نجد بينها ارتباطا وثيقا، ففي ظاهرة الغضب مثلا نجد أن الشخص الغضبان (يحس) بمصدر الغضب (ويدرك) معنى الكلمات النابية التي وجهت إليه و (يتذكر) موقفا شبيها بالموقف الذي يتعرض له و (يفكر) في وسيلة لاشفاء غليله و(يتخيل) الوسائل الناجحة، و (ينفعل) انفعال الضيق، و(يشعر) بغليان في داخله . الخ.....

إن هذه الظاهرات النفسية التي يتعرض لها الغضبان، تمر في نفسه، بشكل شريط سريع وهي تتكامل مع بعضها، بحيث يخيل للإنسان أنه يمر بظاهرة نفسية واحدة هي ظاهرة الغضب، مع أنه في الواقع يتعرض لعدد من الظاهرات النفسية، تتبلور حول شعور الغضب.

إن الظاهرة النفسية الخالصة أمر لا وجود له في النفس الإنسانية، ونحن حين نحاول عزل الظاهرة النفسية عن غيرها من الظاهرات النفسية، فليس ذلك إلا لتسهيل الدراسة العلمية فقط

الشخصيـــــــة والظاهـــــــرات النفسيـــــــة

تدلنا الظاهرات النفسية التي يتعرض له الإنسان على نوعية شخصيته:

1- فمن الناس من تغلب عليهم ظاهرات التشاؤم أو التفاؤل أو الاكتئاب، الخ.... فتطبع شخصياتهم بطابع معين

2- تختلف شخصيات الناس عن بعضها فيما تقوم به من سلوك، وما تصدر عنه تصرفات رغم تعرضها لظاهرة نفسية واحدة،فمن الناس من إذا غضب شتم، ومنهم من إذا غضب ضرب، ومنهم من إذا غضب ارتكب جريمة .. الخ

3- تختلف الظاهرات النفسية عند الناس قوة وضعفا، اتساعا وضيقا، حسب صلتها بشخصية صاحبها:

فحزن الأم على ابنها المتوفى يختلف عن حزن ابنتها على أخيها، كما يختلف عن حزن جرتها على ابن جيرانها

4- على الرغم من أن الظاهرة النفسية تضعف قوتها بمرور الزمن، وقد يؤدي بها ذلك إلى النسيان فإنها تترك رواسب عميقة في نفس الإنسان تغير شخصيته وتقلب نظرته للحياة... كخيانة صديق كنا نعتقد فيه الوفاء والإخلاص، أو موت والد كان دماعه البيت ومورد رزقه الوحيد.

والواقع أن كلا منا يحمل معه ماضيه كله، طفولته بأيامها السعيدة أو الشقية، وأثر عائلته وبيئته ورفاقه، كما يحمل معه النجاح أو الفشل، وذكريات الأعياد والأفراح وأشباح الآلام والأحزان.. كل ذلك يترك رواسب في أعمال النفس بشكل فعال ليوجه سلوكنا وتصرفاتنا ويبلور ظاهرتنا النفسية، ويطبع شخصيته كل منا بطابع خاص مميز

Arabpsynet Psychologists

Arabic Edition

http://www.arabpsynet.com/HomePage/Psy-Gists.Ar.asp

English Edition

http://www.arabpsynet.com/HomePage/Psy-Gists.asp

French Edition

http://www.arabpsynet.com/HomePage/Psy-Gists.Fr.asp

Arabpsynet Psychiatrists

Arabic Edition

http://www.arabpsynet.com/HomePage/Psy-Ists.Ar.asp

English Edition

http://www.arabpsynet.com/HomePage/Psy-Ists.asp

French Edition

http://www.arabpsynet.com/HomePage/Psy-Ists.Fr.asp

قـــواعد النشـــر بمجلـــة شبكـــة العلـــوم النفسيـــة العربيـــة

تعمل "مجلة شبكة العلوم النفسية العربية" على الإحاطة بمستجدات الاختصاص في كافة فروع العلوم النفسية، محاولين بذلك الاستجابة لحاجات المتخصصين والمهتمين خصوصا بعد تداخل تطبيقات الاختصاص مع مختلف فروع العلوم الإنسانية. وذلك من خلال اطلاع المتصفح على اتجاهات البحوث العالمية وتعريفه بأخبار ومستجدات هذه البحوث عبر بعض الترجمات للأبحاث الأصيلة. أما بالنسبة للبحوث العربية فإن المجلة تسعى لتقديم الدراسات والبحوث الرصينة المسايرة للمستجدات وللحاجات الفعلية لمجتمعنا العربي.

تقبل للنشر الأبحاث بإحدى اللغات الثلاث العربية، الفرنسية أو الإنكليزية.

1- الأبحاث الميدانية والتجريبية
2- الأبحاث والدراسات العلمية النظرية
3- عرض أو مراجعة الكتب الجديدة
4- التقارير العلمية عن المؤتمرات المعنية بدراسات الطفولة
5- المقالات العامة المتخصصة

المجلة مفتوحة أمام كل الباحثين العرب من أطباء نفسانيين و أساتذة علم النفس داخل الوطن العربي و خارجه وهي ترحب بكل المساهمات الملتزمة بشروط النشر التي حددتها الهيئة العلمية للموقع على الشكل التالي:

■قواعد عامـة

- الالتزام بالقواعد العلمية في كتابة البحث.
- الجودة في الفكرة والأسلوب والمنهج، والتوثيق العلمي، والخلو من الأخطاء اللغوية والنحوية
- إرسال البحث بالبريد الإلكتروني APNjournal@arabpsynet.com أو بواسطة قرص مرن (لا تقبل الأبحاث الورقية).
- إرسال السيرة العلمية المختصرة بالنسبة للكتاب الذين لم يسبق لهم النشر في مجلة الشبكة.

■قواعد خاصـة

1- كتابة عنوان البحث واسم الباحث ولقبه العلمي والجهة التي يعمل لديها مع الملخصات و الكلمات المفتاحية باللغات الثلاث العربية، الفرنسية أو الإنكليزية.

2- يراعي في إعداد **قائمة المراجع** ما يلي: تسجيل أسماء المؤلفين والمترجمين متبوعة بسنة النشر بين قوسين ثم عنوان المصدر ثم مكان النشر ثم اسم الناشر.

3- استيفاء البحث لمتطلبات البحوث الميدانية والتجريبية بما يتضمنه من مقدمة والإطار النظري والدراسات السابقة ومشكلة البحث وأهدافه وفروضه وتعريف مصطلحاته.

4- يراعى الباحث توضيح أسلوب اختيار العينة، وأدوات الدراسة وخصائصها السيكومترية وخطوات إجراء الدراسة

5- يقوم الباحث بعرض النتائج بوضوح مستعينا بالجداول الإحصائية أو الرسومات البيانية متى كانت هناك حاجة لذلك

6- تخضع الأعمال الطبنفسية المعروضة للنشر لتحكيم اللجنة الاستشارية الطبنفسية للمجلة، كما تخضع الأعمال العلمنفسية لتحكيم اللجنة الاستشارية العلمنفسية و ذلك وفقا للنظام المعتمد في المجلة ويبلغ الباحث في حال اقتراحات تعديل من قبل المحكمين.

7- توجه جميع المراسلات الخاصة بالنشر إلى رئيس الموقع على العنوان الإلكتروني للمجلة.

8- الآراء الواردة في المجلة تعبر عن رأي كاتبها ووجهات نظرهم.

9- لا تعاد الأبحاث المرفوضة لأصحابها.

10- لا تدفع مكافآت مالية عن البحوث التي تنشر.

قواعـد التوثيق:

عند الإشارة إلى المراجع في نص البحث يذكر الاسم الأخير (فقط) للمؤلف أو الباحث وسنة النشر بين قوسين مثل (عكاشة، 1985) أو (Sartorius, 1981) وإذا كان عدد الباحثين من اثنين إلى خمسة تذكر أسماء الباحثين جميعهم للمرة الأولى مثل (دسوقي، النابلسي، شاهين، المصري، 1995)، وإذا تكررت الاستعانة بنفس المرجع يذكر الاسم الأخير للباحث الأول وآخرون مثل (دسوقي و آخرون، 1999) أو (Sartorius etal., 1981) وإذا كان عدد الباحثين ستة فأكثر يذكر الاسم الأخير للباحث الأول و آخرون مثل (الدمرداش، و آخرون، 1999) أو (Skinner, etal., 1965)، وعند الاقتباس يوضع النص المقتبس بين قوسين صغيرين " " وتذكر أرقام الصفحات المقتبس منها مثل: (أبو حطب، 1990 : 43)

وجود قائمة المراجع في نهاية البحث يذكر فيها **جميع المراجع** التي أشير إليها في متن البحث وترتب ترتيبا أبجديا . دون ترقيم مسلسل. حسب الاسم الأخير للمؤلف أو الباحث وتأتي المراجع العربية أولا ثم المراجع الأجنبية بعدها وتذكر بيانات كل مرجع على النحو الآتي:

-عندما يكون المرجع كتاباً:

اسم المؤلف (سنة النشر) عنوان الكتاب (الطبعة أو المجلد) اسم البلد: اسم الناشر، مثال: مراد، صلاح أحمد، (2001) الأساليب الإحصائية في العلوم النفسية والتربوية والاجتماعية، القاهرة: الأنجلو المصرية

-عندما يكون المرجع بحثا في مجلة:

اسم الباحث (سنة النشر) عنوان البحث، اسم المجلة، المجلد الصفحات، مثل: القطامي، نايفة (2002) . تعليم التفكير للطفل الخليجي، مجلة الطفولة العربية، 12، 87 - 114

ج- عندما يكون المرجع بحثا في كتاب:

اسم الباحث (سنة النشر) عنوان البحث، اسم معد الكتاب، عنوان الكتاب، اسم البلد: الناشر، الصفحات التي يشغلها البحث

1- الإشارة إلى الهوامش بأرقام متسلسلة في متن البحث ووضعها مرقمة على حسب التسلسل في أسفل النص التي وردت بها مع مراعاة اختصار الهوامش إلى أقصى قدر ممكن، وتذكر المعلومات الخاصة بمصدر الهوامش في نهاية البحث قبل الجزء الخاص بالمصادر والمراجع

2- وضع الملاحق في نهاية البحث بعد قائمة المراجع

- **الدراسات والمقالات العلمية النظرية:**

تقبل الدراسات والمقالات النظرية للنشر إذا لمست من المراجعة الأولية أن الدراسة أو المقالة تعالج قضية من قضايا الطب النفسي أو علم النفس بمنهج فكري واضح يتضمن المقدمة وأهداف الدراسة ومناقشة القضية ورؤية الكاتب فيها، هذا بالإضافة إلى التزامه بالأصول العلمية في الكتابة وتوثيق المراجع وكتابة الهوامش التي وردت في قواعد التوثيق

- **عرض الكتب الجديدة ومراجعتها:**

تنشر المجلة مراجعات الباحثين للكتب الجديدة وتقدها إذا توافرت الشروط الآتية:

1- الكتاب حديث النشر، ويعالج قضية تخص أحد مجالات الطب النفسي، علم النفس، العلاج النفسي أو التحليل النفسي

2- استعراض المراجع لمحتويات الكتاب وأهم الأفكار التي يطرحها وإيجابياته وسلبياته

3- تحتوى العرض على اسم المؤلف وعنوان الكتاب والبلد التي نشر فيها واسم الناشر، وسنة النشر، وعدد صفحات الكتاب.

كتابة تقرير المراجعة بأسلوب جيد

- **التقارير العلمية عن الندوات والمؤتمرات:**

تنشر المجلة التقارير العلمية عن المؤتمرات والندوات والحلقات الدراسية في مجال علم النفس و الطب النفسي التي تعقد في البلاد العربية أو غير العربية بشرط أن يغطى التقرير بشكل كامل ومنظم أخبار المؤتمر أو الندوة أو الحلقة الدراسية وتصنيف الأبحاث المقدمة ونتائجها وأهم القرارات والتوصيات

كما تنشر المجلة محاضر الحوار في الندوات التي تشارك فيها لمناقشة قضايا تتعلق بالاختصاص.

Electronic Dictionary Of Psychological Sciences

CD

قسيمة شراء سي دي المعجم الإلكتروني

www.arabpsynet.com/ePsyDict/subscribe.htm

Edited by CISEN COMPUTER Company (All rights reserved) - Copyright (c) 2012- Email : APNjournal@arabpsynet.com